الجمهورية العربية السورية
وزارة الأوقاف

إخوان الشياطين

جذور مشبوهة وثمار ممسوخة

إخوان الشياطين

جذور مشبوهة وثمار ممسوخة

خنجر مسموم في جسد الأمة

بسم الله الرحمن الرحيم
جعفري

إخوان الشياطين

جذور مشبوهة وثمار ممسوخة

خنجر مسموم في جسد الأمة

الفهرس العام

مقــدمة البحث ..... - ٩ -

الفصل الأول: آفة الإسـلام السياسـي والعلاقة بين القاعدة وإخوان الشياطين .- ١١ -

المبحث الأول: آفة الإسلام السياسي، وخطره على الإسلام - ١١ -

المطلب الأول: الإسلام السياسي، نشوء الفكرة وأهدافها ..... - ١١ -

المطلب الثاني: تناقض الإسلام السياسي مع الدعوة بالحكمة والحوار..... - ١٦ -

مشكلة الانشغال بأحلام المجتمع الإسلامي عن الدعوة..... - ٢١ -

شتّان بين توجُّه الصحابة وتوجّه الإسلامويين ..... - ٢٢ -

أصل الخلل عند قادة جماعات الإسلاموية..... - ٢٨ -

المبحث الثاني: العلاقة بين القاعدة والإخوان والإرهاب - ٣١ -

المطلب الأول: العناوين الكبرى للشراكة الدموية ..... - ٣١ -

المطلب الثاني: الكل في دائرة التكفير..... - ٤٧ -

المطلب الثالث: دراسة وتحليل ظاهرة التَّطرُّف ..... - ٥٣ -

المطلب الرابع: القتال والجهاد والتَّكفير ..... - ٦٤ -

المطلب الخامس: ضرر الادِّعاء الكاذب ..... - ٦٨ -

المطلب السادس: أمثلة من التَّفسير العصريِّ الجامع عن معالجة
الخلط في فهم آيات الكفر والتَّكفير وربطها بالإرهاب..... - ٧٩ -

المبحث الثالث: فتنة التكفير، بلاء يهدد الأمة بالفناء - ٨٦ -

المطلب الأول: حُكم الكُفر والتّكفير وضوابطهما..... - ٨٦ -

المطلب الثاني: مما جاء في النهي عن التكفير والتغليظ فيه في السنّة
النبويّة..... - ٨٩ -

المطلب الثالث: الفِرَقُ الإسلامية قديماً وحديثاً وموقفُ المسلمين
منها..... - ٩٣ -

الفصل الثاني: الإِخْوانُ المُسْلِمُون النشأة وحقائق المنهج المتطرف.....- ٩٧ -

المبحث الأول: الإخوان المسلمون قراءة في البدايات (نحن إخوة في
الإسلام، ومن ثم فنحن الإخوان المسلمون) - ٩٧ -

المطلب الأول: النشأة، والاضطراب في البرنامج ..... - ٩٧ -

شهادة العلامة الشيخ محمد الغزالي السقا في منهج الإخوان
الإقصائي في البدايات..... - ١٠٦ -
المطلب الثاني: حسن البنَّا والسياسة ..... - ١٠٩ -
المطلب الثالث: حسن البنا يتبرأ من العمل السياسي ويندم عن
خوض هذه التجربة ..... - ١١٢ -
المبحث الثاني: الجذور والبدايات المشبوهة للإخوان - ١١٣ -
المبحث الثالث: الإخوان المسلمون الأهداف – المناهج – الغايات
الغامضة - ١٢٥ -
المبحث الرابع: قادة الإخوان يعترفون بغموض الأهداف - ١٣٥ -
الفصل الثالث: نقد الأسس الفكرية والتربوية للإخوان المجرمين..... - ١٤٩ -
المبحث الأول: التربية الإخوانية للأعضاء ... فكرة ماسونية، وخطط
شيطانية - ١٤٩ -
المبحث الثاني: الحاكمية وتكفير المسلمين - ١٧١ -
المبحث الثالث: مفهوم جاهليّة المجتمع الإسلامي، وحتميّة الصدام - ١٩٢ -
المبحث الرابع: احتكار الوعد الإلهي - ٢١٣ -

المبحث الخامس: تشويه حقائق الجهاد في الإسلام - ٢١٨ -

المبحث السادس: مفهوم الوطن عند إخوان الشياطين، والتيارات الإسلاموية المتطرّفة - ٢٣٤ -

المبحث السابع: إخوان الشياطين؛ منهج فكري مضطرب واستعراض وإساءة لم يسلم منها حتى الأنبياء - ٢٤٦ -

المطلب الأول: منهج فكري مضطرب؛ سيد قطب أنموذجاً ..... - ٢٤٦ -

المطلب الثاني: استعراض وإساءة لم يسلم منها حتى الأنبياء ..... - ٢٥٠ -

الفصل الرابع: حقائق إرهابية في تاريخ إخوان الشياطين ..... - **٢٥٧** -

المبحث الأول: نماذج للممارسة العملية لنظرية فصل الأقوال عن الأفعال - ٢٦٠ -

المبحث الثاني: إخوان الشياطين ... النموذج الأسوء لتسيس الدين - ٢٦٧ -

المطلب الأول: الإخوان ومنظومة الفتاوى الدموية الشاذة..... - ٢٧٠ -

المطلب الثاني: الإخوان ... ضد الوحدة الوطنية في البلاد ..... - ٢٧٩ -

المطلب الثالث: الإخوان المسلمون - طلاق الديمقراطية ..... - ٢٨٢ -

الإخوان - الفشل السريع والمتوقع – تجربة حكم الإخوان في مصر- ٢٩٢ -

المبحث الثالث: الإخوان والعنف - ٢٩٨ -

المطلب الأول: (مصر نموذجاً) ..... - ٢٩٨ -

المطلب الثاني: (النموذج السوري) ..... - ٣٠٤ -

المطلب الثالث: اعترافات أحد قادة الإخوان المسلمين في سورية

بالجرائم البشعة التي ارتكبتها الجماعة في السبعينيات والثمانينات - ٣٠٩ -

المبحث الرابع: الإخوان المسلمون والانخراط في الخريف العربي،

والمؤامرة الصهيونية الكبرى عام ٢٠١١م - ٣٢٤ -

الفصل الخامس: الجهاد في الإسلام حقائق علمية نقض أوهام العصابات

التكفيرية ..... - ٣٤١ -

مقدمة: تعريف الجهاد، وأنواعه - ٣٤١ -

المبحث الأول: الجهاد الدّعَوي، حكمته وساحاته الواسعة - ٣٤٤ -

المبحث الثاني: الفرق بين الحركية الإسلامية وجهاد الدعوة إلى الله - ٣٥٧ -

المبحث الثالث: الجهاد القتالي، آهدفه، وآدابه - ٣٦٠ -

شُبُهاتٌ حول نصوص - ٣٦٤ -

المبحث الرابع: متى يَملك المسلمون حَقّ الجهاد القتالي؟ - ٣٧٠ -

المبحث الخامس: الفرق بين الجهاد والهرج (الفوضى) - ٣٧٤ -

الخاتمة..... **- ٣٨٣ -**

فهرس المصادر والمراجع..... **- ٣٨٧ -**

مقـدمة البحث

ليست هـذه محاولـة للتنديـد بتـاريخ الجماعـة المظلـم فقـط، ولا حتى محاولة لإثبـات كـذب محاولاتهـا المتكـررة فـي تضـليل الرأي العام والقول بغير ما تعتقد.

وإنما هو بيان حقيقة الإخوان في مناهجهم الغامضة وغايـاتهم الضـبابية، وكيفيـة تربيـة العضـو فـي الجماعـة علـى المراوغـة والمخادعة، وصولاً إلى التحايل والالتفاف فـي مواجهـة المواقـف من خلال الغموض في التفاصيل.

وهو عبارة عن رؤية نقدية في آلية التربية الإخوانيـة للأعضـاء، الذين ينتسبون إلـى هـذه الجماعـة، وهـو فـي الوقـت نفسـه يُسـلط الضوء بشكل دقيق على حقيقة الأهداف والغايات الإخوانية بتجرد، بعيـداً عـن الشـطط الفكـري والتصـدير الحكمـي، وإنمـا بتوضـيح ممنهج لحقيقة الإخوان في البدايات والنهايات.

وهذه الدراسة تشمل النشـأة والبرنـامج والسياسـات ومراحـل العنف الإخواني وتكفير المجتمعات وممارسـاتهم العمليـة لنظريـة فصل الأقوال عن الأفعال وبعض الحقائق الإرهابيـة التاريخيـة عـن الجماعة.

ومحاولة الإخوان المسلمون احتكار الدين.

وذلك نظرا لما عانته سورية من جرائمهم وأفكارهم المتطرفة وإرهابهم الدموي

كي نضع هذه الجماعة في المجهر أمام أجيالنا القادمة.

وبفضل الله تعالى أفشل الوعي الديني السوري مخططات الإخوان المسلمين الخطيرة مرتين والتي من خلالها عملت هذه الجماعة الإرهابية المتطرفة على محاولة بث الفتنة الطائفية وتمزيق وحدة البلاد بجرائمها الدموية مرتين:

الأولى: في الثمانينيات والثانية: في الحرب الإرهابية على سورية عام ٢٠١١ م والتي كان الإخوان المسلمون رأس الحربة وأداة الغرب وتركيا في طعن الجسد السوري بالصميم.

د. محمد عبد الستار السيد

الفصل الأول:
آفة الإسلام السياسي
والعلاقة بين القاعدة وإخوان الشياطين

المبحث الأول: آفة الإسلام السياسي، وخطره على الإسلام

المطلب الأول: الإسلام السياسي، نشوء الفكرة وأهدافها

السياسة لغةً: إدارة الأمور بحكمة.

السياسة اصطلاحاً: تجنيد العلاقات الاجتماعية والثقافية والاقتصادية وغيرها ابتغاء الوصول إلى الحكم، أو ابتغاء مصلحة من مصالح الإدارة والحكم.

ومن أبرز خصائص السياسة القائمة في مجتمعاتنا اليوم شرعنةُ كلِّ الوسائل التي تحقق أهداف السياسيين، فهي تتبع ما يُسمى مبدأَ "الذّرائِعيَّة" الذي وضعه "وليم جيمس"، ويبرّر للإنسان أن يَسلُكَ إلى غايته السبيلَ الذي يشاء، بِغَضِّ النَّظر عن شرعيَّته، وهذه خاصّة سلبية تَتَّسم بها – للأسف – السياسة المعاصرة.

ما هو مفهوم السياسة في الإسلام؟

لـمّا هاجر رسول الله ﷺ تَكاملت للمسلمين أركانُ الدولة الثلاثة وهي: الأرض، والجماعة التي تعيش فوق هذه الأرض،

والدستور الذي تمثّله الوثيقة التي كتبها النبي ﷺ تنظيماً لعلاقة المسلمين فيما بينهم وعلاقتهم مع أهل الكتاب في المدينة.

ما هو مفهوم الإسلام السياسي ؟

الإسلام السياسي: كلُّ رُؤيَةٍ سِياسيَّةٍ تَنبعث من فِكرِ فِئةٍ من الناس، ثمّ تُصْبَغ بِصِبغةِ الإِسلام، ولو عن طريق تَرقِيعِ الأَدلّة، بغية تحقيق أهداف سياسية لا علاقة لها بالإسلام.

فصاحبُ هذه الرؤية يَقوم باستغلال العَاطِفَةِ الإسلامية للناس، فإذا بِهم يَتَّجهون إليه بالتقدير، وينهضون به إلى الحُكم بِأقصر طريق، وهذا العَملُ لا شَأنَ لصاحبه بالإسلام، وإنما هو عِبارةٌ عن إِنسان يَمتطي صَهوةَ الإسلامِ لِيُوصِلَهُ إلى مَا يَشاء. والدّليل على ذلك أنه لا يَتَوَرَّع عن مخالفة أحكام الشريعة الإسلامية وصولاً إلى غايته المنشودة، وَيُغطي ذلك بما يَشاء من الأحابيل والاجتهادات التي لا وجه لها، لِيَتحوَّل الدِّين بذلك إلى خادمٍ وإلى سُلَّمٍ يُسْتَخْدَمُ لِلبلوغِ إلى الأماني السياسية المتنوعة المختلفة. بينما الإسلام في حقيقته يَأمُرُ وَيَنهى، الإسلامُ يَأمر بالسياسة السليمة الإنسانية التي بَيَّنَهَا لنا اللهُ فِي مُحكم تِبيانه، وَشرحها لنا رسول الله ﷺ في الصحيح من حديثه، لكن ما يَنبغي أبداً أن نُـــنَزِّلَ الإسلامَ مِن عَليائه ؛ لنجعله خادماً لأهدافنا

وأحلامنا السياسية.

يقول بعض قادة الإسلام السياسي بأن تطبيق الشريعة الإسلامية لا يُمكن أن يَتمَّ إلا بعد بلوغ الحكم، وبعد الإمساك بنواصيه، وعندما نَصل إلى الحُكم وَنُمسك بزمامه فإنّ بوسعنا عندئذٍ بكل سهولة أن نطبق الإسلام.

أرأيتم إلى هذا الفَخّ ! يَتصور هؤلاء أن شأن الإسلام وتنفيذه كشأن المذاهب السياسية عندما يسعى السياسيون إلى تنفيذها، أناس يتبنون الاشتراكية ؛ يُنفذونها عندما يَصلون إلى الحكم، ليبراليون يُنفذون ليبراليتهم عندما يَصِلون إلى الحكم، دون البحث عمن اقتنع وعمن لم يقتنع، هل الإسلام هكذا ؟ الإسلام مُعتَقَدٌ يَسري إلى العقل عن طريق العلم، ثم هُوَ حُبٌّ يَسري إلى الفؤاد ؛ تَعظيماً لحرماتِ الله وَحُباً له ومخافة ومهابة منه، والدعوة إلى الله عز وجل بين الناس على الأرض لا أن تبتغي محادثتهم على كرسي الحكم.

لماذا يَرعى الغرب اليوم الإسلام السياسي والإسلام المُتطرّف؟

في البداية لا بُدَّ مِن التَّوضيحِ أَنَّهُ لا يُوجَدُ فِي الحَقيقة إِسلامٌ مُعتدل وإِسلام مُتطرِّف، فالإسلام واحدٌ، وهو الإسلام الفِطريّ

السليم الذي يَرعى مَصالحَ الأمة فرداً وجماعة.

بعد انهيار الاتحاد السوفييتي ازداد تَخوّف الغَربِ مِنَ الْمَدِّ الإسلاميّ، لأن المشروع الحضاري الإسلامي مشروع إنساني قيمي، يتناقض مع المشروع الغربي الليبرالي القائم على المصالح البراغماتية، ونشر الفوضى والفساد ونهب الشعوب.

ولعلّ أوّل تَصريح يَكشف عن الحجم الحقيقي لهذه المخاوف تلك الكلمات التي نقلتها إذاعة لندن في بَثِّهَا العَربيّ عن لسان "**مارغريت تاتشر**"، مساءَ اليوم الثالث من شهر شباط عام ١٩٩٠، في برنامج الشؤون العربية في الصحف البريطانيّة، تقول فيه: "كان أمام الغرب عَدُوَّان اثنان: الشيوعية والإسلام، وقد تمَّ القضاء على العدوّ الأول دُون أن يُقَدِّم الغَرب في سبيل ذلك خسائرَ تُذكر".

وقد رأى الغربُ أنّه لا مَصلحة له في معاداة الإسلام المتطرّف، لأنّه انتهى إلى قرارٍ يَقضي بأن الشيءَ الذي يُفقِد الناسَ الثقةَ بالإسلام هو أن يَجِدُوا أمامهم على مسرح الأحداث الإسلاميّة إسلاماً يُثِيرُ الرُّعبَ وَيُعَبِّر عن وحشيّةٍ بربريّة.

فالإسلام الفطريّ الذي سرعان ما يَتَقَبَّلُهُ أصحاب الفكر الموضوعي هو الذي يُحارَب، والسبيل إلى هذه الحرب هو فَتحُ

الباب واسعاً للإسلام السياسيّ، وللجماعاتِ المُتَطرِّفة التي تَستبيحُ لِنفسها القتلَ والذّبح والتخريبَ تحت راية "لا إله إلا الله"، وتحت اسم "الجهاد في سبيل الله"، وتسليطُ هذه الجماعات على المجتمعات الإسلامية الوسطية.

كان الإسلام يُقاتَل من خلال عدو خارجي لا شأن له بالإسلام، أما اليوم فالإسلام يُخنَق بحباله، ويُحارَب بسلاحه وبشعاراته.

وهذا ما يُفسِّرُ لَنا، لماذا يتبنى الغربُ الحركة الإخوانيّة، أمريكا اليوم هي التي تُعَبِّدُ الطريق أمام الحركة الإخوانية في مصر، وأمام الأنشطة الإخوانية في أماكنَ أخرى، بل بكلمةٍ أدقّ إسرائيل هي التي تفعل ذلك، لكي تُجهِضَ التَّوَجُّهَ الذي هَيمن على أذهان كثيرٍ من الناس في أن الإسلام هو الذي يَرعى مصالحَ الأمة، ويضمن سعادة الفرد والمجتمع.

المطلب الثاني:

تناقض الإسلام السياسي مع الدعوة بالحكمة والحوار[1]

إن من الواجبات الكفائية التي خاطب الله عز وجل بها عباده في محكم تبيانه وجود فئات من الصالحين، الذين طهرت قلوبهم من السخائم، وهيمنت الرحمة عليها بعبادة الله سبحانه وتعالى، يمارسون وظيفة التعريف بالخير والدعوة إليه، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ألم تقرؤوا قوله سبحانه: ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ ﴾ [آل عمران: ١٠٤].

ولكن الآفة التي ابتُلِيَتِ بها أمتنا الإسلامية في هذا العصر أن في هذه الفئات التي تنهض اليوم بواجب التعريف بالخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فئاتٍ لا تعلم الحق إلا ذاك الذي هدته إليه عصبيتها، أو طالعه عليه مزاجها، أو اقتضاه تحزُّبها، أو دَعَتْه إليه مصالحها، ذلكم هو الحق فيما يعرِّفون الناس به، وفيما يَدْعون إليه، فإن تنكَّبَ مُتنكِّبٌ عن هذا الذي يَدْعونَ هُم إليه

(١) مستخلص من خطبة للعلامة الشهيد الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي بتاريخ: (٢٣/ ٣/ ٢٠١٢م).

اتُّهِم ذلك المتنكب بالفسوق أو الابتداع، وربما اتُّهِم بالكفر، وربما أُهْدِر دمه.

وميزان الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إنما هو من الثوابت المستقرة في كتاب الله سبحانه وتعالى، وهدي رسوله الكريم محمد ﷺ.

ونقول لهؤلاء: إن علماء الشريعة الإسلامية عندما وصفوا الناس الذين ينبغي أن ينهضوا بهذا الواجب، وصفوهم بصفات في مقدمتها:

- الرحمة بعباد الله، وأن يكونوا ربانيين.
- أن تكون قلوبهم أوعية لمحبة الله، ولتعظيم حرمات الله.
- أن تكون لهم ساعات عهد ولقاء مع الله في الأسحار.

تلك هي أهم صفات الدعاة إلى الله سبحانه وتعالى، فلماذا ننظر فنجد أنَّ في الدعاة من يتَّصِف بنقائض هذه الصفات؟

ننظر إلى كتاب الله فنجده يبشِّر عباد الله سبحانه وتعالى بالمغفرة، وننظر إلى أحاديث رسول الله ﷺ، وإذا هي الأخرى تبشر بالمغفرة، يقول الله عز وجل:

﴿ قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [الزمر: ٥٣].

ويروي الشيخان من حديث أنس بن مالك ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**ما من عبد يشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا عبده ورسوله إلا حرمه الله على النار**»[(١)].

وعن معاذ بن جبل ﷺ، أن رسول الله ﷺ قال: «**من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة**» وفي رواية: «**وجبت له الجنة**»[(٢)].

وعن أبي عمرة الأنصاري ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أني رسول الله، لا يلقى الله عبدٌ يؤمن بهما إلا حجب عنه النار يوم القيامة**»[(٣)].

وعن جابر بن عبد الله الأنصاري ﷺ قال: سمعت رسول الله

---

(١) أخرجه البخاري، في العلم، باب من خص بالعلم قومًا دون قوم (١٢٧)، ومسلم، في الإيمان، باب من لقي الله بالإيمان وهو غير شاكٍّ فيه دخل الجنة (٧٢).

(٢) أخرجه ابن حبان، في الإيمان، باب فرض الإيمان، ذكر البيان بأن الجنة إنما تجب لمن شهد لله جل وعلا (٢٠٠)، والحاكم في كتاب الجنائز (١٢٣٣) وقال: "هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه".

(٣) أخرجه النسائي في السنن الكبرى، كتاب عمل اليوم والليلة (١٠٥٣٨)، وابن حبان، في صحيحه، كتاب الإيمان، باب فرض الإيمان (٢٢١)، والحاكم في المستدرك، كتاب تواريخ المتقدمين من الأنبياء والمرسلين (٤١٧٧) وقال: "هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه".

ﷺ قبل موته بثلاثة أيام يقول: «**لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله عز وجل**»[1].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**إذا قال الرجلُ: "هلكَ الناسُ" فهو أهلكهم**»[2].

إذن يا هذا، أموقن أنت أن هؤلاء الذين تتَّهمهم بما شِئْت من الفسوق والابتداع بل الكفر، أموقن أن الواحد منهم لن يصبح في الغد القريب خيراً مني ومنك؟

أموقن أنك -وأنت تعتَدُّ بنفسك- أنني وإياك عندما نمتد على فراش الموت، ونعالج بُرَحاءَه لن تنسينا برحاء الموت شهادة "أن لا إله إلا الله"؟.

أموقن أنت بهذا حتى تُصنِّف نفسك، وحتى أُصنِّف نفسي معك في الناجين من عباد الله وحتى نُصنِّف التائهين مع الكفرة، أو مع الفاسقين، أو مع الفجرة؟

من كان فُضيل بن عياض يا أخي؟ ألم يكن قاطع طريق؟ ألم

---

(١) أخرجه مسلم في الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب الأمر بحسن الظن بالله تعالى عند الموت (٥٢٣٤).

(٢) أخرجه مسلم في البر والصلة والآداب، باب النهي عن قول (هلك الناس) (٤٨٦٢)،(أهلكهم) روي بالنصب والرفع.

يكن مرتكباً للفواحش؟ إلام آل أمره بعد ذلك؟ ألم يكن واحداً من كبار الربانيين، من كبار عباد الله الصالحين؟

من كان بشر الحافي؟ ألم يكن مسرفاً على نفسه؟ ألم تكن الدنيا قد أسكرته بأهوائها وشهواتها؟ ثم إنه آل إلى الإنسان الذي ضُرِبَ به المثل في التقوى، وفي البعد لا أقول عن المحرمات، بل عن الشبهات وبالورع العجيب؟

من كان عبد الله بن المبارك وإلام آل أمره؟

أموقن أنت يا أخي، أنني وإياك إذا حانت سكرة الموت سنبقى على هذه الحالة، على هذه الاستقامة؟ إذاً فأنت تأمن مكر الله، والله يقول: ﴿فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٩٩﴾﴾ [الأعراف: ٩٩].

ربنا سبحانه وتعالى فتح باب رحمته لعباده جميعاً، وجلبهم إليه بهذه الرحمة، ورسولنا الحبيب ﷺ يقول: «**بشروا ولا تنفروا، ويسروا ولا تعسروا**»[1].

- أننفر بدلاً من أن نبشر؟

- أنعسر ولا نيسر؟!

---

(١) أخرجه مسلم في الجهاد والسير، باب في الأمر بالتيسير (٣٣٤٩) عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه.

والعلاج الذي يجعل الإنسان قائماً بواجب التعريف بالخير والأمر به، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، دون أن يقع في هذا الحضيض: أن نزكي قلوبنا، ونبذل كل ما نملك من جهد لغرس محبة الله بين جوانحنا، محبة الله عز وجل إذا غرست في أفئدتنا طردت حظوظ النفس، طردت الشهوات والأهواء، طردت الأنانية الشخصية والأنانية الحزبية، طردت ذلك كله وتحول القلب إلى وعاء نقي صافٍ من الأدران، ينبض بحبٍ واحدٍ لا ثاني له؛ ألا وهو الله.

مشكلة الانشغال بأحلام المجتمع الإسلامي عن الدعوة[1]

شاء الله عزَّ وجلَّ -بواسع رحمته ودقيق حكمته- أن يختار من عباده ثلَّة يجعل منهم المثل الذي يُحتذى، والنموذج الذي يُقتدى به في الانقياد لأوامر الله وتطبيق تعاليمه وأحكامه، وكأنه عز وجل قضى -بباهر حكمته- أن يجعل من حياتهم وواقع سلوكهم في الجملة، وسيلةَ إيضاح لمن بعدهم، يهتدون بهديهم كلما غُمَّ عليهم الأمر والتبست عليهم الحقائق بأشباهها. وقد تمثَّلت هذه الثُّلةُ المختارة في صحابة رسول الله ﷺ رضوان الله عليهم.

---

(١) المصدر: كتاب (هذه مشكلاتنا) للعلامة الشهيد الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي.

وليس في اختيار الله لهم ما يثير دهشةً أو يبعثُ على تساؤل، فهم الرعيل الأول الذين تبلغوا عن الله وعن رسول الله ﷺ بعد فترة من الرسل، وهم الذين رأوا رسول الله ﷺ وأخذوا منه وتعلموا على يديه، وهم الذين سرى نور النبوة إلى أبصارهم، التي اكتحلت بمرأى رسول الله ﷺ، ثم سرى منها إلى قلوبهم التي فاضت بمحبة رسول الله ﷺ. فحُقَّ أن يكونوا على خُطى رسول الله ﷺ، ثم أن يكونوا من بعده الهداة الذين يُقتدى بهم، والنموذج الأسمى لكيفية السير على صراط الله عزَّ وجلَّ.

شتّان بين توجُّه الصحابة وتوجّه الإسلامويين

وقد نظرنا ثم تأملنا طويلاً في موقف هؤلاء الصحابة، الذين جعلهم الله -بعد رسوله ﷺ- قدوة لنا في كلٍّ من الواجبات التي كلَّفهم الله بها وأنهضهم إليها، والحقوق التي بشَّرهم بها وتكفَّل لهم بإنجازها، فرأينا أنهم توجهوا بكل مشاعرهم وقدراتهم إلى الواجبات التي حمَّلهم الله إياها، وسَعَوا في ثباتٍ واستمرار إلى النهوض بها، دون أن تطوف بأذهانهم أحلام تلك الحقوق التي وعدهم بها، ودون أن يدَّخروا شيئاً من جهودهم للبحث عن تلك الحقوق، بل دون أن يربطوا بين تلك الواجبات وهذه الحقوق بشيء من رابطة العلة والمعلول، أو الثمن والسلعة. بل تأملنا فلم

نجد إلا دافعاً خفياً واحداً ينهضهم إلى القيام بالوظائف التي ألزمهم الله بها، ألا وهو دافع العبودية والمحبة لإلههم.

ما إن يبايع الواحد منهم رسول الله ﷺ مؤمناً بالله رباً وبمحمد رسولاً حتى يعود إلى نفسه فيُلْزِمُها باتباع أوامر الله والانتهاء عن نواهيه، مجاهداً نفسه ضد أهوائها، مطهِّراً ذاته، ثم يُقْبِل إلى من يعيل، ثم إلى سائر من حوله من عباد الله عزَّ وجلّ، يُعرِّفهم على الله، ويُبلِّغهم أوامره وأحكامه، مُخترقاً إلى ذلك المخاطر كلَّها، مضحياً بحقوق نفسه إِنْ أُهينَت، مُتجمِّلاً بمشاعر الحب لعباد الله والشفقة عليهم جميعاً، وقدوتهم في ذلك كله سيدهم وحبيبهم رسول الله ﷺ.

ولم يكن من شأن أيٍّ منهم أن يعود في المساء إلى داره ليسأل نفسه: متى وكيف تكون الحاكمية في الأرض عن الله؟. كما لم يكن من شأن أيٍّ منهم أن يتقلَّب ذات ليلة في أحلام هذا النعيم الذي وعدهم الله به: كيف يكون مذاقُه، أو إلى أي مدى يَمتدُّ ظلُّه؟ بل كانوا يقطعون الليل بعد أخذ حظِّهم من الراحة والرقاد، بنجوى الخائف من تقصيره الطامع في تجاوز الله وعفوه. وربما اتَّهم أحدُهم نفسَه لتقصيرٍ تخيَّل أَنَّه قد أَلَمَّ به، بلون من النفاق قد ابتُلى به، فيتقلَّب من ذلك في همٍّ يكاد يُذيبه، ثم

لا يسكن روعه حتى يشكو أمره إلى رسول الله ﷺ، فيذكِّرُه بعظيم رحمة الله وكرمه، ويبشِّرُه بأن إحسان الله لعباده يأتي على قدر ضعفهم وعجزهم، إن هم عظَّموا حرمات الله، واستشعرت قلوبُهم مهابته.

تحت سلطان هذه الدوافع والمشاعر، أَدوا واجباتهم هذه، وصمدوا لكل ألوان الأذية في مكة... وتحت سلطان هذه الدوافع والمشاعر ذاتها، هاجروا في سبيل الله إلى المدينة، وقد نفضوا أيديهم عن كل زاد إلا زاد التقوى والعمل الصالح. وهم خلال ذلك كله يُعزِّفون الناس على الله ويبلِّغونَهم كلمات الله، ويُقدِّمون نفوسهم وحظوظها قرابين رخيصة على طريق تطبيق أوامر الله.

هل كان أي منهم يخلط بين قيامه بواجباته هذه، والتخطيط لكيفية القضاء على الامبراطورية الساسانية أو الرومانية؟

هل كان فيهم من يُفكِّر بكيفية الانتقام من قريش التي أخرجتهم من ديارهم، أو يفكِّر بالغد القريب الذي يصبحون فيه الحكام المهيمنين عليهم والمتنفذين فيهم؟

معاذ الله... لم يكن هذا شأن أحدٍ منهم، بل كانوا قد وضعوا همهم كله في أن يوفَّقوا إلى أداء حقوق العبودية التي في أعناقهم

لله عزَّ وجلَّ، أو يرحلوا إليه وهو راضٍ عنهم غفَّار لهم. فلمَّا صَدَقوا فيما ألزموا أنفسهم به من حق الله عز وجل، وفَّاهم الله حقهم الذي تكفَّل لهم به، فأعادهم إلى الأرض التي أُخرجوا منها، وأورثهم أرضاً وديارا أخرى لم يعرفوها ولم يحلموا بها، وجعل منهم قادة العالم ووُرَّاث الحضارة، فكانوا بحق سدى ولحمة المجتمع الإسلامي.

هل كان سعيهم وجهادهم قبل ذلك تخطيطاً لبلوغ حكم، أو إمعاناً في قهر حاكم، أو مناورة لإنشاء حلف؟ لم يكن هذا شأنهم قط، بل لم يخطر لهم شيءٌ من هذا على بال.

بل مما لا شك فيه أنهم لو ولّوا وجوههم شطر شيءٍ من هذه المشاغل أو صرفوا أفكارهم إليها، لما حقَّق الله لهم شيئاً مما قد أكرمهم به، ولما جعل منهم أئمة الأرض وقادة العالم، بل لَوَكَلَهم عندئذٍ إلى أفكارهم الْمُخطِّطة وأحلامهم المهتاجة، ولما جاءت قدراتهم من ذلك كله بشيء.

فذلك ما نقرؤه واضحاً في كتاب الله: واجبات كُلِّفْنا بها وأناطها بأعناقنا، وحقوق تكفَّل بها لنا إن نحن أخلصنا القيام بتلك الواجبات.

وهذا ما فعله أصحاب رسول الله ﷺ، وفعله الله لهم: عاهدوا

أن ينفذوا أوامره، وأن يمارسوا عبوديتهم لـه بـإخلاص وصـدق، وقد صدقوا ما عاهدوا الله عليـه... وعندئـذٍ وفَّـى الله وعـده لهـم فورَّثهم الأرض والديار، وبثَّ الهيبة منهم في قلوب الناس.

وقد علمنا أن الله عزَّ وجلَّ جعل من أصحاب رسـول الله ﷺ النموذج الذي يُتبع في صحة التوجه والسلوك، فهم الذين يصدق علـيهم قـول الله عـزَّ وجـلَّ: ﴿ **أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡ** ﴾[الأنعام: ٩٠].

وإذا كـان الأمـر كـذلك، فلـيس لنـا عـن الاقتـداء بهـم أي محيص، إلا إِنْ أردنا أن نسلك سُـبُل الغوايـة بـدل الرشـاد، أو أن نغامر في اتباع ما لا يجدي أو غرس ما لا يثمر. ونسأل أن يسـلّمنا ويقينا من الوقوع في هذا التيه.

ونحن اليوم نُعْلِن عن صدق إيماننا بالله واستسلامنا لألوهيته وحكمه، تماماً كما أعلن أصحاب رسول الله ﷺ.

ويظهر اليوم في الساحة الإسلامية من يُسـمَّوْن بالإسـلاميين أو الجماعات الإسلامية، يدعون كذباً وزوراً ويضعون أنفسهم من عامة الناس موضع الصحابة ﷺ ممن بعدهم، فهم النموذج الـذي ينبغي أن يُقْتدى به اليـوم بعـدهم حسـب زعمهـم، إذ هـم طليعـة رجال الدعوة إلى الله، والقائمون بأمر الله والمجاهدون في سبيله،

والمنافحون عن حرماته.

ولكن... أفيسلك هؤلاء "الإسلاميون" فعلاً مسلك رسول الله ﷺ، ومن ثم مسلك أصحابه ﷺ؟ أفيحصرون أنفسهم فعلاً في نطاق الواجبات التي كلَّفهم الله بها في حقِّ أنفسهم والناس الذين من حولهم، ويفوضون ما التزم لهم به الله إلى الله.

إننا ننظر فنجد عكس ذلك تماماً.

لقد نامت في نفوسهم مشاعر الواجبات الذاتية، التي أذاب أصحاب رسول الله ﷺ أنفسهم في ضرام السعي إليها والنهوض بها، واستيقظت بدلاً من ذلك لديهم مشاعر التطلع إلى الحكم.

أمرهم الله عزَّ وجلَّ أن يصطبغوا بذل العبودية لله عزَّ وجلَّ؛ شعوراً وتبتلاً وأخلاقاً وسلوكاً، فشردوا عن واجبهم هذا بأحلام السعي إلى إقامة الحكم الإسلامي!.

وأمرهم الله عزَّ وجلَّ أن يعرفوا الناس على الله، وأن يبلغوهم كلماته وأحكامه، وناشدهم ذلك رسول الله ﷺ قائلاً: (بلِّغوا عنِّي ولو آية)[1]. فتشاغلوا عن واجبهم هذا بهموم الوصول إلى الحكم، ومناوأة من يصدُّهم عن ذلك.

---

(١) أخرجه البخاري في أحاديث الأنبياء، باب ما ذكر عن بني إسرائيل (٣٢٩٢) عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما.

والخلاصة أنهم قصَّروا كلَّ التَّقْصير فيما طلبه الله منهم وحولوا أنظارهم وأنظار دعوتهم إلى العمل السياسي الذي يصل بهم إلى الحكم والمناصب السياسية.

أصل الخلل عند قادة جماعات الإسلاموية

لقد نظر قادة هذه الجماعات إلى قادة الأحزاب والمذاهب الوضعية، ورأوا كيف يتَّجِهون إلى كراسي الحكم عن طريق الدخول في المعتركات السياسية، أو اقتحام الطُّرق الثورية، وما هي إلا بضع محاولات على هذه الساحة أو تلك، وإذا هم متربِّعون فوق عروش الحكم، وإذا بأنظمتهم وأفكارهم تنبسط في المجتمع دون أي مُشاغِبٍ أو مُعارِض! فما هو إلا أن استهوتهم -أي استهوت الإسلاميين- هذه السرعة الخاطفة في نجاح تلك المنظَّمات أو الأحزاب في فرض سلطانهم، ومن ثم فرض أفكارهم وأنظمتهم على الناس. وأخذت العدوى تفعل فعلها في أفكارهم، بل في نفوسهم:

لماذا لا نسلك مسالك هؤلاء الناس؟... إنهم يحملون إلى الناس أفكاراً وأنظمة بشرية، ونحن نحمل إليهم الإسلام، ألسنا أَوْلى منهم بالتَّوجُّه إلى كراسي الحكم، والتحكم بمقاليده، سواء أُتيح لنا ذلك بالاشتراك في المعتركات السياسية أم باقتحام

الطرق الثورية؟!.. ولئن كان قدر الناس في هذا العصر أن تُفْرض المذاهب عليهم بالقوة، فلنكن السَّبَّاقين إلى ذلك، وليكن المذهب المفروض عليهم هو الإسلام!.

وفي غمار هذه المحاكمة أو المراوضة الفكرية التي فرضتها العدوى، نسيَ قادةُ العمل الإسلامي أن الإسلام الذي يدعون إليه وينهضون بخدمته **إنما هو دين واعتقاد قبل كلِّ شيءٍ، والدين إنما يسري إلى العقول عن طريق القناعة واليقين، وإنما سبيله الدعوة والحوار والإقناع، أما ما فيه من شرعة ونظام، فنتائج طبيعية لدينونة العقل، والقلب لألوهية الله وسلطانه، ولو أن إحدى دول العالم** في الأرض أعجبت من الإسلام بشرعته ونظامه، فاتخذت من شرائعه وأحكامه بديلاً عن نظامها الذي كان سائداً، لما أدخلها ذلك في حظيرة الإسلام من حيث إنه دين يستجيب به الإنسان لأمر الله ويمارس من خلاله العبودية لله، وليس بين شريعة الإسلام والنظام الذي كان سائداً من قبله في هذه الحال أي فرق.

ولكن قادة الجماعات الإسلامية نسوا في غمار هذه المراوضة الفكرية تحت سلطان تلك العدوى، هذه الحقيقة التي هي من البداهة بمكان، واستهوتهم مغامرات رؤساء المنظمات

والأحزاب، فأعرضوا عن مهام الدعوة إلى عقائد الإسلام عن طريق التربية والحوار، ثم تفرغوا هم الآخرون للدخول في المعتركات السياسية، أو اتجهوا إلى رسم الخطط الانقلابية والثورية.

وهكذا تحوَّل هؤلاء الذين عرَّفوا الناس على أنفسهم دعاةً إلى الله وخداماً لدين الله، إلى طلابِ حُكْم ينتجعونه في ساحة العمل السياسي، أو يطرقون أبوابه من خلال المغامرات الثورية.

المبحث الثاني: العلاقة بين القاعدة والإخوان والإرهاب[1]

المطلب الأول: العناوين الكبرى للشراكة الدموية

تتلاقى جماعة الإخوان المسلمين، وما يُطلق عليها بالجماعات (الجهادية) الأخرى في قاعدة أساسية طغت على أي اعتبار فكري أو عقدي آخر، وهي السعي الجامح إلى الإمساك بالسلطة والتسلل إلى هذا الهدف عبر التلطي خلف تطبيق الشريعة، ورفع شعارات التصدي لزحف العلمانية إلى عمق المجتمعات الإسلامية وصولاً إلى التنادي لإقامة الخلافة الإسلامية، مع التباين الطفيف في الطروحات الفكرية، التي لم تكن يوماً سبب خلاف حقيقي فيما بين هذه الجماعات ..

ولعله من المهم بمكان التعريج على بعض وجوه هذا التلاقي الأيديولوجي بين الجماعة الإخوانية وربيباتها من الجماعات الإرهابية التي عرفها العالم وعانى من إرهابها:

---

(١) سيأتي تفصيل الحديث عن الخلل في فهم إخوان الشياطين، والجماعة الإسلاموية لهذه النقاط الفكرية مؤصلاً، ومفصلاً في الصفحة ١٥٥، وما بعد في هذا الكتاب في الفصل الثالث.

أولاً: إقامة الخلافة الإسلامية المزعومة:

تمثل الدعوة لقيام (الخلافة الإسلامية المزعومة) مرتكزاً أساسياً من المرتكزات الفكرية للحركات (الجهادية) وللإخوان على حد سواء، ففي الوقت الذي أعلنت تلك الحركات مؤخراً تمسكها بهذه القاعدة، نجد أن الجماعة الإخوانية كانت السباقة إلى ذلك بعقود من الزمن، وعلى لسان مرشدها ومرجعها الروحي حسن البنا في رسالته إلى المؤتمر الخامس للجماعة حين قال:

"**الإخوان المسلمون يجعلون فكرة الخلافة والعمل لإعادتها في رأس منهاجهم**".

كما أدرجها ضمن مراحل التمكين التي تسعى لها الجماعة في إطار سعيها لإحكام السيطرة على المجتمع ..

ثانياً: اغتصاب السلطة:

إن من أهم نقاط التلاقي الفكري والأيديولوجي بين الجماعة الإخوانية والجماعات الإرهابية الأخرى هو نهم السلطة، والجشع السياسي، ولا يقتصر هذا التلاقي على وجود

الفكرة لدى هذه الأطراف، بل وجود إجماع فيما بينها على آليات الوصول إلى السلطة وأساليب العمل والأداء وفي مقدمها العنف والإرهاب و إراقة الدماء، حيث يقوم مشروع جماعة الإخوان على إحداث التغيير في المجتمع والوصول إلى السلطة بغض النظر عن الوسائل المتبعة ومشروعيتها، ويؤكد منظروها على أن جوهر تأسيس الجماعة يقوم أساساً على فكرة تمكين الدين وإن الاستيلاء على السلطة يأتي في مقدمة وسائل بلوغ هذه الفكرة وتحقيقها .

ووفقاً لهذا المفهوم تتقاطع الجماعة مع باقي الجماعات التكفيرية (الجهادية) في الدأب على الطعن بمشروعية السلطات بعد سوق الإدعاءات باعتبارها تقف حجر عثرة في وجه تمكين الدين وبالتالي توفير العلة لتكفيرها والانقضاض عليها بكافة الوسائل، بما فيها العمل العسكري، لذلك لا تخلو راية للجماعة وباقي الجماعات التكفيرية القتالية من السيف، ولا تكتمل بيعة لديهم لم يحضر فيها مسدس أو بندقية إلى جانب المصحف.

ثالثاً: إنكار مفهوم المواطنة:

تتوافق جماعة الإخوان المسلمين مع أخواتها من الجماعات التكفيرية (الجهادية) في النظرة لمفهوم ((الوطن)) ومعايير وضوابط العلاقة بغير المسلمين، إذ نجد أن هذه الجماعات بعمومها تنسف من مفاهيمها فكرة المواطنة القائمة على أساس الانتماء لوطن استوفى الشروط القانونية والعناصر التقليدية المتمثلة بالأرض والشعب والسيادة، وما يتبعها من روابط تاريخية وأسرية وتقاليد وعادات و أعراف خاصة، واستبدلتها بمفهوم (أخوّة العقيدة والدين).

وحسب مفهومهم هذا فإن الولاء ليس للأوطان ولا للحدود بل للعقيدة وفقط، وبذلك يكون وطن المسلم هو دينه وعقيدته، ولا عبرة لموطنه أو المجتمع الذي ترعرع فيه، وهذا ما كان سبباً وراء استباحة مرتزقة داعش للأيزيديين والمسيحيين في العراق، وفرض الجزية على غير المسلمين في المناطق التي سيطرت عليها في العراق وسوريا خلال السنوات الماضية، ووفقاً لهذا المفهوم لم تكن مستغربةً دعوة مرشد

الإخـوان المسـلمين الأسـبق فـي مصـر مصـطفى مشـهور قبـل سنوات إلى تطبيق الجزية على الأقباط، واستبعادهم مـن الجـيش المصري لعدم الثقة بهم.

رابعاً: التوسع في التكفير بعيداً عن المنهج العلمي:

لا يختلف اثنان على أن المسلمين من أهل السنة و الجماعة أنفسهم لم يسلموا من رميهم بسهام التكفير والخـروج مـن دائـرة الإسلام على يد هذه التنظيمـات التكفيريـة (القتاليـة) مـن أمثـال القاعـدة وداعـش وجبهـة النصـرة... وغيرهـا، غيـر أن الجماعـة الإخوانية نفسها التي أتقنـت علـى مـدار الـزمن منـذ نشـأتها فـن النفـاق الـديني والسياسـي، واسـتطاعت تسـويق نفسـها علـى المسارح الدولية كحزب ديني يمثل الإسلام المعتـدل، وتمكنـت من الوصول إلى سدة الحكم في دول عديـدة بعـد نجاحهـا بهـذا التسويق لزمن طويل فإنها لم تخفِ نهجها التكفيري الضال الذي سبقت إليـه كافـة الجماعـات الأخـرى، ولـم تخـرج عـن قاعـدة التكفير التي أرساها مؤسس الجماعة حسن البنا، وصرح بهـا فـي ختام شرحه لمنهج الجماعة ومراحل التمكـين عنـدما قـال: "**إننـا**

نعلن بوضوح وصراحة أن كل مسلم لا يؤمن بهذا المنهج ولا يعمل لتحقيقه لا حظ له في الإسلام".

لم يستطع الإخوان المسلمون أن يخفوا طبيعتهم العنفية، الدموية طويلاً، فبالرغم من محاولاتهم التمسك بمظهر الاعتدال، والتسامح، والدعوة الناعمة، إلا أن الخداع لم يصمد طويلاً مع تنامي جشع المؤسس البنا، وازدياد منسوب طموحاته السياسية مع تزايد أتباعه، ومعجبيه، حيث أطلَّ برأسه التنظيم السري الخاص الذي كان قد أنشأه حسن البنا بهدوءٍ، وإتقان وفق هيكلية مدروسة تجعل منه ذراع بطشٍ فعالة، للضرب على أيدي خصومه من خارج الجماعة ومن ذلك عملية اغتيال رئيس الوزراء أحمد ماهر في العام ١٩٤٥، وأيضاً رئيس الوزراء محمود فهمي النقراشي في العام ١٩٤٨بالقاهرة، فضلاً عن العديد من عمليات التفجير والاغتيال ..

كما لم تسلم عناصر الجماعة ذاتها من بطش هذا الجهاز، وغدره، بل أن حسن البنا كان واضحاً في كتابه (مذكرات الدعوة والداعية) بخصوص ضرورة ضرب العصاة من داخل الجماعة،

والخارجين على قراراتها، وخياراتها، ومن الأمثلة على ذلك عملية الاغتيال التي طالت القيادي الإخواني سيد فايز في عام ١٩٥٣على أثر الخلاف القائم بين المرشد الثاني في تاريخ الجماعة حسن الهضيبي، ورئيس الجهاز السري عبد الرحمن السندي، وكان كافياً حينها أن يلمح الهضيبي إلى إمكانية تولية قيادة الجهاز المذكور لـ سيد فايز، حتى يكون هدفاً مستعجلاً للسندي بأسلوب مافيوي بغيض، ضارباً بعرض الحائط كل شعارات الأخوة الإسلامية، وواجبات الطاعة التنظيمية ..

* بعد مقتل البنا ومع تولي حسن الهضيبي قيادة جماعة الإخوان المسلمين ، لم يكن المرشد الثاني بأقل تعطشاً للدماء من سلفه، بل أكد الهضيبي على أهمية متابعة الجهاز السري لمسيرته الإجرامية، وأعاد إنعاشه وتطويره في منتصف السبعينات، ولا شك في أن الأفكار الشمولية العنفية لـ سيد قطب قادته هو الآخر لتأسيس جهازه السري الخاص، غير أن مشروعه لم يكتمل بعد أن افتضح مخططه ووقع في قبضة العدالة المصرية، ليُقضى عليه بالإعدام في عام ١٩٦٩، مخلفاً وراءه

تلك التنظيرات الضالة التي أصبحت مرجعاً لكل التنظيمات الإرهابية التي ظهرت لاحقاً من شاكلة تنظيم التكفير والهجرة، وتنظيم الجهاد الإسلامي انتهاءً بما نشهده اليوم من جماعات تكفيرية قتالية على اختلاف مسمياتها، وشعاراتها.

* لم يكن اعتماد جماعة الإخوان المسلمين منهج الإسلام الحركي أمراً وليد الصدفة، إذ أن النشأة المشبوهة لهذا التنظيم وطبيعة العلاقة الوطيدة التي ربطت رعيله الأول بالبريطانيين الذين كانوا أول من يبارك ويدعم توجه الجماعة وأفكارها، فضلاً عن أن المتابع لمسيرة هذه الجماعة منذ بداية نشأتها يمكن أن يصل إلى قناعةٍ مؤكدةٍ مفادها أنها أُسست لتكون أداةً في مشروع عملٍ طويل المدى، أعدّ منذ ذلك التاريخ للمنطقة العربية والعالم الإسلامي عموماً.

في الفترة التي كان البريطانيون يطلقون الوعود المشؤومة لليهود بإقامة دولتهم المزعومة على أرض فلسطين العربية -ومن ذلك وعد بلفور عام ١٩٤٨م- كانت جماعة الإخوان المسلمين تنشط بجهازها السري على ضرب استقرار المجتمع

المصري وعمليات التفجير والإرهاب، واغتيال الشخصيات السياسية والفكرية المؤثرة -ومنها اغتيال رئيسي وزراء مصر ماهر والنقراشي في أواخر الأربعينيات كما أسلفنا- ففي الوقت الذي كان البريطانيون يدعمون إرهاب هذه الجماعة الضّالة في مصر كانوا يكرسون سيطرة اليهود على أرض فلسطين ومقدساتها.

ويبدو أن رموز هذه الجماعة وداعميها قد أدركوا في نهاية الثمانينيات أن الوقت قد حان لتكليف الإخوان المسلمين بدورٍ أخر يتم من خلاله تقديمها على الساحة الدولية كحزب ديني سياسي يمثل الإسلام المعتدل، بعيداً عن ممارسة أي دورٍ عسكري من شأنه التشويش على الصورة الجديدة، وقد يكون هذا التحول انطلاقاً من إقرار الجماعة بشيخوختها من الناحية العسكرية ورغبةً من الدول الداعمة لهذه الجماعة في استنساخ جماعاتٍ جديدة تضطلع بالدور العسكري ويتم الإشراف عليها وتحريكها من خلف الستارة الاخوانية.

وهذا ما يمكن أن نسميه الانتقال بجماعة الإخوان المسلمين

من الدور التنفيذي إلى الدور الإنتاجي والحضاني، ولتكون الراعي الأول في العالم الإسلامي لتطبيق نظرية (الاحتواء المزدوج) التي انتهجتها انكلترا ولا تزال، وتسير على خطاها الولايات المتحدة في ذلك أيضاً، تلك النظرية التي يتم على أساسها الاستثمار بالتطرف الإسلاموي عبر احتضان مجاميعه ورعايتها على نحوٍ غير معلن ومن ثم توجيهها للعمل بما يخدم السياسة الأميركية وتسعير بؤر التوتر في مناطق مختلفة من العالم، حيث يتطلب تنفيذ المخططات الأميركية سلوكاً كهذا، وبالتالي استخدامها ضمن ما يعرف (الحروب بالوكالة).

وليس أدلَّ على ذلك من الدفع بفلول جماعة الجهاد المصري الذين تعرضوا للملاحقة في أوائل الثمانينيات عقب اغتيال الرئيس أنور السادات ، للالتحاق بما يعرف بمعسكر المجاهدين العرب في أفغانستان لقتال السوفييت وإخراجهم من الأراضي الأفغانية، بدعوى أنها أرضٌ إسلامية ترزح تحت (الشركية الشيوعية) وبالتالي تجنيب الأميركيين عبء الدخول في حربٍ تقليدية مع قوةٍ عظمى قد لا تحمد عقباها.

لذلك كان استثمار هذه الجماعات هو الحل وكان لأميركا ذلك بالتنسيق مع تلك الجماعات وعلى رأسها الإخوان المسلمين، ولم يكن ما حصل في العراق من استثمار لتنظيم القاعدة مجدداً بغية إحكام السيطرة على الوضع هناك سوى تكرار للخطة المعتمدة في التعاطي مع المسألة الأفغانية، حيث تم الدفع بتلك المجاميع الإرهابية مجدداً إلى العراق لتلعب نفس الدور الذي مورس من قبل أقرانهم في أفغانستان ولتكون مبرراً لاستمرار الاحتلال الأميركي للعراق خاصةً وأن الأميركيين كانوا يدركون أن الحجة التي تذرعوا بها لغزو العراق وهي امتلاكه أسلحة الدمار الشامل كانت كاذبة وواهية وكان ذلك ثابتاً لديهم منذ انتهت أعمال اللجنة الدولية التي كلفت بالمفاوضات مع الحكومة العراقية للتحري والبحث بمسألة امتلاكه لأسلحة الدمار الشامل في الفترة ١٩٩٢ – ١٩٩٨م .

* برزت معالم الدور الجديد للجماعة الإخوانية بصورة جليّةٍ مع بداية الثمانينيات من القرن الماضي، بالتزامن مع تعالي النداءات و التجييش الكبير ضمن إطار الدعوة إلى (الجهاد) في

أفغانستان، ليتصدر الشيخ الفلسطيني عبد الله عـزام المشـهد بعـد أن افتتح ما عُرف ببيت الأنصار في بيشـاور الواقعـة فـي المنطقـة الحدودية بين الباكستان وأفغانستان، لتكون هذه المضـافة مركـزاً لتجميـع الوافـدين العـرب، والـذين شـكلوا فيمـا بعـد مـا سُـمي بمعسكر المجاهدين العرب بقيادة أسامة بن لادن ..

وبالوقوف على خلفية مثـل هـذه الشخصـيات واسـتعراض تاريخها يبدو واضحاً أن ظهور التنظيمات المتطرفة التي مارسـت الإرهاب والتطرف لم يكن بمحض الصدفة كما لم يكـن بمعـزل عن دور تآمري متقن لجماعة الأخوان المسـلمين مـع حكومـات وأجهزة استخبارات معادية للعروبـة والإسـلام، إذ لطالمـا تغنَّـى الإخوانيون بفكر الشيخ عزام الإخـواني، وبانتمائـه إلـى صـفوف جماعتهم، ليكون نفسه لاحقاً من صناع النواة التـي شـكلت فيمـا بعد أخطر التنظيمات الإرهابية التي عرفها العالم، بل إلى أكثر من ذلك أليس نجله المدعو حذيفـة عـزام الـذي دأب كثيـراً ليـنهض بإرث أبيه، ولم يكتب له النجاح في ذلـك، ألـم يكـن منـذ نشـأته تحت الرعاية الإخوانيـة و محتضـن مـن قبـل جماعـات إخوانيـة

معروفة حتى يومنا هذا ..؟

- حتى إن أسامة بن لادن ذاته كان منتمياً لتنظيم الإخوان المسلمين في الحجاز، وقد تم طرده بسبب استهتاره، وعصيانه لأوامر التنظيم بعدم الشروع بالترتيب العسكري في أفغانستان، والاكتفاء بنصرة مسلمي أفغانستان بإيصال المساعدات المخصصة لهم إلى الباكستان، ولم يخفِ أيمن الظواهري هذه الحقيقة حيث أشار في أكثر من ظهور إعلامي إلى العلاقة القائمة مع التنظيم الإخواني، وخاصة اللقاء الذي جمع بن لادن بالقيادي الإخواني مصطفى مشهور ((الذي شغل لاحقاً في الثمانينيات موقع المرشد العام للجماعة)) في مدينة بيشاور بعد أن تعاظمت قوة بن لادن في أفغانستان، حث مشهور خلاله بن لادن على ضرورة العودة إلى الالتزام بتوجيهات التنظيم، وقراراته.

- ولم يكن مصطفى ست مريم المعروف بـ أبي مصعب السوري حالةً طارئةً على الساحات المختلفة التي غصّت بجموع التكفيرين (الجهاديين) وخاصةً على الساحة الأفغانية، كما لم يكن المذكور مجرد هاوٍ قدم إلى أفغانستان و نسّق مع عبد الله

عزام وبايع الزعيم الطالباني ملا عمر، مدفوعاً بحماس، ورعونة الشباب، وكيف يكون ذلك وهو مهندس الجهاد العالمي كما يسميه بالإجماع قادة ومنظرو الجماعات التكفيرية في العالم، وخاصة لدى الزمرة الإخوانية الضالة التي ترعرع في كنفها، وأمضى معظم حياته في صفوفها، وقد كان أحد قيادات الطليعة المقاتلة (الذراع العسكري للإخوان في سوريا خلال الثمانينيات) ولصيقاً بقيادات الصف الأول أمثال مروان حديد وسعيد حوى، وشارك في الكثير من الأعمال الإجرامية التي استهدفت الأبرياء والمدنيين في سوريا، وله كتابه الشهير (ملاحظات حول التجربة الجهادية في سوريا) وعلى العموم فإن منهج استغلال أحداث أفغانستان لغرض التدريب والعودة لمحاربة الدول العربية كان منهجا إخوانياً أصيلاً، وليس من دليل على ذلك أكثر وضوحاً مما ورد في كتاب أبو مصعب السوري (دعوة المقاومة الإسلامية العالمية) الذي نقل عن عبد الله عزّام قوله: "أريد أن يأتي من كل بلد عربي ولو أربعين مجاهداً فيستشهد نصفهم ويعود نصفهم إلى بلاده ليحمل دعوة الجهاد".

- وهذه الأدلة على وجود الرابط بين الجماعة الإخوانية، والجماعات التكفيرية، لا تقتصر على من سبق ذكرهم كـ عزام أو بن لادن أو الظواهري وغيرهم . بل لا تكاد تخلو جماعة إرهابية مسلحة على امتداد البلاد العربية، مع انطلاق فوضى الخريف العربي من بصمة إخوانية إن من حيث طبيعة وآليات حركتها، أو من حيث المسيرة الفكرية، والتنظيمية، أو حتى القتالية لقياداتها أو كوادرها ..

- وما شهدته الدول العربية مؤخراً مع الدخول في أتون الخريف العربي من ظهور تنظيمات وقيادات إرهابية جديدة، ليس إلا امتداد لنفس السيناريو السابق من التاريخ التآمري الطويل للأخوان مع أعداء الإسلام.

وبإلقاء نظرة سريعة على تاريخ تلك القيادات والشخصيات التي ظهرت بحضور فاعل ومؤثر في ساحات الحراك سواء في ليبيا أو تونس أو سوريا يمكن الوقوف على العلاقة بين الجماعة الإخوانية وأية جماعة إسلاموية متطرفة يمكن أن تظهر، حيث وجدنا عبد الحكيم بلحاج في بدايات الحراك الليبي، وعبد

الوهاب قايد (الملقب أبو يحيى الليبي) وإسماعيل الصلابي وغيرهم من تلك الشخصيات التي تخرجت من مدراس الجماعة الإخوانية الفاسدة، فضلاً عن الدعم الفاعل الذي تلقته تلك المجاميع التكفيرية من التنظيم الإخواني في مختلف الساحات، ومن قبيل هذا ما كشفه الفيديو المسرب الذي رصد إحدى جلسات التحقيق مع الليبي فوزي العياط، الذي كان يشغل موقعاً قضائياً في صفوف داعش الليبي، والذي تم اعتقاله في سرت عام ٢٠١٦ حيث اعترف خلاله بارتباط التنظيم الإخواني بالجماعة الليبية المقاتلة عبر تسهيل وصولهم إلى سرت وتقديم الدعم للتنظيم في بداياته، عندما كان يعرف بتنظيم أنصار الشريعة، كما أشار إلى أن التنظيم في طوره الأول المعروف بأنصار الشريعة حظي بدعم كبير من قبل جماعة الإخوان، حيث كان يتم تخصيصهم بمرتبات شهرية فضلاً عن دعمهم بآليات ومعدات عسكرية . وكذلك كان الحال في سوريا وتونس ...

المطلب الثاني: الكل في دائرة التكفير

الكل في دائرة التكفير والقتل والإرهاب مِن خلال تماسك العلاقة الفكرية ما بين القاعدة والإخوان، وصولاً إلى بعض الجماعات التي انبثقت من عباءة الإخوان، فالرسالة التي وجهها "**أيمن الظواهري**" - زعيم تنظيم القاعدة بمناسبة اعتداءات سبتمبر / أيلول ٢٠٠١ م - تضمنت أفكاراً شَديدة بالنسبة لمستقبل الأوضاع في مصر، والسيناريوهات الإخوانية المحتملة لإسقاط ما يعتبرونه انقلاباً عسكرياً ضِد الشرعية المتمثلة في حُكم الرئيس محمد مرسي الذي أسقطته ثورة الثلاثين من يونيو٢٠١٣ م، فخطاب الظواهري تَضمن تَهديدات مباشرة للولايات المتحدة الأمريكية، ووعد بهزيمتها في ميدان المواجهة، مع ما أسماه بالأمة المسلمة، لكنه تَضمن أيضاً انتقادات صريحة لجماعة الإخوان في مصر وتونس، واتهمهم بالتخلي عن الشريعة وحكم الشريعة، والقبول ببرلمانات وانتخابات داستها جنازير الدبابات، وأزهقت أرواح الآلاف من أنصارهم وقتلت المئات في الشوارع.

خطاب الظواهري المفعم بالتكفير الديني - أي تكفير المسلمين وتكفير مجتمعاتهم لأنها مجتمعات خارج حكم الشريعة - جاء أيضاً تكفيرياً من منظور الوطنية، فالوطن عنده ليست له قيمة معنوية، وأنه مجرد وجود مادي، والولاء للوطن ورموزه لا يَخرج أيضاً عن دائرة الكفر، ولذلك تعمد النيل من كل انتصار وطني واعتبره هزائم، وتعامل مع كل التاريخ الوطني باعتباره تاريخاً مِن الهزائم تحت حُكم ما أسماه بالعسكر، فحرب عام ١٩٥٦م، التي أعقبت تأميم "جمال عبد الناصر" لقناة السويس مِن أجل بناء السد العالي بِكل ما يَعنيه بناء السَّد كانت من وجهة نظره هزيمة امتدت إلى ١٩٦٧م، من دون أي اعتبار أو تقدير لانتصار أكتوبر / تشرين الأول ١٩٧٣م، فالدولة المدنية أو العسكرية لم تُحقق غير الهزائم، ولذلك وجب إسقاطها لأنها دولة كافرة.

هذا المنظور التكفيري كان شديد الوضوح في البيان الصادر عَمَّا يُسمى جماعة أنصار بيت المقدس بخصوص مُحاولة الاغتيال الفاشلة لوزير الداخلية المصري "محمد

إبراهيم"، فالبيان تحدث عن الجماعة باعتبارها جزءاً من الأمة المسلمة في مصر، مما يؤكد أن التنظيم لم يَعد يَحصر نشاطه داخل شبه جزيرة سيناء، وخَاصة في مُحافظة شمال سيناء، لَكنه امتد بنشاطه إلى العُمق المصري كله، وعلى الأخص في القاهرة، لكن الأهم أنه عَرضَ نَفسه باعتباره أحد أذرع جماعة الإخوان، وأنه استهدف بمحاولة اغتيال وزير الداخلية القصاص لشهداء "رابعة العدوية وميدان نهضة مصر"، وما أسماه بالاعتداء على النساء والأطفال، واقتياد حرائر نساء أرض الكنانة إلى السجون، مُفردات بيان تنظيم أنصار بيت المقدس، تَكشف أنه لم يَعد تنظيماً فلسطينياً أو حَماسياً فقط، ولكنه أضحى تنظيماً إخوانياً مصرياً، وأنه يَسير على طريق تنظيم القاعدة، ويستقي من النبع ذاته الذي أسسه الزعيم الإخواني السيد قطب، الذي أرسى قواعد شرعية الاغتيال السياسي في كتابه "معالم في الطريق"، حيث نَصَّ على أنه يَتحتم على الإسلام أن يُزيل هذه الأنظمة فهي معوقات التحرر العام، والإزالة هنا تكون بإزالة رموز الأنظمة، فهذه الاغتيالات هي – وفق مفاهيم السيد قطب – اغتيالات شرعية.

هذا المفهوم هو جَوهر عَقيدة تنظيم القاعدة وتفريعاته من أنواع تنظيم: "أنصار بيت المقدس" و"جماعة التوحيد والجهاد" التي تعد من أشهر وأخطر التنظيمات التكفيرية في سيناء، والتي انحرفت بالرسالة الجهادية نحو العدو الصهيوني إلى الجهاد ضد نظم الحكم العربية، من منطلق تكفير هذه الأنظمة، لذلك لم يكن غريباً أن يُسمي تنظيم أنصار بيت المقدس مُحاولة الاغتيال الفاشلة لوزير الداخلية المصري بـ "غزوة الثأر لمسلمي مصر"، ولم يكن غريباً أن يَتبع هذه المحاولة باعتداء على مَقر المخابرات الحربية المصري في رفح، وهو الحادث الذي راح ضحيته أحد عشر شخصاً من عسكريين ومدنيين، وأسفر عن إصابة سبعة عشر آخرين.

هذه التنظيمات التي انحرفت بالجهاد إلى التكفير؛ باتت تنظر إلى القوات المسلحة المصرية باعتبارها جيش طواغيت لحماية العدو الصهيوني، على نحو مَا جاء في البيان الخاص بعملية مَقر المخابرات الحربية المصرية في رفح.

وهكذا تتوحد المفاهيم والآليات بين القاعدة، والتنظيمات

التكفيرية داخل مصر، وعلى الأخص في سيناء أو جماعة الإخوان، الكل ينطلق الآن من منطلق تكفيري أرساه السيد قطب في مؤلفه "معالم في الطريق"، واتخذه الإخوان نهجاً فكرياً وحركياً، وكلهم الآن مُوحدون حول هدف إسقاط الدولة من قاعدة استهداف الجيش والشرطة.

اعتراف واضح بالإرهاب والقتل والتهديد، والمتهم بذلك ليس فقط تنظيم أنصار بيت المقدس، ولكن جماعة الإخوان، فالعلاقة عضوية بين الطرفين حسب ما سبق أن أكده القيادي الإخواني "**محمد البلتاجي**"، عندما ربط بين عودة الشرعية وتحرير الرئيس "**محمد مرسي**"، وبين وقف عمليات التفجير التي تحدث في سيناء، كما أكده تَوقف تنظيم أنصار بيت المقدس عن تفجير خط أنابيب الغاز المصري داخل سيناء خلال حكم مرسي، والعودة إلى مسلسل هذا التفجير يوم ٣٠ يونيو/ حزيران يوم تَفَجُّر الموجة الثانية للثورة المصرية.

هذا يعني أن ما يحدث الآن ليس مجرد اختلاف في الرأي أو مُجرد صراع سياسي سلمي، ولكنه إرهاب وتكفير للدولة

والمجتمع، وتهديد وإصرار على اغتيال الرموز الوطنية، وخوض حرب استنزاف ضد الجيش والشرطة من أجل إسقاط الدولة، تمهيداً لعودة الإخوان وأعوانهم إلى الحكم مجدداً، ولكنها عَودة تحت رايات تنظيم القاعدة والجماعات التكفيرية تفرض ما يُسمونه بحكم الشريعة كما يَفهمونها هم، وليس كما في الكتاب والسنة.

المطلب الثالث: دراسة وتحليل ظاهرة التَّطرُّف

وفي نهاية البحث كان لزاما علينا أن نبين أسباب التطرف ومنابعه عموما وما ورد في القرآن الكريم عن الجهاد والقتال باختصار وفق فكرنا الديني السوري وتفسيرنا العصري الجامع لكتاب الله عز وجل.

تمثِّل ظاهرة التَّطرُّف الدِّينيِّ أحد أهمِّ المشكلات الكبرى الَّتي عانت منها المجتمعات العربيَّة قديمًا وحديثًا، وسنحاول من خلال هذه درسنا تحليل هذه الظَّاهرة بالبحث في مختلف مسبِّباتها وتحديد أهمِّ انعكاساتها على أمن واستقرار الدُّول والمجتمعات، مع تقديم بعض الحلول العلميَّة والعمليَّة الكفيلة بمكافحتها.

وقد ورد في التَّفسير الجامع في تناوله لآيات الكفر والقتال والبغي والتَّطرُّف والعنف والإرهاب بيان أنَّ التَّطرُّف والعنف والإرهاب ليسوا من الإسلام في شيء[1]، وهي أعمال خطيرة لها

(١) في أوربا الغربية وفي الغرب: يقولون دائما عندما يكون هناك تطرف يقولون عنه يمين، بينما إذا كان هناك إجرام و ألصق بالإسلام فيقولون التطرف الإسلامي. من خطبة الجمعة للسيد وزير الأوقاف بتاريخ ٤/ كانون أول/ ٢٠٢٠م.

آثار فاحشة وفيها اعتداء على الإنسان وظلم له، ومن تأمَّل مصدرَي الشَّريعة الإسلاميَّة، كتاب الله الكريم وسنَّة نبيِّه ﷺ فلن يجد فيهما شيئًا من معاني التَّطرُّف والعنف والإرهاب، الَّذي يعني الاعتداء على الآخرين دون وجه حقٍّ.

ظاهرة الإرهاب ظاهرة عالميَّة:

إنَّ الإرهاب ظاهرة عالميَّة، لا يُنسَب لدين ولا يختصُّ بقوم، وهو ناتجٌ عن التَّطرُّف الَّذي لا يكاد يخلو منه مجتمع من المجتمعات المعاصرة. ومن تعريفات الإرهاب: أنَّه هو العدوان الَّذي يمارسه أفراد أو مجتمعات أو دول بغيًا على الإنسان (**دينه ودمه وعقله وماله وعرضه**)، ويشمل صنوف التَّخويف والأذى والتَّهديد والقتل بغير حقٍّ، وإخافة ابن السَّبيل وقطع الطَّريق، وكلَّ فعل من أفعال العنف أو التَّهديد يقع تنفيذًا لمشروع إجراميٍّ فرديٍّ أو جماعيٍّ.

ويهدف الإرهاب إلى إلقاء الرُّعب بين النَّاس أو ترويعهم بإيذائهم أو تعريض حياتهم أو حرِّيَّتهم أوأمنهم أو أحوالهم للخطر، كما يشمل صنوف إلحاق الضَّرر بالبيئة أو بأحد المرافق

والأملاك العامَّة أو الخاصَّة أو تعريض أحد الموارد الوطنيَّة أو الطَّبيعيَّة للخطر.

كما يُعتبَر التَّطرُّف الفكريُّ نوعًا من أنواع العمليَّات الإرهابيَّة، لكنَّ التَّطرُّف الفكريَّ يأتي قبل أعمال العنف، وهو بدوره يظهر بألوان متعدِّدة، مثل: التَّكفير، وانتهاك حقوق الإنسان والمرأة.

التَّصدِّي لظاهرة الإرهاب:

التَّصدِّي لظاهرة الإرهاب في العالم يتطلَّب أمورًا منها:

١. تتبُّع جذور مشكلة الإرهاب في المجتمعات.

٢. تسخير المعرفة الإنسانيَّة لمكافحتها.

٣. إيضاح الصِّلة بين جرائم الإرهاب وغيرها من المشكلات الأخرى.

٤. الاهتمام بالمنهج العلميِّ في مواجهة المشكلات.

٥. النَّظر من خلال التركيز على الأمن الفكريِّ.

٦. العمل على حماية حقوق وكرامة الإنسان في إطار الثَّوابت والقيم الَّتي أنزلها الله تعالى، وجعلها سببًا

للحياة الطَّبيعيَّة الكريمة، قال تعالى:

﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ﴾ [النَّحل: من الآية ٩٧].

٧. السَّعي لتوضيح ذلك للغرب لإدراك حقوق الإنسان في الإسلام.

فمن واجب المسلمين القيام بعرض تلك القيم والحقوق للآخرين، وتدريب وتأهيل الدُّعاة بهذا الفكر الإسلاميِّ الحقيقيِّ.

إذ إنَّ الفكر التَّكفيريَّ الوهَّابيَّ وفكر حركات الإسلام السِّياسيّ[1] هو وراء أيِّ عملٍ تفجيريٍّ، وهو ناتجٌ عن الفهم الخاطئ لبعض النُّصوص العامَّة للدِّين، ومن ذلك ابتكار النُّصوص وإخراجها عن سياقها ممَّا شكَّل عاملًا كبيرًا في نشأة الخطاب التَّكفيريِّ.

عن عبد الله بن مسعود ﷺ قال: خطَّ رسول الله ﷺ خطّاً

(١) الفكر الضال الفاسد: وهو الفكر الوهابي الإخواني المنحدر في أصله من فرقة الخوارج التي ظهرت في بداية الإسلام وانتهجت التكفير والقتل حتى بوجود كبار الشخصيات الإسلامية والمقربة. من مداخلة الشيخ المهندس عبد الله السيد عضو لجنة صياغة دستور الجمهو رية العربية السورية الموفد إلى جنيف.

بيده ثمَّ قال: «هذا سبيل الله مستقيمًا»، ثمَّ خطَّ عن يمينه وشماله ثمَّ قال: «هذه السُّبل ليس منها سبيلٌ إلَّا عليه شيطان يدعو إليه»

ثمَّ قرأ: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ﴾ [الأنعام : ١٥٣].

قال ابن عطيَّة: تعمُّ هذه السُّبل أهل الأهواء والبدع والشُّذوذ، فمن السُّبل والبدع والشُّذوذ الَّذي ابتُلِيَ به المسلمون قديمًا وحديثًا فئةٌ من النَّاس أخبر عنها النَّبيُّ ﷺ بقوله: «سيخرج قوم في آخر الزَّمان أحداث الأسنان، سفهاء الأحلام، يقولون من خير قول البريَّة، لا يجاوز إيمانهم حناجرهم، يمرقون من الدِّين كما يمرق السَّهم من الرَّميَّة»، ولا شكَّ أنَّهم التَّكفيريُّون الوهَّابيُّون.

فهؤلاء لديهم انحرافٌ عن المنهج الصَّحيح، وغبشٌ في العقيدة، وسطحيَّةٌ في التَّفكير، وخللٌ في تقدير المصالح والمفاسد، وعشوائيَّةٌ في التَّصرُّفات، لا علم لهم بفقه الكتاب والسُّنَّة، جرأتهم شديدة على كتاب الله تعالى وجنايتهم عظيمة على سنَّة النَّبيِّ ﷺ، يتمسَّكون بألفاظ أخذوا بظواهرها يظنُّونها

دينًا مقدَّسًا لا يجب أن يحيدوا عنه، بل ويدافعون عنه بحماسٍ يصل إلى حدِّ التَّهور.

يكفِّرون مجتمعات المسلمين دون النَّظر إلى الشُّروط والموانع، أي: إلى الشُّروط الَّتي لا بدَّ من توافرها ليكون فاعل الكفر كافرًا، والموانع الَّتي إن وُجِدت انتفى القول بالكفر، ويكفِّرون المجتمعات الدَّوليَّة ويسمُّونها بلاد الكفر.

وظنَّ هؤلاء وحدهم أومَن يذهب مذهبهم أنَّهم هم أهل الإيمان والإسلام، ورأوا أنَّ كلَّ خارجٍ عنهم خارجٌ عن الإسلام، يستبيحون ماله وعرضه إذا قدروا على ذلك.

آثار العقيدة الفاسدة:

وكان من آثار هذه العقيدة الفاسدة أيضًا أن:

١. نفوا باب الاضطرار في الشَّريعة.

٢. جعلوا الجاهل في التَّكليف كالعالم، والمتأوِّل كالمعاند.

٣. نفوا مصالح الرَّعيَّة جملة وتفصيلًا.

٤. جعلوا الشَّريعة الإسلاميَّة بلا حكمة ولا عقل.

وكان من آثار هذا:

أ- القول بحرمة التَّعامل مع المجتمع.

ب- وجوب العزلة عن المجتمع، والبدء في الدَّعوة إلى الإسلام من جديد كما بدأ رسول الله ﷺ مع أهل الجاهليَّة الأولى.

أهمُّ سمات المتطرِّفين:

ويمكن إجمال أهمِّ سمات المتطرِّفين في كلِّ العصور بالآتي:

١- أنَّهم قوم حدثاء الأسنان وسفهاء الأحلام وقليلو الفقه والتَّديُّن، ولم يتربَّوا على أيدي أهل العلم والفقه والقدوة.

٢- أنَّ أغلبهم ممَّن فيهم عاطفة دينيَّة بلا علم ولا فقه ولا بصيرة ولا تجربة، ولا اعتبار عندهم لأهل العلم والبصيرة والتَّجربة.

٣- أنَّهم استهو تهم فئة رؤساء الضَّلال من مثيري الفتنة ودعاة الفرقة؛ لأنَّهم مهيَّؤون لذلك.

٤- أنَّهم يأخذون بالمتشابه من النُّصوص موهمين النَّاشئة أنَّ

هذا هو المراد، ولا يرجعون لفقه الأئمَّة، وإن نسبوا للأئمَّة قولًا آخر ليتحقَّق لهم المراد، ومن يستقرئ التَّاريخ وأقوال أهل البدع يراهم دائمًا وأبدًا على هذه الوتيرة (**الاعتماد على التَّشابه والتَّلبيس به على العامَّة**)، وهذه صفة مَن في قلبه زيغٌ كما وصمهم بذلك الكتاب العزيز.

٥- أنَّ التَّكفير عنصرٌ أساسيٌّ في أفكار ومعتقدات هذه الجماعة، فهم يكفِّرون كلَّ من ارتكب كبيرة وأصرَّ عليها ولم يتب عنها، وكذلك يكفِّرون الحكَّام الَّذين لا يحكمون بما أنزل الله بإطلاقٍ ودون تفصيل، ويكفِّرون المحكومين؛ لأنَّهم رضوا بذلك وتابعوهم أيضًا.

٦- أنَّهم يكفِّرون العلماء لأنَّهم لم يكفِّروا هؤلاء ولا أولئك، كما يكفِّرون كلَّ من عرضوا عليه فكرهم فلم يقبله، ولم ينضمَّ إلى جماعتهم ولم يبايع إمامهم وأميرهم المزعوم.

أمَّا مَن انضمَّ إلى جماعتهم ثمَّ تركها فهو مرتدٌّ حلال الدَّم، وكذلك التَّيَّارات الإسلاميَّة إذا بلغتها دعوتهم ولم تبايع إمامهم فهي كافرة مارقة من الدِّين.

فعلى المسلم أن يعرف الأحكام بأدلَّتها.

٧- أنَّهم لا يجوز لديهم التَّقليد في أيِّ أمر من أمور الدِّين، ويرون أنَّ قول الصَّحابيِّ وفعله ليس بحجَّة عندهم ولوكان من الخلفاء الرَّاشدين، فقد قالوا بحجِّيَّة الكتاب والسُّنَّة فقط، ولكن كغيرهم من أصحاب البدع الَّذين اعتقدوا رأيًا ثمَّ حملوا ألفاظ القرآن عليه، فما وافق أقوالهم من السُّنَّة قبلوه، وما خالفها تحايلوا في ردِّه أوردِّ دلالته.

٨- أنَّهم زعموا أنَّ الدَّعوة لمحو الأمِّيَّة دعوة يهو ديَّة لشغل النَّاس بعلوم الكفر عن تعلُّم الإسلام، فما العلم إلَّا ما يتلقَّونه في حلقاتهم الخاصَّة.

وأخطر ما ظهر من آثارهم هو ظهو ر هذه الفتن الدَّمويَّة الَّتي تُستباح فيها دماء النَّاس.

هذا حال هؤلاء، فقديمًا يقتلون أبناء الأمَّة ويستنفذون طاقاتها، ويضيِّعون جهو دها بإخماد نار فتنتهم بتجييش الجيوش لمحاربتهم واستنفاذ وقت العلماء بالرُّدود عليهم وبيان ضلالاتهم.

وأمَّا حديثًا يقومون بهدر طاقات الشَّباب وتمزيق شملهم

وإزهاق الأرواح البريئة، وإتلاف الأموال، وترويع الآمنين، والإخلال بالأمن، وتشويه صورة الإسلام، فصار من يحمل هذا الفكر الخطير يشكِّل عقبة كؤودًا في طريق الدُّعاة وطلبة العلم وكلِّ من عمل لنشر هذا الدِّين.

ومن خطر هؤلاء التَّكفيريِّين أو الخوارج الجدد: تنفير ضعاف الإيمان، وصدُّ غير المسلمين عن هذه الدَّعوة لما يحملونه من عنف ودمويَّة.

فهم غلاة متفيهقون ضالُّون في التَّصوُّر والاعتقاد والسُّلوك، يقول رسول الله ﷺ: «**هلك المتنطِّعون**»، والتَّنطُّع من سماتهم الأساسيَّة وسلوكهم.

وقد حارب الإسلام الإرهاب من خلال:

١- محاربة الغلو والتَّطرُّف والتَّنطُّع كما حارب التَّحلُّل والتَّسيُّب والتَّفلُّت من القيود سواء بسواء.

٢- العمل على تأكيد وحدة الجنس البشريِّ، وأكَّد أنَّ الاختلاف بين الشُّعوب والقبائل طريق للتَّعارف والتَّعاون، مع التَّساوي في الحقوق والواجبات.

٣- الاعتراف بحقِّ الإنسان في الحياة والكرامة والحرِّيَّة دون النَّظر إلى لونه أو جنسه أودينه.

وقد جاءت العقوبة مغلَّظة لمن أرهب النَّاس وأخافهم، مثل عصابات قطَّاع الطُّرق، وهؤلاء هم الَّذين يسعون في الأرض فسادًا، وقد حكم الله عليهم بأشدِّ العقوبات كفًّا لشرِّهم، وحفظًا لأموال النَّاس ودمائهم وأعراضهم.

المطلب الرابع: القتال والجهاد والتَّكفير

يمكن لكلِّ عاقل فهم الآيات القرآنيَّة الَّتي نزلت في القتال، وما يتعلَّق منها بسير أحكام الجهاد من خلال أفعال النَّبيِّ ﷺ وتفسيراته وتقريراته، ثمَّ من خلال ما انتهجه صحابة رسول الله ﷺ وآل بيته الكرام في الأمور الَّتي طرأت بعد انتقال الرَّسول ﷺ إلى الرَّفيق الأعلى[1].

حيث يقول الله تعالى: ﴿ **وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ** ﴾ [البقرة: من الآية ١٩١]، ويقول في الآية القرآنيَّة الكريمة أيضاً:

﴿ **وَقَٰتِلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمْ كَآفَّةً** ﴾ [التَّوبة: من الآية ٣٦]

فلا يمكننا الفصل بين هذه الآيات وغيرها في التَّفسير، ولا بدَّ لمن يريد أن يستدلَّ بهذه الآيات الكريمة على معنًى مقصود، أن يكون ملمًّا **بالظَّرف الَّذي نزلت فيه، والسِّياق الَّذي جاءت به، والمكان والزَّمان اللَّذَين نزلت فيهما.**

وفي آيات أخرى من كتاب الله يقول الله تعالى: ﴿ **مَن قَتَلَ**

(١) انظر: التفسير العصري الجامع (١/ ٢٠-٢١).

﴿ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ﴾ [المائدة: من الآية ٣٢].

ويقول جلَّ وعلا: ﴿ لَآ إِكْرَاهَ فِي ٱلدِّينِ ﴾ [البقرة: من الآية ٢٥٦]

ويقول جلَّ وعلا: ﴿ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ﴾ [الكهف: من الآية ٢٩]

فلا يمكن لأحد مهما بلغ من العلم أن يقتطع الآية القائلة: ﴿ وَقَٰتِلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً ﴾ [التّوبة: من الآية ٣٦]

ويقول: إنَّني أُمِرتُ بقتال المشركين جميعًا، ففي هذا تحريف للتَّفسير عن المنحى الحقيقيِّ للآية، ولويٌ للنَّصِّ وانحياز عن مقاصد الشَّريعة وحقيقة التَّشريع الإسلاميِّ، وخروج عن تفسير القرآن بالقرآن.

فهل المعنى المقصود بعد هذا الاقتطاع أنَّ النَّبيَّ ﷺ أُمِر بأن يقاتل النَّاس؟!.

كيف يكون ذلك ونحن نقول: إنَّ الإسلام لا يجبر النَّاس على الإيمان؟! لأنَّ الإيمان محلُّه القلب فهو : «ما وقر في القلب

وصدَّقه العمل»[1]، والإسلام عقيدة؛ والعقيدة تنعقد وتستقرُّ في القلب كالعقدة المربوطة، ولا يمكن للإيمان أن ينعقد في القلب إلَّا إذا اقتنع به العقل، وقد جعل الله لنا السَّمع والأبصار والأفئدة من أجل أن نعقل ثمَّ نؤمن بنتيجة العلم اليقينيِّ الَّذي توصَّلنا إليه[2].

متى نُؤمَر بالقتال؟

الحقيقة أنَّ ديننا أمرنا أن نقاتل المعتدين ونردَّ العدوان، والجهاد إنَّما يأتي منَّا ردًّا على العدوان، وليس كما يفهمه أصحاب الحركات الإرهابيَّة والفكر المتطرِّف، من أنَّ الجهاد إنَّما هو لنشر الدَّعوة بالإجبار والإكراه، وفي هذا تناقض بيِّن واضح مع مفهو م الآية القرآنيَّة السَّابقة الذِّكر: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ وكذلك يظهر التَّناقض والتَّعارض مع سيرة المصطفى ﷺ الَّتي هي الطَّريق الثَّاني لتفسير القرآن الكريم بعد تفسير القرآن بالقرآن، فحين دخل رسول الله ﷺ مكَّة فاتحًا قال لأهلها مقولته المشهورة: «اذهبوا فأنتم

(١) مصنّف ابن أبي شيبة: كتاب الإيمان والرّؤيا، الحديث رقم (٣٠٣٥١).

(٢) انظر: التفسير العصري الجامع (١/ ٤٢-٤٣).

الطُّلقاء»[1]، ولم يقاتلهم، ولم يأمر صحابته بقتل أحد.

وفي حجَّة الوداع يوم أن خطب رسول الله ﷺ وكانت خطبته تلك خطبة الوداع الأخيرة في عرفات، وتضمَّنت وصيَّته الَّتي ودَّع بها الأمَّة كلَّها، والوصيَّة إنَّما تكون أصدق الكلام الَّذي يصدر عن الإنسان، فهي آخر كلام يقوله.. وفيها قال عليه الصَّلاة والسَّلام: «فلا ترجعوا بعدي كفَّارًا، يضرب بعضكم رقاب بعض»[2]، إذن فالَّذي يضرب الرِّقاب ليس مسلمًا ولا مؤمنًا، فالمسلم لا يحقُّ له ضرب الرِّقاب، وليس له أن يقتل إلَّا بالحقِّ، والحقُّ المقصود هنا، هو ردُّ الاعتداء وردُّ العدوان.

وممَّا يؤكِّد ذلك أنَّه عندما قامت جيوش الفتح الإسلاميِّ بفتح العراق والشَّام ومصر والمغرب العربيِّ لم يرفعوا السَّيف لإجبار النَّاس على الإسلام، بل تركوا النَّاس على دياناتهم[3].

---

(١) انظر: سيرة ابن هشام (٤/ ٣٢).

(٢) صحيح البخاريّ: كتاب الحجّ، باب الخطبة أيّام مِنى، الحديث رقم (١٦٥٤).

(٣) انظر: التفسير العصري الجامع (١/ ٩٨-٩٩).

المطلب الخامس: ضرر الادِّعاء الكاذب

الشَّخص الَّذي يدَّعي الإيمان ولا يلتزم بتكاليفه من غير عذر يكون فتنة لغيره، والَّذي يقوم بالموبقات والتَّكفير والقتل والإرهاب وسبي النِّساء، ويتبنَّى جهاد النِّكاح، ويسلب أموال النَّاس، ويقطع الطُّرقات، ويرتكب الفواحش، فهو بلا شكٍّ يُسيء للدِّين؛ لأنَّ أوامر الدِّين واضحة صريحة لا تحتمل التَّأويل، فالصَّلاة صلاة ولا تُفسَّر بغير ذلك، ولا يُقبَل قول من يقول: إنَّ الصَّلاة في القلب، وكذلك الصَّوم فإنَّ شروطه معروفة، وآيات الأحكام في كتاب الله واضحة بيِّنة للنَّاس جميعًا.

وقد بيَّن الله عز وجل في آيات سابقة صفات المؤمنين، وصفات الكافرين، وقولنا: هذا كافر، ليس معناه أن يُقتَل، وقد أمرنا الله عز وجل بقتال المعتدين وليس بقتال الكافرين ولا المشركين.

وأمَّا قوله عز وجل: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ﴾ [الحجّ: ٣٩- ٤٠]

فهو إذنٌ بالقتال وسببه الظُّلم الواقع على المؤمنين[1].

ولننظر كيف انتقل القرآن الكريم إلى الحديث عن أحكام القتال بوضوح وبيان لا يحتمل أوجهًا متعدِّدة، بل هو وجه واحد من خلال قوله تعالى: ﴿ وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ﴾ [البقرة: ١٩٠] قتال مقابل اعتداء، وليس غير ذلك.

بالمقابل نرى أصحاب الحركات الإرهابيَّة المتطرِّفة والتَّكفيريَّة قد استغلُّوا واستثمروا وحرَّفوا معاني بعض الآيات القرآنيَّة من خلال الفهم الخاطئ، والتَّفسير المبتور غير الدَّقيق، والمفتقر إلى الصِّحَّة.

وقد اختصر هؤلاء -**بما يحملونه من تطرُّف وتكفير وإرهاب مذ أن نشأ الخوارج وحتَّى يومنا هذا**- سيرة النَّبيِّ المصطفى ﷺ وسنَّته وسلوكه وآيات القرآن الكريم بالغزوات والقتال..

لا ننكر أنَّ **الجانب القتاليَّ هو جانب من جوانب الحياة، بحيث لا يمكننا تجاهل وجوده في حياة النَّاس، ومن الطَّبيعيِّ أن**

(١) انظر: التفسير العصري الجامع (١/ ١١٩-١٢٠).

تحدث اعتداءات ومشاجرات بين النَّاس فيحدث قتال، فهو جانب موجود بلا ريب، ولكنَّ هذا الجانب لا يتعلَّق بآية واحدة فقط يأخذونها ويبترونها عن أسباب النُّزول، ومناسبة السُّورة لواقعة أوحكم شرعيٍّ، أوعن تقرير للنَّبيِّ ﷺ، أوعن فهم اللُّغة العربيَّة فيأخذونها ويلغون مئة وعشرين آية تتعلَّق بالحوار والمسالمة، فكلُّ هذه الأمور تمَّ إلغاؤها من قبل الإرهابيِّين والتَّكفيريِّين، واستثمروا هذه الآيات لتكون بوَّابة عبور لهم، فيدخِلون الاضطراب الفكريَّ في عقول المسلمين، ويخدعون بعض المسلمين من خلال الإيهام بأنَّ الإسلام هو جهاد وحسب، وأنَّ الإسلام هو قتال، ورغم أنَّ كلَّ الآيات المتعلِّقة بالقتال لا تأخذ من كتاب الله ﷻ ومن سنَّة النَّبيِّ ﷺ إلا حيِّزًا بسيطًا من نواحي الحياة.

تفسير خاطئ وتصحيحه:

أمَّا تفسير هؤلاء لقوله تعالى : ﴿ **وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ** ﴾ فهو تفسير حادوا فيه عن الصَّواب فقالوا: إنَّ معناه المقصود هو الدَّعوة إلى الله، والحقيقة أنَّ هذا ليس صحيحًا، بل وهل هم من

يحدِّد معنى: «في سبيل الله»؟!

والجواب الصَّحيح الَّذي يُظهر قصر عقولهم: ما أوضحه رسول الله ﷺ حيث قال: «**من قُتِل دون ماله فهو شهيد، ومن قُتِل دون دينه فهو شهيد، ومن قُتِل دون دمه فهو شهيد، ومن قُتِل دون أهله فهو شهيد**»[1]، فالدِّفاع عن الأرض وعن الوطن أمام غوائل المعتدين والطَّامعين هو القتال المصرَّح به والمأمور به، والَّذي أمر الإسلام به المسلمين...

وعندما قال النَّبيُّ ﷺ: «**أُمِرتُ أن أقاتل النَّاس حتَّى يشهدوا أن لا إله إلَّا الله وأنَّ محمَّدًا رسول الله، ويقيموا الصَّلاة، ويؤتوا الزَّكاة، فإذا فعلوا ذلك عصموا منِّي دماءهم وأموالهم إلَّا بحقِّ الإسلام، وحسابهم على الله**»[2].

والمقصود بالنَّاس في حديث النَّبيِّ ﷺ: «أُمِرْتُ أنْ أُقاتِلَ النَّاسَ» ليس كلُّ النَّاس، وإنَّما هم فئة المشركين الَّذين نقضوا

---

(١) سنن التّرمذيّ: كتاب الديّات، باب فيمن قُتل دون ماله فهو شهيد، الحديث رقم (١٤٢١).

(٢) صحيح البخاريّ: كتاب الإيمان، باب: (فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ) الحديث رقم (٢٥).

العهد في صلح الحديبية، ولفظة (النَّاس) هنا ليست للاستغراق والإطلاق، وإنَّما هي بمثابة استخدامها في سورة النَّصر، حيث يقول تعالى: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ۝١ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا﴾ [النّصر: ١-٢]، فلم يكن حينها قد دخل النَّاس كافَّة في دين الله، وإنَّما مجموعة فقط هي الَّتي دخلت، لكن أحيانًا يُطلَق العامُّ على الخاصِّ، فيُفهَم معنًى بخلاف المقصود ممَّن لا يفهم أسرار اللُّغة العربيَّة فيحرِّف مفهوم القرآن ومفهوم حديث النَّبيِّ ﷺ ...

ومن ذلك أيضاً ما اتُّهِم به الإسلام ووُصِم به من إرهاب، من جرَّاء الفهم الخاطئ لمعنى قوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾[الأنفال: ٦٠]

فقد فسَّر أولئك التَّكفيريُّون كلمة (ترهبون) على أنَّها إرهاب، والإرهاب في اللُّغة العربيَّة يختلف معناه عن معنى الإرهاب المستخدم اليوم والمتعارف عليه في شرق العالم وغربه.

فالإرهاب: هو ترويع الآمنين، والاعتداء عليهم، ومعناه أيضًا: القتل والتَّفجير والتَّخريب، أمَّا معنى الإرهاب في الآية: فهو المنع من الاعتداء، فيختلف الأمر تمامًا؛ لأنَّه إعداد ﴿ **وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ** ﴾ [الأنفال: من الآية ٦٠]، أي: تمنعونهم من الاعتداء عليكم، وهو المعنى اللُّغويُّ والمعنى الشَّرعيُّ الاصطلاحيُّ الصَّحيح.

وكلُّنا يعلم أنَّ الإسلام مشتقٌّ من مادَّة السَّلام، فمن أين جاءت كلمة الإرهاب؟!.

ومن ذلك أيضاً ما تناولوه حول كلمة الجهاد فأثاروا حولها الشُّكوك والشُّبهات لدى أعداء الإسلام ومن أرادوا زرع الفتنة والقتل والإرهاب في تعاليم الإسلام.

فالجهاد في معناه الصَّحيح: هو بذل الجهد.

يقول الله تبارك وتعالى: ﴿ **وَجَٰهِدْهُم بِهِۦ جِهَادًا كَبِيرًا** ﴾ [الفرقان: من الآية ٥٢]؛ أي: بكلام الله تعالى، وهو القرآن الكريم، ولا يُقصَد دائمًا بالجهاد الجهاد القتاليُّ، فالجهاد القتاليُّ: هو دفاعٌ

عن الوطن والأرض والعرض، وليس اعتداءً على الآخرين أو إرغامًا لهم على عقيدة الإسلام[1].

حجَّة الرَّبط بين الإسلام والإرهاب:

وهنا لا بدَّ من أن نذكر أنَّه -بعد أحداث أيلول، وما تمَّ في نيويورك- بدأ الهجوم على الإسلام، ورُبِطَ الإرهاب بالإسلام، وهو ما أرادته الصُّهيونيَّة العالميَّة، حتَّى وصلنا إلى ما وصلنا إليه، وبعد هذه الأحداث كان هناك محاضرةٌ في جامعةٍ بواشنطن لأستاذٍ اسمه (د.بات) من ولاية (أركنسون) -وهو متصهينٌ- ولو بحثنا عن كلِّ ما يتعلَّق بالعداء للأمَّة العربيَّة والإسلاميَّة وجدنا أنَّ وراءها أصابع اليهود المجرمين، فقد قال الله تعالى: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ﴾ [المائدة: من الآية ٨٢]

قام (د.بات) أمام الآلاف من الطُّلَّاب -وبينهم طلَّابٌ مسلمون- وقال كلمتين فقط: نحن لن نستطيع أن نعيش أبدًا مع أُناسٍ يقول كتابهم المقدَّس -يقصد القرآن الكريم ﴿وَٱقْتُلُوهُمْ

(١) انظر: التفسير العصري الجامع (٥/ ١٦٠-١٦١).

﴿ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ ﴾ [البقرة: من الآية ١٩١]، وجلس، وبدأ التَّصفيق في الجامعة، لم يتحدَّث إلَّا بهاتين الكلمتين فقط، فقام طالبٌ مسلمٌ ليردَّ عليه فقال: لقد قلت يا دكتور: بأنَّ القرآن الكريم يقول: ﴿ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ ﴾ فهل يمكن أن تعيرني المقصَّ السِّحريَّ الَّذي استخدمته في قصِّ كلمات القرآن الكريم من سياقها؟! فإذا استعرت هذا المقصَّ فإنَّني أستطيع أن أجد لك أشدَّ من هذه الكلمات في برنامج أوفي منهاج الصَّفِّ الأوَّل في الجامعة وفي أيِّ مادَّةٍ من الموادِّ، لكن ليس هذا هو الجواب، فالجواب أحد احتمالين: إمَّا أن تكون جاهلًا بأنَّ تتمَّة الآية القرآنيَّة هي:

﴿ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ ﴾ أي: أنَّ القتال يكون لمن اعتدى وأخرج المسلمين من ديارهم، وإمَّا أنَّك تكذب، وأنا أعتقد أنَّه لا يمكن أن أتحاور مع جاهلٍ أو مع كاذبٍ، فانقلب الحضور جميعًا بالتَّصفيق لهذا الشَّابِّ، وهذه هي الحقيقة، فما يحدث معنا هو إمَّا أن يكون هناك جهلٌ في تفسير آيات القرآن الكريم، أو أن يكون هناك كذبٌ متعمَّدٌ، فالتَّفسير

مهمٌّ جدًّا ويجب أن يكون مع سياق الآية القرآنيَّة إضافة إلى العلم بأحكام التَّفسير[1].

أخيراً:

إن الترويج لفكرة الفصل ووجود اختلاف بين جماعات الإسلام الحركي، المسلح والسياسي، هي محاولات يائسة وفاشلة عملياً وموضوعياً، الغاية منها إعادة تجميل الصورة، وتبرئة جماعات الإسلام السياسي وعلى رأسها الإخوان المسلمين، وتنقية تاريخهم ومسيرتهم من طابع العنف الذي اشتهرت به، وهذا ضرب من المستحيل.

* كما أن حجم التقارب والانسجام بين هذين التيارين بات بائناً في سائر مسارات العمل السياسي والفعاليات الاجتماعية التي ظهرت بعد انطلاق الخريف العربي، وكل ما يجري بينهما من مناوشات ومعاكسات لا تتعدى فكرة التنافس بحكم التماثل أو الاشتراك في الساحة إذ أن الإثنين متفقان منهجياً وأيديولوجياً، لكنهما يتنازعان نفس القاعدة البشرية، وبالتالي هناك ما هو أقرب

(١) انظر: التفسير العصري الجامع (١١/ ١٩-٢٠).

إلى التشابه منه إلى الاختلاف أو العداء بين الطرفين ..

* لم يعد خافياً أنّ وجود تيارات الإسلام الحركي ذات الطابع العنفي ليس حالةً مؤذيةً أو متناقضةً مع وصول الفئة الإسلاموية السياسية إلى الحكم، بل هي تشكل بالنسبة لهذه الأخيرة عصا غليظة يمكن أن تلوح بها فوق رؤوس كافة مرافق الدول التي وصلت إلى حكمها من قضاء ومؤسسات عامة، وحتى جهات معارضة، في الوقت الذي يمكن لها أن تتبرأ من أفعالها حسب مقتضيات الحالة القائمة.

كما يمكن لها استثمارها في علاقاتها مع الدول وخاصةً دول الغرب، عبر وضع تلك الدول أمام خيارين إما القبول بهم وبحكمهم كممثل للإسلام المعتدل، أو أن يستعدوا لخيار التيار الإسلاموي المتطرف، وبالتالي ستجد تلك الدول نفسها مضطرة للقبول بهم كوجه معتدل للإسلام ، وفي حال كان تقييمهم لدى تلك الدول كمتطرفين فإن خيار تلك الدول يكون بالحد الأدنى ما بين إسلام سياسي وإسلام مسلح، وبالتأكيد سيقع الخيار على أهون الشرين المتمثل بالتيار السياسي ..

* ولعل غالبية الدول الغربية قد استشعرت مؤخراً خطر الزمرة الإخوانية المنحرفة، بعد تغلغل عناصر تلك الجماعة في

الوسط الأوربي، والدور المتطرف الذي لعبوه على مدار عقود من الزمن من بث للفكر المسموم، وتقديم صورة مشوهة عن الدين الإسلامي الحنيف للمجتمعات الغربية، وتأكدت هذه الخطورة من خلال بعض العمليات العنفية التي شهدتها بعض الدول الأوربية بدافع التشدد والتطرف الديني، بالرغم من حرص الجماعة الإخوانية الدائم على عدم وقوعها ضمن دائرة الشبهات في مثل هذه العمليات، عبر الدفع بأشخاص متشددين إلى مسرح التنفيذ كحالة فردية، أو من خلال عناصر تتبع للجماعات التي خرجت من رحم الجماعة.

وضمن هذا السياق سُجل تصريح لرئيسة وحدة دراسات الشرق الأوسط في المعهد الأوروبي للبحر الأبيض المتوسط لوروديس فيدال مفاده: إن مشكلتنا مع الإخوان المسلمين لا تكمن في ممارسة العنف، فهم لا يفعلون ذلك في أوروبا مثلما يحدث في بعض دول الشرق الأوسط، لكن خطورتهم هنا تكمن في عملهم الدائم على خلق بيئة أيديولوجية ودينية تتبنى مثل هذه الأفكار المتشددة.

المطلب السادس: أمثلة من التَّفسير العصريِّ الجامع عن معالجة الخلط في فهم آيات الكفر والتَّكفير وربطها بالإرهاب

عند تفسير قوله تعالى: (الآية ٦ من سورة البقرة):

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ [البقرة : ٦]

الكفر في اللُّغة العربيَّة: هو السَّتر، وليس في الكلمة ما يوحي بما سوَّغه بعضهم من جرائم قتل وإرهاب وذبح للبشر، وليس هناك ارتباط بين كلمة (كفر) وبين القتل. فالكفر عمليَّة عقليَّة فقط، وقد قال تعالى: ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ۝١ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۝٢ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۝٣ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ۝٤ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۝٥ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ ﴾ [الكافرون١-٦] فأنت تستر ما أعتقد، ولا تؤمن بما أؤمن، فهذه هي الكلمة، وأمَّا الَّذين يكفِّرون النَّاس ويمارسون القتل والإجرام والإرهاب[1]، ويُسمُّون أنفسهم

(١) إن نظرنا إلى كافة الحركات المتطرفة في هذا العصر بدءًا من تنظيم القاعدة الدولي وفروعه كتنظيم القاعدة في جزيرة العرب وفي مالي وحركة الشباب في الصومال وبوكو حرام في نيجيريا وصولًا على القاعدة في العراق ثم إلى تنظيم=

بالإسلاميِّين فليسوا من الإسلام في شيء، ولا علاقة لهم به[1].

واستخدام كلمة (الكفر) بمعنى (السَّتر) لا يعني القتل، وقد جاء في القرآن الكريم قوله تعالى:

﴿كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ﴾ [الحديد: من الآية ٢٠]، والكفَّار هم الزُّرّاَع، فالزَّارع كافر؛ لأنَّه يستر البذرة في الأرض، فاستخدم القرآن كلمة "كفَّار" عن "الزُّرَّاع".

والكفر لا يُستخدَم فقط للدِّين، فهناك من يكفر بالنِّعم، والله تعالى يقول: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ [إبراهيم: ٧]، فالكفر هنا هو جحود النِّعمة.

وهذا يدلُّ على أنَّ الكفر قضيَّة عَقَديَّة وليست سلوكيَّة،

=الدولة في العراق الذي تطوَّر فيما بعد إلى تنظيم الدولة في العراق والشام (**داعش**) الذي انشق عن جبهة النصر وغيرها، فإننا نجد تلك الحركات جميعًا تعود في أساسها الفكري والعقائدي والتنظيمي إلى ذلك التزاوج المقيت بين الوهابية كفكر وعقيدة والتي شكلت عبر مئتي سنة مخزون التكفير والإلغاء للآخرين، وبين الإخوان المسلمين كتنظيمٍ وحركيَّة، ومن ينظر في قادة القاعدة ومؤسسيها يرى بوضوح مثل هذا التزاوج .من مداخلة الشيخ المهندس عبد الله السيد عضو لجنة صياغة دستور الجمهورية العربية السورية الموفد إلى جنيف.

(١) انظر: التفسير العصري الجامع (١/ ٩٤-٩٥).

والعقوبة تكون على السُّلوك لا على المعتقد، بدليل أنَّ القرآن الكريم قال: ﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ ﴾ [البقرة: من الآية ٢٥٦]، وقال: ﴿ وَقُلِ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكُمۡۖ فَمَن شَآءَ فَلۡيُؤۡمِن وَمَن شَآءَ فَلۡيَكۡفُرۡۚ ﴾[الكهف: من الآية ٢٩]، أي: لا تُعاقب أحدًا على العقيدة، ولا تُعاقب على الدِّين، ولا تُعاقب على الاختيار؛ لأنَّ الله تعالى ترك للإنسان حرِّيَّة الاختيار وقال لرسوله ﷺ: ﴿ فَذَكِّرۡ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٞ ٢١ لَّسۡتَ عَلَيۡهِم بِمُصَيۡطِرٍ ٢٢ إِلَّا مَن تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ ٢٣ فَيُعَذِّبُهُ ٱللَّهُ ٱلۡعَذَابَ ٱلۡأَكۡبَرَ ٢٤ إِنَّ إِلَيۡنَآ إِيَابَهُمۡ ٢٥ ثُمَّ إِنَّ عَلَيۡنَا حِسَابَهُم ﴾[الغاشية: ٢١-٢٦].

فالدِّين عقيدة وتفكير، وليس قتلًا وتقتيلًا، وليس إكراهًا وإجبارًا.

وعندما يتحدَّث الله تعالى عن الكفر وعن التَّكفير فيجب أن نفرِّق بين أن يكون القائل هو الله تبارك وتعالى أو الإنسان. فأنت عندما تطلق على إنسان أنَّه كافر فما أدراك؟! ربَّما قام بعمل من أعمال الإسلام وهو غير مسلم، وربَّما يؤمن قبل موته بلحظات.. وحين يتحدَّث الله تعالى عن الكافرين فإنَّه يتحدَّث بعلمه وليس بعلمك، بمقاييسه وليس بمقاييسك، وحين يقول تبارك وتعالى:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝٦﴾ [البقرة : ٦] فإنَّه تعالى يتحدَّث بعلمه وأنت لا تستطيع أن تحيط بعلمه بالحوادث[١].

ولقد حاربت الوهَّابيَّة احتفالات المولد النَّبويِّ وصلاة الاستسقاء، وهدمت الآثار الإسلاميَّة وأزالتها لتقطع الأمَّة عن تاريخها، ومسحت الأضرحة والقبور، وحاربت معظم تعاليم الإسلام الصَّحيحة، وجعلت دينًا موازيًا للدِّين الحقِّ، حتَّى التَّوسُّل برسول الله ﷺ جعلته محرَّمًا، فأنت لا تستطيع الوقوف عند قبر الرَّسول ﷺ ولا يمكنك التَّوسُّل به، وهم الَّذين اخترعوا التَّكفير والقتل، وبرَّروا بالتَّكفيرِ القتلَ، وقطع الرُّؤوس. وقد استسقى سيِّدنا عمر بالعبَّاس عمِّ رسول الله ﷺ حين حدث في عهده جفاف وقحط. فالتَّوسُّل برسول الله ﷺ وآل بيته هو جزءٌ لا يتجزَّأ من إيماننا بهذا الدِّين[٢].

إنَّ الحرب على الله سبحانه وتعالى هي الاعتداء على سلطته

---

(١) انظر: التفسير العصري الجامع (١/ ١٠١).

(٢) انظر: التفسير العصري الجامع (١/ ٢١٦-٢١٧).

سبحانه وتعالى في التَّشريع، وعلى الصَّنعة الَّتي صنعها والَّتي هي الإنسان، فقانون صياغة الصَّنعة هو للصَّانع، والصَّانع هو الخالق، والخالق هو الله تبارك وتعالى، أمَّا بالنِّسبة للحرب على رسول الله ﷺ فهناك وصفان:

١- في حياته: عندما حاربه أعداؤه.

٢- بعد انتقاله ﷺ إلى الرَّفيق الأعلى، فالحرب هنا هي الحرب على تشريع رسول الله ﷺ. ومن المعلوم وكما قلنا سابقًا: إنَّ الله سبحانه وتعالى منح الرَّسول الكريم ﷺ سلطة التَّشريع بالنِّسبة للأحكام وبيان القرآن الكريم، وقد حصَّن النَّبيُّ ﷺ هذا التَّشريع بقوله: «**إنَّ كذبًا عليَّ ليس ككذبٍ على أحد، من كذب عليَّ متعمِّدًا فليتبوَّأ مقعده من النَّار**» [(١)]؛ لأنَّ كلام الرَّسول ﷺ هو تشريعٌ، وهو كلامٌ يوحى، فلا نستطيع أن نفصل الرَّسول ﷺ عن الرِّسالة، وهذا أمرٌ مهمٌّ جدًّا، فالقرآن الكريم يعطي الأحكام الإجماليَّة: ﴿ **وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ** ﴾ [البقرة: من الآية ٤٣]، ولكنَّه لم يبيِّن ما هي الصَّلاة، وما أحكامها، وكيفيَّة إقامتها وفرائضها وسننها...، وهذا ما حدَّده الرَّسول ﷺ.

ففي كلِّ مجرى في حياة الإنسان بالنِّسبة للمواريث والزَّواج والطَّلاق والحدود فعل الرَّسول ﷺ وكلامه ونهيه هو تشريعٌ؛ لأنَّ الله عزَّ وجلَّ قال: ﴿ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ ﴾ [المائدة: من الآية ٩٢]، ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْ ﴾ [الحشر: ٧].

﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [آل عمران: ٣١].

﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴾ [النساء: ٦٤]

فأنت لا تستطيع أن تعبد الله سبحانه وتعالى من دون الرَّسول ﷺ، فالحرب على الرَّسول ﷺ هي أن تحارب ما جاء به، كسنَّته ﷺ بأقواله وأفعاله وعلاقاته مع زوجاته وأصحابه وجيرانه وعلاقته مع النَّاس من حوله وما أمر به وما نهى عنه وما سكت عنه وما أقرَّه وما وافق عليه.. فكلُّ هذا هو تشريع الرَّسول ﷺ.

﴿ويسعون في الأرض فساداً﴾ أضاف المولى سبحانه وتعالى

أمرًا آخر، فجعل الَّذي يفسد في الأرض كالَّذي يحارب الله ورسوله، والإفساد في الأرض إمَّا أن يكون بالقتل أو السَّرقة أو الاعتداء على الأعراض وحرمات النَّاس، لذلك نرى أنَّ المولى عزَّ وجلَّ غلَّظ في موضوع الفساد وما يتعلَّق به؛ لأنَّه سبحانه وتعالى يحبُّ المصلحين، فكلُّ عمليَّة إفسادٍ هي إفسادٌ لصنعة الله جلَّ جلاله، والله سبحانه وتعالى إنَّما يتقبَّل العمل من المتَّقين، وليس من المفسدين، يقول سبحانه وتعالى:

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُصۡلِحُ عَمَلَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴾[يونس: من الآية ٨١].

﴿ ذَٰلِكَ لَهُمۡ خِزۡيٞ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ [المائدة: ٣٣].

هذا التَّغليظ في الجزاء لمن يحارب الله سبحانه وتعالى ويحارب رسوله ﷺ ويسعى في الأرض فسادًا بأنَّ له في الدُّنيا خزيًا وفي الآخرة عذابًا عظيمًا. والخزي: في اللُّغة العربيَّة إمَّا استحياءٌ وإمَّا فضحٌ، وهي تأتي بالمعنيين، فالإنسان يستحي من وراء الفضيحة، ومع الخزي والفضيحة في الدُّنيا لهم في الآخرة عذابٌ عظيمٌ وهو عذاب جهنَّم، ولكن دائمًا باب التَّوبة مفتوحٌ، وهذا من سعة رحمة الله سبحانه وتعالى بخلقه.

المبحث الثالث: فتنة التكفير، بلاء يهدد الأمة بالفناء[1]

المطلب الأول: حُكم الكُفر والتّكفير وضوابطهما

الكُفر (لغةً): السَّتْر.

الكافر (لغةً): هو الذي يستُر الأشياء الظّاهرة، لذلك يُسمّى الزّارعُ كافراً لأنه يدفِن (يستُر) البذرَ في باطن الأرض.

قال تعالى: ﴿ اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا ﴾ [الحديد: ٢٠] الْكُفَّارَ هنا تعني الزُّرَّاع.

ويتفرّع عن هذا المعنى كلُّ ما أنكره الإنسانُ بلِسانه وقد أيقن به عقلُه.

الكُفر (شرعاً): هو كلُّ قولٍ يُعبّر تعبيراً صريحاً عن إنكارِ رُكنٍ من أركان الإسلام أو الإيمان، أو عن إنكار حُكمٍ من الأحكام الإسلامية المعروفة من الدّين بالبداهة والضرورة، كأن

---

(١) هذا البحث منقول بتصرف واختصار من كتاب (فقه الأزمة) من إصدارات وزارة الأوقاف في الجمهورية العربية السورية.

وانظر كتاب: (التنوير من التفسير).

يُبيحَ قتلَ النفسِ بغير الحقّ أو غيرها بعبارة قاطعة في الدلالة.

أو كلُّ فعلٍ يحملُ دلالةً قاطعةً على شيءٍ يناقض ركناً من أركان الإسلام.

أو أن يسخر من شيءٍ من أركان الإسلام أو الإيمان أو أيِّ حُكمٍ من الأحكام الإسلامية المعروفة للجميع بالبداهة والضرورة أو أن يحتقره بوسيلةٍ واضحةٍ من وسائل التحقير.

مثال: رمى بالمصحف أرضاً أو ألقاه بين الأقذار.

ومَدارُ الأمر في أصلِ كلٍّ من الكُفر والإسلام هو الاعتقاد، فإذا ترتَّبَ على القَولِ أو الفعل حُكمٌ بالتكفير فذلك لأن القولَ أو الفعلَ ذو دلالةٍ قاطعةٍ على عقيدةٍ مُكَفِّرَةٍ، فأما إذا لم تكن له دلالة قاطعةٌ لم يَجُزْ ترتيبُ حُكمِ الكُفر عليه، وانحصرت دلالتُه على الفسق و العصيان مع إحالةِ باطن الأمر إلى الله عزّ وجلّ.

ولذلك لا ينبغي التساهل والتسرع في تكفير عموم المسلمين وتضييق ذلك إلى أضيق الحدود.

كما ينبغي التنبيه إلى أن المعاصي مهما عَظُمَت فلا يُحكَم على مرتكبها بالكُفر حتى الكبائر، وإنما يُحكَم عليه بالفسق.

ومن الواضح أن التعريف المتقدم للكفر يشمل الكافر المستكبِر الذي عَلِم حقائق الدّين وأيقن بها عقلاً ولكن صدَّه عن

الاعترافِ بها استكبارُه قال تعالى: ﴿وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾ [النمل: ١٤].

ولا يشمل الجاهل الذي قد يقول بعض الكلمات ولا يعرف أبعادها.

وهؤلاء الكفار المستكبرون هم الذين يتوعّدهم البيان الإلهي دائماً بالعقوبة، قال تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [الصافات: ٣٥].

فكلما تحدّث البيان الإلهي عن الأمم السابقة التي أهلكها يؤكّد أن سبب إهلاكها هو الاستكبار.

أما الكافر الجاهل فلا يحَمِّله الله تعالى مسؤولية جهله، بل ربما يحاسِب من عرف دينَ الله ثم لم يُبَلّغه لأمثال هذا الكافر الجاهل.

ولا يجوز للمسلم أن يحكمَ على فلانٍ من الناس أنه مات كافراً إذا بدا منه أثناء حياته تصرّفٌ يدلّ على كفرٍ صريحٍ، ثم غاب عنه ولم يعلم بأي خاتمة خُتِمَ له، فلرُبّما تدارَكه الله بلُطفِه ورحمتِه وألهمَه العودةَ عن كفره قبل الموت.

كما لا يجوز التكفيرُ الجماعيّ كأن يقال أبناء القرية الفلانيّة كلهم كفّار، أو أتباع المذهب الفلاني كلهم كفار.

❁ ❁ ❁

المطلب الثاني:
مما جاء في النهي عن التكفير والتغليظ فيه في السنّة النبويّة

١- عن أبي هريرة ﷺ أنّ رسول الله ﷺ قال: «**إذا كفّر الرجل أخاه فقد باء بها أحدهما**»[(١)].

٢- عن ثابت بن الضحّاك ﷺ عن النبي ﷺ قال: «**...ومن قذف مؤمنا بكفر فهو كقتله**»[(٢)].

٣- عن أبي ذر ﷺ أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «**وَمَنْ دَعَا رَجُلًا بِالْكُفْرِ، أَوْ قَالَ: عَدُوُّ اللهِ، وَلَيْسَ كَذَاكَ إِلَّا حَارَ عَلَيْهِ**»[(٣)]. (أي رجع الكفر عليه)، قال ابن دقيق العيد في شرح هذا الحديث:

---

(١) رواه البخاري: (٦١٠٣) (باب من كفّر أخاه بغير تأويل فهو كما قال): (٨/ ٢٦)، مسلم: (٦٠) (بَابُ بَيَانِ حَالِ إِيمَانِ مَنْ قَالَ لِأَخِيهِ الْمُسْلِمِ: يَا كَافِرُ) (١/ ٧٩).

(٢) أخرجه الإمام أحمد في مسنده: (١٦٣٨٥) من حديث ثابت بن الضحاك: (٢٦/ ٣١٢) البخاري: (٦١٠٥) (باب من كفّر أخاه بغير تأويل فهو كما قال): (٨/ ٢٦).

(٣) أخرجه الإمام أحمد (٢١٤٦٥) من حديث أبي ذرّ الغفاري رضي الله عنه: (٣٥/ ٣٦٩)، والإمام مسلم: (١١٢)، (بَابُ بَيَانِ حَالِ إِيمَانِ مَنْ قَالَ لِأَخِيهِ الْمُسْلِمِ: يَا كَافِرُ). (١/ ٧٩).

(وهذا وعيد عظيم لمن أكفر أحدًا من المسلمين، وليس كذلك، وهي ورطة عظيمة وقع فيها خلق كثير من المتكلمين، ومن المنسوبين إلى السنة وأهل الحديث، لما اختلفوا في العقائد فغلّظوا على مخالفيهم، وحكموا بكفرهم، وخرق حجاب الهيبة في ذلك جماعة من الحشوية، وهذا الوعيد لاحِقٌ بهم إذا لم يكن خصومهم كذلك)[1].

٤- قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**ثَلَاثٌ مِنْ أَصْلِ الْإِيمَانِ: الْكَفُّ عَمَّنْ، قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَلَا نُكَفِّرُهُ بِذَنْبٍ، وَلَا نُخْرِجُهُ مِنَ الْإِسْلَامِ بِعَمَلٍ، وَالْجِهَادُ مَاضٍ مُنْذُ بَعَثَنِي اللَّهُ إِلَى أَنْ يُقَاتِلَ آخِرُ أُمَّتِي الدَّجَّالَ لَا يُبْطِلُهُ جَوْرُ جَائِرٍ، وَلَا عَدْلُ عَادِلٍ، وَالْإِيمَانُ بِالْأَقْدَارِ**»[2].

٥- عن أنس بن مالك ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**من صلى صلاتنا واستقبل قبلتنا، وأكل ذبيحتنا فذلك المسلم الذي له ذمة الله وذمة رسوله، فلا تخفروا الله في ذمته**»[3].

---

(١) إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام: (٢/ ٢١٠).

(٢) أخرجه أبو داود في سننه: (٢٥٣٢) باب في الغزو مع أئمة الجور: (٣/ ١٨).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه: (٣٩١) باب فضل استقبال القبلة: (١/ ٨٧)، النسائي: (٤٩٩٧) باب صفة المسلم: (٨/ ١٠٥).

مما جاء عن السلف وعلماء الأمة في تحريم التكفير:

- عن أبي سفيان[1] قال: قلت لجابر: (أكنتم تقولون لأحد من أهل القبلة كافر؟ قال: لا، قلت: فمشرك، قال: مَعاذَ الله، وفَزِع لذلك، قال هل كنتم تدعون أحدًا منهم كافرًا؟ قال: لا)[2].

- عَنْ نَافِعٍ: أَنَّ رَجُلا قَالَ لابْنِ عُمَرَ: إِنَّ لِي جَارًا يَشْهَدُ عَلَيَّ بِالشِّرْكِ، فَقَالَ: (قُلْ لَا إِلَهَ إِلا اللَّهُ تُكَذِّبُهُ)[3].

- يقول مُطِيع الحكم بن عبد الله البَلْخِي: سَأَلت أَبَا حنيفَة النُّعْمَان بن ثَابت ﷺ عن الفِقه الْأَكْبَر فَقَالَ: (أَلّا تُكَفِّرَ أحدًا من

---

(١) هو طلحة بن نافع.

(٢) المطالب العالية لابن حجر العسقلاني: (١٢/ ٥٤٨) وقال عنه (صحيح).

وأورده الهيثمي في المجمع (١/ ١١٢) وعزاه إلى أبي يعلى والطبراني، وقال: رجاله رجال الصحيح.

والحديث في مسند أبي يعلى (٤/ ٢٠٧: ٢٣١٧).

ورواه أبو عبيد القاسم بن سلام في الإيمان (٩٨/ ٢٩)، قال حدّثنا أبو معاوية عن الأعمش به بنحوه.

ورواه الطبراني في الأوسط كما في مجمع البحرين (١/ ٤٠١: ١٥٢)

وأبو إسحاق الأصبهاني في الترغيب (٢/ ٤٢٣) وابن عساكر في تبيين كذب المفتري (ص ٤٠٥) كلهم عن طريق الأعمش..

(٣) تبيين كذب المفتري فيما نسب إلى الأشعري للإمام الذهبي: (٤٠٤).

أهلِ الْقبْلَة بذنب، وَلَا تَنْفِي أحدًا من الْإِيمَان)[1].

- قال عَليّ زَاهِر بن أَحْمَدَ السَّرخسِيّ: لمَّا قرب حُضُور أجل أَبِي الحسن الأَشْعَرِيّ رَحمَه الله فِي دَاري بِبَغْدَادَ دَعَاني، فَأَتَيْته فَقَالَ: (اِشهَد عَلى أَنِّي لَا أُكَفِّرُ أحدًا من أهل هَذِهِ الْقبْلَة؛ لِأَنّ الكلّ يشيرون إِلَى معبود وَاحِد، وَإِنَّمَا هَذَا كُله اخْتِلَاف الْعبارَات)[2].

- قال أبو منصور الماتريدي في الردّ على من يكفّر المسلمين: (..أَن الله تَعَالَى أوجب كثيرًا من الْعِبَادَات باسم الْإِيمَان وجعل علم الحلّ والحرمة في كثير من ذلك اسم الإيمان وزواله، ثمَّ شَاركَ من أحدثَ أَفعَال الْفسق مَعَ الْإِيمَان فِيهَا غَيره، ثَبت أَن اسْم الْإِيمَان غير زائل عَنْهُم [أي عن الفاسقين]. ثمَّ إِجْمَاع النقلَة فِي إِثْبَات الشَّفَاعَة، وتوارث الْأمة فِي الصَّلَاة على جَمِيع من مَاتَ من أهل الْقبْلَة والاستغفار لَهُم والترحُّم عَلَيْهِم، هُوَ الدَّلِيل لمن أَبَت نَفسه تَكْذِيب الْأَخْبَار الصِّحَاح، وَمُخَالفَة أَئِمَّة الْهدى وَلَا قُوَّة إِلَّا بِاللَّه)[3].

---

(١) الفقه الأكبر: (٧٦).

(٢) تبيين كذب المفتري فيما نسب إلى الأشعري: (١٤٩).

(٣) التوحيد للماتريدي: (٣٣٤).

المطلب الثالث: الفِرَقُ الإسلامية قديماً وحديثاً وموقفُ المسلمين منها[1]

عندما توفي رسول الله ﷺ وكاد أن ينطوي عهد الصحابة وجاء عهد التابعين تنامَت فرقٌ إسلاميةٌ شاردة عن منهج الإسلام، من أمثالِ المرجئة والجهمية والحشوية والمجِّسَدة والخوارج وما إلى ذلك، فلم يُكَفّر المسلمون أي فرقة من هذه الفرق نهائياً، لا خارِجياً ولا مُرجِـئِيّاً ولا أيّاً من هذه الفئات أو الفرق التي شذَّتْ وشردت عن صراط الله سبحانه وتعالى.

ولما سئل سيدنا عليّ رضي الله عنه عن الخوارج الذين آذَوه إيذاءً شديداً قال: "هم إخوانُنا بَغَوا علينا".

والإمام أحمد بن حنبل هو الذي أوذِيَ أشد أنواع الإيذاء عن طريق المعتزلة القائلين بأن القرآن مخلوق، لم يكن كلامُ الله ثم وُجِد، أوذِيَ وحُبِسَ وضُرِبَ مدة طويلة في عهد المأمون، ثم إن الله عز وجل شاء أن ترتفع عنه المحنة في عهد المُتوكّل، جاء بعضُ أصحابه يقولون له يا سيدي ادعُ الله على ابنِ أبي دُؤاد رأسِ

---

(١) انظر: (المنهج الفكري لعلماء بلاد الشام، أ.د. محمد شريف الصواف، ص(١٥٠-١٥٥).

المعتزلة، قال له: "وما يفيدكَ أن يُعذِّبَ الله عزَّ وجلّ يومَ القيامة أخاً من أجلك، لا بل أدعو الله سبحانه وتعالى له".

فكم نحن اليوم بحاجة للتّأسّي بهذا السَّلف الصالح في لُطفِهم وسموِّ أخلاقهم.

خطورة ما يقع فيه كثير من المتشددين من خلال تساهلهم في تكفير المسلمين:

إن الإسلام بكل أحكامه وآدابه وشرائعه يقوم على محورٍ قُدسيٍّ هام هو وحدة الكلمة والتآلف والتآخي بين أفراد المجتمع الإسلاميّ يقول تعالى:

﴿ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ [آل عمران: ١٠٣].

فهذه الآية الكريمة تذكّرنا بنعمةِ توحيد الإسلام للناس الذين كانوا مُتشرذمين مُتَفرّقين، ولو علِم الله شِرعةً أكثرَ ضمانةً لتوحيد الأمة وتآلفِها لَأَمَرَنا بها.

فثمرة الإسلام في **دار الدّنيا** طَيُّ عوامل الفُرقة وتحويلُ الفئاتِ المتصارعةِ إلى إخوةٍ مُتَحابِّين مُتآلفين.

فكان من أهمّ ضماناتِ هذه الوحدة ضبطُ التكفير بضوابطَ

دقيقةٍ لا تخضع للمزاجِيّات أو العصبيّات أو الرُّعونات، لأن الحُكم بكُفرِ شخصٍ سيؤدي بعد ذلك إلى اتهامِه بمُعاداةِ الإسلام وإخراجه من عهد المسلمين وجماعتهم.

يقول برنارد لويس (اليهودي) في كتاب (الشرق الأوسط والغرب) ص ٤٤:

(إنّ التَّغريب في المنطقة العربية أدى إلى تفكيكِها وتجزئتِها، وإنّ هذا التفكيكَ السياسيّ واكَبَهُ تفكيكٌ اجتماعيّ وثقافيّ.

والواقعُ أنّ إلْحاقَ المنطقةِ بالغَربِ لم يكن ممكِناً إلا من طريقِ تفكيكِها وتجزئتِها عن طريق إثارةِ الفِتَنِ الطّائفيّة وافتِعالِ أسبابِ الخصوماتِ والعنف.

.... ولعلّ من يستبعد دَورَ الغربِ في إشعالِ فَتيلِ هذا التّقاتُل واحدٌ من اثنَيْن: خادِعٌ أو مَخدوع).

هل تُثمِر محاولاتُ نشرِ الفكر التكفيريّ وبثِّ الفتنة الطائفية في بلادنا:

لن تُثمِر لسبَبَين:

الأول: أنّ اللهَ تعالى ميَّز هذه الأرضَ المباركةَ بميزةٍ تقتضي أن تَمُرَّ بها الفِتَنُ والشّدائد مروراً ولكنّها لا تتلبّث بها ولا تصل إلى المدى المُراد منها.

الثاني: أنّ المسلم في هذه البلاد متوازنٌ بين العاطفة والعلم بسبب إقبالِ النّاسِ على تعلُّم الدّين في المساجد والمؤسسات الدّينيّة العامّة والخاصّة، مما يجعل الجامعَ المشترَكَ بين المذاهب والفئات الإسلامية يتغلَّبُ على الخلافات.

لذلك على الدّولة أن تُغذّي هذا التوازن بين العاطفة والعلم عن طريق:

- تفعيل مناهج التربية الدّينية بمخاطبة العقل والعلم معاً والانتقال من النظري إلى التطبيق.
- تبيين تاريخ الإسلام والتعريفُ بشخص رسول الله ﷺ ومحبّته لأُمّته ورحمته بالناس جميعاً.
- تجنيد وسائل الإعلام ومختلف الفنون لنشر هذه التربية التي تضمن اجتناب الفتن الطائفية.

ونحن أمرنا أن نقاتل المشركين كونهم معتدين وليس لأنهم مشركين، فعلة القتال هي الاعتداء وليس الدين قال تعالى:

﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِ﴾[البقرة: ٢٥٦]، ﴿فَمَن شَآءَ فَلۡيُؤۡمِن وَمَن شَآءَ فَلۡيَكۡفُرۡ﴾[الكهف: ٢٩]، ﴿فَذَكِّرۡ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٞ﴾[الغاشية: ٢١].

وحساب الناس على ما يضمرون من عقيدة على رب الناس وليس على الناس في الحياة الدنيا.

الفصل الثاني:
الإِخْوانُ المُسْلِمُون النشأة وحقائق المنهج المتطرف

المبحث الأول: الإخوان المسلمون قراءة في البدايات (نحن إخوة في الإسلام، ومن ثم فنحن الإخوان المسلمون)

المطلب الأول: النشأة، والاضطراب في البرنامج

هذا هو الشعار الذي قاله حسن البنا لأتباعه مُعلناً تشكيل جماعة الإخوان المسلمين.

تاريخ الميلاد: شهر ذي القعدة عام ١٣٤٧هـ المصادف آذار ١٩٢٨م.

الهيكل القيادي: مكتب الإرشاد، ويعمل تحت إمرة المرشد العام، وهو بمثابة مجلس الشورى. لكن صالح العشماوي - أحد قادة الجماعة - يقول وهو يمتدح المرشد: "عند أول عهدي بعضوية مكتب الإرشاد ثار البحث، هل الشورى في الإسلام مُلزمة أم غير ملزمة؟ أي هل يتقيد فضيلة المرشد العام برأي مكتب الإرشاد، أم أن المكتب هيئة استشارية له أن يأخذ برأيها

أو يخالفه إن شاء؟ وكان رأي المرشد أن الشورى غير ملزمة، وأن من حقه مخالفة رأي المكتب"[1].

لذلك يعتبر المرشد العام في فكر الحركة مُشَرع له حقوق لا تكون لغيره، وهذا المنهج هو المتبع حتى في عصرنا الحاضر.

البدايات المالية: أول تبرع مالي تلقته الجماعة كان من شركة قناة السويس الإنكليزية، وقد أكد حسن البنا ذلك وقال: إن التبرع كان خمسمائة جنيه، وهو مبلغ كبير بمقياس هذا العصر، واستمرت الجماعة في قبول التبرعات السخية من الداخل والخارج، لتتحول لشركة جباية للأموال، وعند حل الجماعة عام ١٩٤٨م اتضح أنها كانت أغنى الجمعيات والأحزاب السياسية في مصر[2].

طبيعة الجماعة: حرص حسن البنا على أن يُضفي صبغة ضبابية على الجماعة، وألا يُقدم تفسيراً واضحاً لأهدافها أو

---

(١) "الإخوان المسلمون صحوة أمة" لصالح العشماوي - دار الرواد - ١٩٦٢م - ص٨٣ .

(٢) "الإخوان المسلمون كبرى الحركات الإسلامية - شبهات وردود" د. توفيق الواعي - الشبكة الدعوية.

طبيعتها، حتى يُوائِم بَينها وبين تقلبات الأحوال، حيث قال حسن البنا: "أيها الإخوان: أنتم لستم جمعية خيرية، ولا حزباً سياسياً، ولا هيئة موضوعية الأهداف محدودة المقاصد، ولكنكم روح جديد يَسري في قلب الأمة"[1].

ولا شك أن مِثل هذا عبارة مطاطة لا يُمكن الإمساك بأيٍّ مِن أطرافها، وهي شديدة الغُموضِ والضَبَابيَّة، وهذا هو شأن الإخوان.

البرنامج:

سُئل حسن البنا عن البرنامج فقال: "ولم البرنامج؟ إنه يُفَرِّقُنَا"، واكتفى بعبارة عامة: "القرآنُ دستورنا، والرسولُ زعيمنا[2].

ولقد بقي حسن البنا في بداية الأمر يُنكر أن لجماعته علاقة بالسياسة، لكنه ما أن قوي عود جماعته حتى أعلن على صفحات

---

(١) "الإخوان المسلمون كبرى الحركات الإسلامية – شبهات وردود" د. توفيق الواعي – الشبكة الدعوية.

(٢) "الإخوان تاريخ وانتماء" د. فتحي ملكاوي – دار الرشيد – بغداد – ٢٠٠٤م – ص١١٢ .

مجلة "النذير": "أن الجماعة سوف تنتقل من دعوة الكلام وحده إلى دعوة الكلام المصحوب بالنضال والأعمال"، وتوجه إلى أتباعه مُتحدثاً عن السياسيين جميعاً قائلاً: "ستخاصمون هؤلاء جميعاً في الحكم وخارجه خصومة شديدة لديدة إن لم يستجيبوا لكم"[1].

ولم يلبث حسن البنا أن صَارح الجميع بهدفه الأساسي، وهو أنه يَطمح إلى الحُكم لِيُقيم دولة دينية، وقال: "**الإسلام الذي يُؤمن به الإخوان المسلمون يَجعل الحُكُومة رُكناً من أركانه، ويَعتمد على التَنفيذ كما يَعتمد على الإرشاد، والحكم معدود في كُتبنا الفقهية من العقائد والأصول، فالإسلامُ حُكم وتنفيذ، كما هو تشريع وتعليم، كما هو قانون وقضاء**".

وقال أيضاً: "الذين يقولون أن تعاليم الإسلام إنما تتناول الناحية العبادية أو الروحية دون غيرها من النواحي مخطئون، **فالإسلام عبادة وقيادة، دين ودولة، وروحانية وعمل، وصلاة**

(١) "مجموع رسائل حسن البنا" – الشبكة الدعوية للإخوان – ص٩٣ .

وجهاد، ومصحف وسيف، لا يَنفك أحدها عن الآخر"[1].

ولم يَقل ما موقف جماعته من مشكلات الحياة اليومية ولا مِن الجديد فيها، فقط عُموميات لا يُمكن الإمساك بشيء منها، ولكنه أكد على دور الجماعة السياسي، وطموحها في تسلم الحكم بأي وسيلة سياسية أو عسكرية.

أبرز العلامات المميزة لجماعة الإخوان المسلمين

تميزت جماعة الإخوان المسلمين عَن غيرها من القوى السياسية المعاصرة بِعلامتين مميزتين أساسيتين: **البيعة، والجهاز السري**.

أما عن **البيعة** فقد استند فيها حسن البنا إلى حديثين شريفين:

الأول يقول: **(مَن مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية)**[2].

والثاني يقول: **(من بايع إماماً فأعطاه صفقة يده وثمرة قلبه**

---

(١) "مجموع رسائل حسن البنا" – الشبكة الدعوية للإخوان: ص ١٢٩ .

(٢) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير – برقم (٧٦٩) .

فليعطه ما استطاع، فإن جاء آخر ينازعه فاضربوا عنق الآخر)[1].

واستند أيضاً إلى أقوال أبو الأعلى المودودي: "لا ينتخب للإمارة إلا من كان المسلمون يثقون به، وبسيرته وبطباعه وبخلقه، فإذا انتخبوه فهو ولي الأمر المطاع في حكمه، ولا يُعصى له أمر ولا نهي".

ويقول أن الإمام أو الأمير من حقه أن يُملي رأيه حتى على الأغلبية، "فالإسلام لا يَجعل مِن كثرة الأصوات مِيزاناً للحق والباطل، فإنه مِنَ الْمُمكن في نظر الإسلام أن يَكون الرجل الفَردُ أَصوبَ رأياً وَأَحَدَّ بَصراً من سائر أعضاء المجلس"[2].

وقد بايع الأتباع إمامهم بيعة كاملة في المنشط والمكره، وعاهدوه على السمع والطاعة، ولم يكن حسن البنا يُخفي ذلك على الناس، فهو لم يَكن يَقبل مِنهم بأقل من السمع والطاعة دون نقاش. وقال: "يَجب على الأخ أن يُعِدَّ نَفسه إعداداً تَاماً لِيُلَبِّي أَمر القائد في أية ناحية، إن الدعوة تتطلب منا أن نَكون جُنوداً طائعين

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده – برقم (٦٥٠١) .

(٢) "الإخوان المسلمون أحداث صنعت التاريخ - رؤية من الداخل" لمحمود عبد الحليم - جزء ٢ – ص ١١٧ .

بقيادة موحدة، لنا عليها الاستماع للنصيحة، ولها علينا الطاعة، كل الطاعة في المنشط والمكره". وأيضاً: "يَتعين على العضو الثقة بالقائد، والإخلاص والسمع والطاعة في العسر واليسر"[1].

وهنا يظهر جلياً أن سيطرة البنا على أتباعه كانت مُطلقة وكاملة، وتصل إلى درجة السحر، وذلك بسبب اختطافه للسلطات الدينية والسياسية كلها، حتى ما كان خاصاً بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم!

وتصف الأمر جريدة مصرية فتقول في تهكم واضح: "إذا عطس المرشد في القاهرة، قال له الإخوان في أسوان: يرحمكم الله"، ولقد ترتب على البيعة بمفهوم البنا أنه ليس مسموحاً بالخلاف مع المرشد، بل إن كلمة "ليس مسموحاً" هذه ليست أمراً معنوياً فحسب، وإنما كان العنف والإرهاب المعلن والتباهي به سبيلاً لفرضها.

فمنذ البداية دَبَّ الخلاف في شعبة الإسماعيلية "مكتب الإخوان"، وحاول البعض التمرد على البنا، وأبلغوا النيابة العامة

---

(١) "مجموع رسائل حسن البنا" - الشبكة الدعوية – ص ٥٦ .

ضده في مخالفات مالية، فكان رد فعل البنا عنيفاً، فقد جَمع عدداً من أتباعه واعتدوا على المخالفين بالضرب.

ويعترف البنا بذلك ويتباهى به، **ويُبرره بأن "المخالفين قد تلبسهم الشيطان وزين لهم ذلك، وأن من يَشق عَصَا الجَمع فاضربوه بالسيف كائناً من كان"**، ويتأسف البنا على رفض البعض لضرب المخالفين وردعهم قائلاً: "إننا قد تأثرنا إلى حد كبير بالنظم المائعة التي يَسترونها بألفاظ الديموقراطية والحرية الشخصية"[1].

أما **العلامة المميزة الثانية فهي الجهاز السري** الذي مارس عمليات إرهاب وقتل كانت البداية والنموذج والقدوة للإرهاب المتأسلم. وقد تدرج الفكر التنظيمي لحسن البنا في سلاسة ويسر ليصل إلى هذا الهدف غير المعلن، فبدأ "**بالجوالة**" بهدف تعويد الإخوان على النظام شبه العسكري، وتدريبهم على الطاعة التامة والتفاني المطلق.

ثم كانت "**كتائب أنصار الله**" وهي مجموعات تضم كل منها

---

(١) "الإخوان المسلمون – أوراق تاريخية" لإبراهيم زهمول – دار الشروق – القاهرة – ط٢ – ١٩٩٧م – ص ٥٨ .

أربعين عضواً من الأعضاء النشطين في الجماعة، يلتقون معاً ليلة كل أسبوع، حيث يَقضون الليل في العبادة والتلاوة، والعيون اليقظة تتابع ذلك لتفرز منه من يَصلحون للجهاز الخاص.

ولقد أنكر البنا طويلاً أنه يُوجد ثمة جهاز خاص، ونفى ذلك نفياً قاطعاً، بل لقد وصف القائمين بأعمال النسف والتفجير والقتل عام ١٩٤٨ – ١٩٤٩م بأنهم: "ليسوا إخواناً وليسوا مسلمين".

وظلت الجماعة على إنكارها لوجود الجهاز الخاص حتى بِرغم اعترافات عشرات – بل مئات – من أعضائه أمام محكمة الشعب، وقيل ساعتها: أنها أكاذيب أمليت وترددت تحت وطأة التعذيب.

(ثم لا تلبث الحقيقة أن تظهر عندما يتنافس رجال الإرهاب الإخواني القدامى في كتابة مذكرات يحاول كل منها أن ينسب إلى نفسه أكبر قدر من القتل والإرهاب، فكانت مذكرات "صلاح شادي، أحمد عادل كمال، عبد المنعم عبد الرؤوف، محمود الصباغ" وقد اعترفوا جميعاً بأعمال إرهابية بشكل مثير للدهشة، لأنهم تَحدثوا في تباهٍ وتمجِيد للفعل الإرهابي، مؤكدين انتسابهم إلى الجهاز السري والتزامهم بصيغته وأهدافه)[1].

---

(١) "شبهات حول الإخوان" د. عطفة أبو السيد – دار النهضة – مصر – ط١ – ٢٠٠١ م – ص ٦٩ .

شهادة العلامة الشيخ محمد الغزالي السقا في منهج الإخوان الإقصائي في البدايات

يقول الشيخ الغزالي في كتابه (من معالم الحق في كفاحنا الإسلامي الحديث):

(لقد عجبت لخلاف وقع بين شباب الإخوان المسلمين:

هل نحن جماعة المسلمين، أم جماعة من المسلمين؟!

والإجابة على هذا السؤال لها نتائج ذاتُ بالٍ، بل نتائج ترتبط بها صيانة دماء وأموال، فإن الذين يحسبون أنفسهم جماعة المسلمين يرون مخالفة الأستاذ الهضيبي "المرشد العام للجماعة" ضرباً من مخالفة الله ورسوله، وطريقاً ممهدة إلى النار وبئس القرار.

وقد كنت أسير مرة مع زميلي سيد سابق قريباً من شعبة المنيل، فمر بنا اثنان من أولئك الشبان المفتونين، وأبيا إلا إسماعنا رأيهم فينا، وهو أننا من أهل جهنم....!!

وقد عز عليَّ أن يُلعب بالإسلام وأبنائه بهذه الطريقة

السمجة وأن تتجدد سياسة الخوارج مرة أخرى فيُلغن أهل الإيمان، ويترك أهل الطغيان، وباسم أن المرشد هو ولي الأمر، وله حق السمع والطاعة، وأن الخارج عليه يصدق فيه قول رسول الله ﷺ: «**من رأى من أميره شيئاً فليصبر، فإنه ليس أحدٌ يفارق الجماعة شبراً فيموت إلا مات جاهلية**» وقوله: «**من خلع يداً من طاعة لقي الله لا حجة له، ومن مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية**».

وهذه الأحاديث وأمثالها وردت في منع الفتوق الجسيمة التي يحدثها المشاغبون على الدولة، الخارجون على الحكام، وقد عانى المسلمون، وعانت خلافتهم الكبرى أقسى الآلام من ثورات الحانقين والناقمين، وربما كان سقوط الحكم الإسلامي في الأرض بسبب هذه الانتفاضات الهائلة.

أما أنَّ جماعة أنصار السنة، أو جماعة الشبانِ المسلمين، والإخوان المسلمين يجرون هذه الأحاديث إلى دورهم، ويطبقونها على من بقي معهم أو يخرج عليهم فهذا جنون بيد أنَّ تعليم هذا الجنون كان أسلوب تربية وتجميع عند بعض الناس.

فمن المضحك أو المبكي أن يخطب الجمعة في مسجد الروضة عقب فصلنا من المركز العام من يؤكد أن الولاء للقيادة يكفر السيئات، وأن الخروج على الجماعة يمحق الفضائل، وأن الذين نابذوا القيادة عادوا إلى الجاهلية الأولى لأنهم خلعوا البيعة!!)[1].

(١) من معالم الحق في كفاحنا الإسلامي الحديث، ص ٢٠٦.

المطلب الثاني: حسن البنَّا والسياسة

لقد ظل حسن البنا طوال عشر سنوات كاملة يُنكر أية صفة سياسية لجماعته ويؤكد في إلحاح أنه لا علاقة له بالسياسة، ولكنه ما إن شعر بالقوة وبضعف الآخرين حتى جاهر بدوره السياسي: الدين شيء والسياسة غيره . . دعوى نحاربها بكل سلاح.

ثم ما لبث أن قال: "أستطيع أن أَجهر بصراحة بأن المسلم لا يتم إسلامه إلا إذا كان سياسياً بَعيد النظر في شؤون أمته مهتماً بها غَيوراً عليها".

لكن الأمر لا يكون مُستقيماً أبداً مع حسن البنا.

فهو يعود ليدخل جماعته في دوامة الغموض ويقول: "هل نحن طريقة صوفية، مؤسسة اجتماعية، حزب سياسي؟"

ويجيب على هذه الأسئلة بالنفي مؤكداً: "نحن دعوة القرآن الحق الشامل".

لكنه لا يَلبث أن يعود ليؤكد: "**إن الإخوان دعوة سلفية، طريقة صوفية، هيئة سياسية، جماعة رياضية، رابطة ثقافية، شركة**

اقتصادية، فكرة اجتماعية".

الزئبق الإخواني:

متى تستطيع أن تُمسك بالزئبق؟ فَحَسن البنا يَعود لينفي ما قال: "أيها الإخوان: أنتم لستم جمعية خيرية، ولا حزباً سياسياً، ولا هيئة موضعية الأغراض محدودة المقاصد، ولكنكم روح جديد ونور جديد، وصوت دَاوٍ".

ومع ذلك فإن أحداً لا يُنكر أن الإخوان قد تدخلوا في السياسة، وشاركوا في غمارها مشاركة كاملة. وحتى في المبادئ الجوهرية كان الإخوان يَتلاعبون تلاعب السياسيين غير المبدَئِيِّين، وهم أوضح مثال للبراغماتية السياسية.

فبعد أن يُوجه البنا نَقداً شديداً للدستور المصري قائلاً:

"إن فيه ما يَراه الإخوان مُبهماً غَامضاً يَدع مَجالاً واسعاً للتأويل والتفسير الذي تُمليه الغايات والأهواء".

يعود فيتراجع تحت ضغط قيل أنه قد أتى من القصر الملكي ليعلن:

"إن الدستور بِرُوحه وأهدافه العامة لا يَتناقض مع القرآن،

وإن ما نحتاج إلى تعديل منه يُمكن أن يُعَدَّل بالطريقة التي رسمها الدستور ذاته".

ويؤكد: "وما كان لجماعة الإخوان المسلمين أن تُنكر الاحترام الواجب للدستور باعتباره نظام الحكم المقرر في مصر، ولا أن تُحاول الطعن فيه، ما كان لها أن تفعل ذلك وهي جماعة مُؤمنة مخلصة تَعلم أن إهاجة العامة ثورة، وأن الثورة فِتنة، وأن الفتنة في النار".

ولكن لعبة السياسة عند البنا استمرت على هذا المنوال، قول ونقيضه في آن واحد، وإن كان الخط الثابت هو الْمُناورة بين الجميع، والتلاعب بالجميع، غير أن البنا أدرك وإن مُتأخراً أن الجميع كانوا يتلاعبون به، بَينما يَتخيل هو أنه تلاعب بهم.

وبهذا نكتفي في مجال السياسة، فكل الخطى متشابهة.

المطلب الثالث: حسن البنا يتبرأ من العمل السياسي ويندم عن خوض هذه التجربة

وبعد اضطراب كبير عاشه البنا في عالم السياسة، وتعرض الجماعة لسقطات كبيرة، وخروج شباب الإخوان عن سيطرة حسن البنا، تبرأ البنا من السياسة، وتمنى لو أنه لم يخض غمارها، واكتفى بالعمل الدعوي التربوي.

وهذا ما نقله عنه الشيخ محمد الغزالي حيث يقول:

(القدر جعلني ألقى البنا قبل أن يُقتل بيومين، وكنت أسكن في درب السعادة، ومشيت إلى ناحية الاتجاه القبلي، فإذا الأستاذ البنا يأتي من درب الجمايز ذاهب إلى دار (الشبان المسلمين)، فقابلته واحتضنته وكأني احتضنت شماعة ملابس؛ فأصبح نحيفاً جداً، فأين الجسم؟

فأحس فزعي، فقال لي: كيف حال إخوانك ...

ثم قال لي الكلمة التي ذكرتها في بعض كتبي: (ليس لنا في السياسة دور، ولو استقبلت من أمري ما استدبرت لعدت بالإخوان إلى أيام المأثورات؟!)[1]

---

(١) حوارات الشيخ محمد الغزالي، السيرة والمسيرة- المعهد العالي للفكر الإسلامي، ٢٠١٢م - ص١٦٨.

المبحث الثاني: الجذور والبدايات المشبوهة للإخوان

منذ البدايات الأولى حاول حسن البنا - وإن بحذر - أن يَضع اللبنات الأولى للمفارقة بين عضو الجماعة والمجتمع حكاماً ومحكومين، وللمفاصلة التامة بينهما، بل ولتكفير المجتمع - حكاماً ومحكومين - وإنكار ما يقوم عليه المجتمع من أسس دستورية وقانونية.

وفي رسالة "التعاليم" يحدد حسن البنا **واجبات "الأخ المجاهد" وعددها ثماني وثلاثين واجباً، وفي الواجب الخامس والعشرين** منها يأمر العضو" **أن تقاطع المحاكم والمدارس والهيئات التي تناهض فكرتك الإسلامية مقاطعة تامة".**

وفي البند السابع والثلاثين يأمره "أن تتخلى عن صلتك بأية هيئة أو جماعة لا يكون الاتصال بها في مصلحة فكرتك"[1].

وعلى نهجه سار **عبد القادر عوده،** إذ قرر تكفير كل قائل بالقانون الوضعي، والغريب أنه ظل حتى آخر حياته محامياً ويدير

---

(١) "الدعوة في فكر حسن البنا" د. سيد عبد العال - دار الأبرار - القاهرة - ١٩٨٦م - ط ٤ -ص٢٢٢.

مكتباً كبيراً للمحاماة التي تعتمد فقط على التحاكم إلى القانون الوضعي. ويقول عوده: "**من الأمثلة الظاهرة على الكفر بالامتناع في عصرنا الحالي: الامتناع عن الحكم بالشريعة الإسلامية وتطبيق القوانين الوضعية بدلاً منها**".

ويقول: "فمن أعرض عن الحكم بحد السرقة أو القذف أو الزنا لأنه يفضل غيره من أوضاع البشر عليه، فهو كافر قطعاً"[1].

ويقول كاتب إخواني آخر هو **علي جريشه**: "ولا خلاف في جهادِ مَن مَنع بعض شريعة الله، وأولى به مَن مَنع كل الشريعة، والقعود عن الجهاد تَهلكة نهى الله عنها"[2].

وغني عن القول أن القول بتكفير كل من يقبل بالقانون الوضعي هو تكفير للحكم والمجتمع والمحكومين، أما القعود عن الجهاد ضد هذا المجتمع فهو "تهلكة نهى الله عنها".

ودون صعوبة نكتشف أن جوهر فكرة التكفير ومن ثم

---

(١) "الدعوة والعقيدة" عبد القادر عودة – دار الشروق – ١٩٨٧م – ص ٨٦ .

(٢) صحيفة النذير – العدد (٦٥١) – ١٩٦٦م – نقلاً عن الشبكة الدعوية.

"المفاصلة" مع المجتمع والعنف ضده قديمة قدم الدعوة ذاتها، وأن الذي أرسى أساسها هو مؤسس الجماعة ذاته "حسن البنا".

والذين يتصورون أن **سيد قطب أستاذ "التكفير"** والذي انبثق من فكره كل دعاة الإرهاب المحدثون - إلى درجة أنهم يسمون بالقطبيين - كان شارداً عن خط الجماعة واهمون، هو فقط وضع كلمات في موضعها الواضح، ولم يتلاعب بالألفاظ كما فعل سابقوه. وسيد قطب رجل لا يعرف المساومة، فيقول: "**إن الإسلام لا يعرف إلا نوعين من المجتمعات: مجتمع إسلامي، ومجتمع جاهلي**" والمجتمعات الجاهلية عند سيد قطب هي كل المجتمعات، "**الشيوعية والوثنية واليهودية والمسيحية، والمجتمعات التي تزعم أنها مسلمة**" [1].

وبشكل أوضح يقول: "يدخل في إطار المجتمع الجاهلي جميع المجتمعات القائمة على الأرض"

وكما قلنا لا حل وسط فهو يقول: "فنحن وهذه الجاهلية على مفرق الطريق، فإما إسلام وإما جاهلية، وإن وظيفتنا الأولى

---

(١) "معالم في الطريق" سيد قطب - دار الريان - القاهرة - طـ ٨ - ص٥١.

هي إحلال التصورات والتقاليد الإسلامية في مكان الجاهلية، ولن يكون هذا بمجاراة الجاهلية في بعض الخطوات لأننا حين نسايرها خطوة، فإننا نفقد المنهج كله ونفقد الطريق"[1].

وهو لا يعترف بإسلام المسلمين في المجتمعات العادية التي لا تعتنق فكر الإخوان ومنهجهم فيقول:

"**إن الناس ليسوا مسلمين كما يدعون، وهم يحيون حياة الجاهلية، ليس هذا إسلاماً، وليس هؤلاء مسلمين. والدعوة إنما تقوم لترد هؤلاء الجاهلين إلى الإسلام، ولتجعل منهم مسلمين من جديد**"[2].

ولنتأمل في قوله: "**لتجعل منهم مسلمين من جديد**"، فهو لا يعتبر أن الإسلام قائم إلا في حدود جماعته، ومن ثم فهو يدعو إلى إعادة إنشائه قائلاً: "وينبغي أن يكون مفهوماً لأصحاب الدعوة الإسلامية أنهم حين يدعون الناس لإعادة إنشاء هذا الدين يجب أن يدعوهم أولاً إلى اعتناق العقيدة، حتى ولو كانوا يدعون

---

(١) "معالم في الطريق" سيد قطب: ص ٦٢ .

(٢) المرجع السابق: ص ٦٤ .

أنفسهم مسلمين، وتشهد لهم شهادات الميلاد بأنهم مسلمون، فإذا دخل في هذا الدين عصبة من الناس، فهذه العصبة هي التي يُطلق عليها اسم المجتمع المسلم".

ما معنى ذلك كله؟ ما معنى تكفير المسلمين جميعاً، حكاماً ومحكومين؟ معناه ببساطة أنهم جميعاً مرتدون.. ثم. . الإرهاب.

وهكذا فإن الإرهاب يأتي منقاداً وبشكل طبيعي للفكرة الأولى الذي وضع بذرتها حسن البنا ومدها على استقامتها سيد قطب.

وإذا كان حسن البنا هو البذرة غير الصالحة فإن سيد قطب هو الثمرة الناضجة، أو على الأقل هذا هو رأي واحد من كبار رجال الجماعة - الصاغ صلاح شادي - الذي كان مسؤولاً عن قسم "الوحدات" بالجماعة، الفرع الأكثر سرية من الجهاز السري، فهو الفرع الخاص بأعضاء الجماعة في الجيش والبوليس.

ولم يحدث أبداً أن وجه إخواني أياً كان مرتبته أي نقد أو شبه نقد لممارسات أو كتابات سيد قطب. وسيد قطب – وهو

شخصية مثيرة لجدل شديد – هو سيد عصر الإرهاب الحالي، فكل الإرهابيين المتأسلمين الذين مَلؤوا الدنيا قتلاً وسفكاً للدماء هم "قطبيون" أي أنهم من أتباعه. وفي سجن طره بدأ سيد قطب في استقطاب أكثر عناصر شباب الجماعة تشدداً، ليكون منهم تياراً يَنتقد اعتدال البعض من رموز الجماعة، ويدعو إلى تكفير المجتمع الحاكم والمحكوم على السواء.

وكان من أبرز تلاميذه في السجن "شكري مصطفى" الذي سرعان ما كَوَّنَ بَعد خُروجه من السجن "الجماعة المسلمة" التي أسميت إعلامياً بجماعة التكفير والهجرة، وَمِن هَذه الجماعة الشديدة التشدد والتي تعرضت لضربات قاصمة في أعقاب اختطافها للشيخ الذهبي واغتياله؛ تولدت جماعات عدة لعل كل منها كان أكثر تَطرفاً مما سبقه.

لكن سيد قطب هو صاحب نَواة كُرة الثلج التي تَضَخمت لتفرز لنا كل الإرهابيين المتأسلمين من أعضاء "جماعة الجهاد" و"الجماعة الإسلامية" وما أفرزتاه من تكوينات تالية.

ولقد يتبرأ بعض الإخوان من نسبتهم إلى هذه التداعيات،

لكن الشيء المؤكد أن أحداً لم يجرؤ أو يتجاسر أن يَنطق بكلمة نقد واحدة لفكرة أو كلمة أو فعل من أقوال أو أفعال سيد قطب.

أليس هو الثمرة الناضجة للدعوة؟

أليس هو الأمل المرتجى للدعوة كما أكد الهضيبي المرشد العام للإخوان في حديثه عن زمن سيد قطب.

بل إن أحداً من الإخوان لم يُوجه أي نقد أو إدانة لكل ما ارتكبه الإرهابيون من مجازر، يتنصلون منها نعم، أما إدانتها وإدانة القائمين بها أو القائلين بضرورتها فلا.

ويبقى مُعلقاً في عنق الجماعة كل فعل أو قول، وكل قطرة دم أريقت بأيدي المتأسلمين حتى يعلنوا بَراءتهم منها، ويُعلنوا إدانتهم لها.

والغريب أن هؤلاء المتأسلمين يسارعون من قبيل التفقه، وسد منافذ الحياة أمام الناس بتحريم عشرات الأفعال والأقوال والكتابات، لكن أحداً منهم لم يُحرم حَرفاً مما كتبه هؤلاء الإرهابيون الجدد، ابتداءً من سيد قطب وحتى عمر عبد الرحمن وعبود الزمر وأسامة بن لادن وأمثالهم، ولم يحرم فعلاً مما

فعلوا، هو فقط يقول: لم أفعل، ولكن أين واجب المسلم في تبيان الحق ؟

أليس "الساكت عن الحق شيطان أخرس؟".

تداعيات التداعيات:

ومع وجود قيادة للجماعة منغلقة على نفسها، ولا تمتلك لا الكفاءة الفكرية ولا التنظيمية التي اعتاد عليها الإخوانيون، ومع بروز قيادات من الكوادر الوسطى اكتسبت في ظل ظروف محددة بعضاً من وجود جماهيري، وهي قيادات قدمت إلى الجماعة من صفوف "كرة الثلج" التي ولدها سيد قطب، أي من صفوف الجامعات الجهادية كما يسمونها، دخلوا الجماعة شباناً - طلاباً أو خريجين جدداً - صَعدوا خطوة أو خطوتين، ثم. .. كفى.

فالحصون العليا في قيادة الجماعة محصنة لا يَمسها إلا المقربون، "ابن المرشد والمؤسس، وابن المرشد التالي" أما هؤلاء الغرباء فلا مكان لهم في قمم القيادة الإخوانية.

ثم بدأت القيادة تلعب لعبة غريبة، تورط قواعدها

ولا تتورط هي، هم يسجنون وهي تنجو، الأمن يقبض على الكوادر الوسطى يحاكمها ويسجنها، بينما "القيادة" تَعيش في مَأمن.

ويبدو غريباً وربما مُريباً أن يُقبض على مئات من أعضاء القيادات الوسطى الإخوانية بتهمة الانضمام إلى الجماعة وهي تنظيم محظور، وتكون الأدلة كتابات ومطبوعات إخوانية كتابها ومؤلفوها من أعضاء مكتب الإرشاد الذي يَعيش حُراً طليقاً، بل ويُعلن أعضاؤه عن مواقعهم في الجماعة، فالعضو يُسجن لأنه يُشتبه في أنه مُنضم للجماعة، بَينما مصطفى مشهو ر يُعلن في كل يوم أنه المرشد العام، والمستشار مأمون الهضيبي يعلن علناً أنه نائبه.

هذا المنطق المفتقد أثار حفيظة الكوادر الوسطى، خاصة وأن المواقع القيادية قد حجبت عنها قصراً.

وإن الجماعة تفتقد أي شكل من أشكال النقد الداخلي، أو الرأي والرأي اللآخر، وأي نقد مع من بَايعته "أميراً" أو "مرشداً"، بايعته على السمع والطاعة في المنشط والمكره،

ومن تلقنت دوماً أنـه يتحـتم عليـك أن تطيعـه وإن ضـربك علـى ظهرك وبطنك؟ وأية ديموقراطية فيما أُسمي ببيعة المقابر؟ حيـث – بشكل مفاجئ – بويع مصطفى مشهو ر مُرشداً للجماعة خـلال مراسم دفن المرشد السابق، بايعه المشـيعون دون ترتيـب، ودون احتراز من أن يَكون المبايعون لا يُمثلون الجماعة تمثيلاً حقيقيـاً، أو حتى لا يكونون أعضاء فيها. وأية ديموقراطية مـع مرشـد عـام هو واحد من الرعيل الأول لمؤسسي الجهاز السري الذي يفرض طاعة مضاعفة، وخضوعاً لا نقص فيه؟

وهكذا بدأ التململ في صفوف الكوادر الوسطى، وظهـرت تداعيات جديدة، انشقاقات مـن الجماعـة، بعضـها أسـمى نفسـه "حـزب الوسـط" والآخـر "حـزب الشـريعة" وآخـرون كثيـرون متمـردون صـامتون، أو منسـحبون دون ضـجيج، أو يَسـتعدون لذات الشيء.

لكن التداعيات – ومهما حاولت أن تتـزين – تبقـى مُفعمـة بثوابت الأصل، مثقلة بكل نوازعه وكل مقولاته المتأسـلمة، وإن تزينت أو تجملت أو حاولت.

ونعود لنؤكد ما كررنا من قبل: **أن الإرهاب يبدأ فكراً، يبدأ بفكرة خبيثة متأسلمة، لا تلبث أن تقتاد صاحبها أو متلقيها خطوة خطوة في طريق المفاصلة مع المجتمع، أو مع كل مختلف معه، ويصبح الآخر هو العدو، ولأن الفكر الديني الإنساني النسبي الصحة يُروج له باعتباره ذات الدين الإلهي المحتوى الكلي الصحة، فإن الآخر العدو يُصبح بالضرورة الكافر، الذي يَجب أن يُقام عليه حد الردة.**

ونعود إلى حكاية عربية قديمة نتذكرها إذ نتحدث عن البذرة الخبيثة التي تَتولد مِنها تَداعيات مُتفجرة: "التقى رجل صالح بإبليس فعاتبه، فقال إبليس: يا مولانا. .. أنا أضع البذرة وأتركها، وأتركهم هم يفعلون كل شيء، ولما سأله الرجل الصالح كيف؟ اصطحبه إلى السوق وأمسك بخنفساء ووضعها على الحائط بجوار كلب، لمح الكلب الخنفساء، ارتفع نباحه، وحاول القفز ليلتقط الخنفساء، ففزعت قطة كانت مارة بالمصادفة، قَفزت القطة من فزعها لتصطدم بحلواني يَقلي بعض الحلوى في قدر من الزيت، أجفل الرجل، انقلب الوعاء وانقلب

الموقد، فجرى الرجل خَلف الكلب لِيضربه، وأتى صاحب الكلب ليضرب الحلواني، وأتى أنصار كل منهم وتشابك السوق مع بعضه البعض في عراك ضارٍ، بينما نار الموقد تمتد، تُشعل المحل وتشعل كل محلات السوق، ولم يَنفض العِراك إلا مع احتراق السوق بأكمله.

ونظر الرجل الصالح إلى إبليس دون أن ينطق.

البذرة الخبيثة هي تلك الأفكار الإسلاموية . .. والتداعيات هي احتراق كل شيء. .. والإرهاب المتأسلم بدأ فكرة مع جماعة إخوان الشياطين. .. أما إبليس فالجميع يَعرفونه.

هذه البدايات لتأسيس دين بلا دين، دين ممسوخ الهوية ، دِين يتأسس على العنف والإرهاب والمؤامرة والدسائس ، دين هذه بداياته ذات الطابع المشبوه والنشأة السوداء ، دين يَحتكم إلى المصلحة الفردية، وتغيب عنه سمة الموضوعية ، دين هكذا بداياته، فما هي نتائجه ؟

المبحث الثالث:

الإخوان المسلمون الأهداف – المناهج – الغايات الغامضة

كثر الحديث حول مناهج الإخوان وغموض أهدافهم، واتهموا من قبل أعدائهم بإخفاء أهدافهم، واعترف كثير من قادتهم بإخفاء هذه الأهداف، والتمسوا له المبررات المختلفة، وتركز الغموض حول الأهداف السياسية ، أما حول توقيت هذا الإخفاء فقد دار تساؤل، هل أخفى حسن البنا أهدافه بعد فترة من تأسيس الجماعة، حين بَرزت في الميدان السياسي ؟

أم هل أخفى أهدافه السياسية منذ بدأ تأسيس جماعته؟

وبمعنى آخر: لقد بدأت جمعية الإخوان المسلمين كجمعية دينية، يَقتصر نشاطها على التربية الأخلاقية والاجتماعية، فهل كان هذا هو هدفها الحقيقي والأصيل، ثم تطورت مع الأحداث إلى الاشتغال بالسياسة؟ أم أن هذا كان هدفاً مرحلياً يخفى وراءه الهدف الأصيل، وهو الاشتغال بالسياسة والتطلع للحكم ؟

وإذا استعرضنا تاريخ الجماعة وتاريخ حسن البنا، وجدنا

من الشواهد والمواقف ما يُوحي بالاحتمال الأول، كما وجدنا أيضاً مَا يُرجح الاحتمال الثاني.

فمما يُرجح الاحتمال الأول أن ثقافة حسن البنا ونشاطه العملي قبل تأسيسه لجماعة الإخوان المسلمين كان يَغلب عليه الروح الدينية الصوفية، كما كان بعيداً عَن التيارات السياسية والنشاط الحزبي ، ولم تبدر منه بوادر نقد للنظام السياسي، بل كان يبدو منه الرضا والتأييد لهذا النظام، فرغم الانقلابات الدستورية التي قام بها الملك فؤاد في العشرينيات، فقد كان حسن البنا يملي على تلاميذه – وهو بالإسماعيلية – قِطَعَ إملاءٍ يُشيد فيها بالملك ، وكان يَحرض العمال على حسن استقبال الملك فؤاد، وضرورة الخروج إلى الشوارع لاستقباله حين كان يَمر بالإسماعيلية ، وبرر هذا لأحد موظفي شركة قناة السويس الفرنسيين بقوله: حتى يَفهم الأجانب أننا نحترم ملكنا.

وحين تَبرعت شركة قناة السويس – وهي خاضعة للقوى الاستعمارية – لجماعة الإخوان بالإسماعيلية بمبلغ ٥٠٠ جنيه، كانت تنظر إليها كجماعة دينية يُمكن أن تلعبَ دوراً في التهدئة

والمحافظة على الاستقرار، ومما يُرجح الاحتمال الثاني الواقع العملي الذي تَطورت إليه الجماعة، واعتراف الكثيرين من قادة الإخوان، بَل وتَبَاهِيهِم بِقدرة حسن البنا على إخفاء أهدافه، وخداع كل القوى السياسية الأخرى من الانكليز والسراي والأحزاب.

ومهما كانت النوايا الحقيقية لحسن البنا حين أسس جماعته، فإننا نرجح أن تطور الجماعة إلى العمل السياسي قد جاء تطوراً طبيعياً لاتساع نشاط الإخوان من جهة، واحتكاكهم بالقوى السياسية المحلية والخارجية، وتحقيقاً لطموحات قادتهم وخاصة طموحات حسن البنا الذي كان رغم تواضعه الظاهري يُؤمن بقدراته إيماناً لا حَد له ويثق بنفسه ويعتقد بكفاءته لقيادة الأمة، وكان ذكاؤه وفصاحته وقدرته الخطابية على التأثير على الناس، واستلاب أفئدتهم واستهو اء نفوسهم، كان لهذا كله الأثر الكبير في تزايد طموحه.

لقد أراد حسن البنا - بعد أن تعددت عليه التساؤلات حول الأهداف والغايات من الانضمام إلى الإخوان المسلمين، هذه

التساؤلات التي أخذت في بعض الأحيان التشكيك في غموض أهداف الإخوان - أن يُحدد طبيعة الإخوان ، ويعدد الدوافع المختلفة للانضمام لجماعة الإخوان المسلمين ، يقول حسن البنا: "لا زال كثير من الناس ولا زال كثير من الإخوان الجدد يقفون في شيء من التردد والحيرة أمام أهداف الإخوان، يَرانا بعض المتعبدين نصلي الصبح فنقرأ الأدعية المأثورة ، فيقول: هؤلاء قوم يتعبدون لله، فلا بأس أن أكون معهم على طاعة الله ، فيتابعهم على أنهم أهل أوراد ومشايخ طرق، وبهذا يقع على ضالته المنشودة.

ثم يَراهم آخر بعد قليل يَقومون بألعاب رياضية فيقول: هَؤلاء قوم مُجاهدون يُرَبُّون في النشء مَعاني البطولة، وينمون فيهم القوة الجسمانية وتقوية العضلات، فينضم إليهم على هذا الاعتبار.

ويجيء ثالث فيدخل دارهم، فيجد على يمينه شركة المعاملات الإسلامية، وما قامت به من مشروعات فيقول: هذا جميل، إن الإخوان المسلمين لن يَتحرروا اجتماعياً إلا إذا تحرروا اقتصادياً، فلا بُد أن نَملأ هذه الناحية الاقتصادية، فأنا

مَعهم على الاستقلال الاقتصادي.

ثم يَجيء رَابع فَيجدهم يَتكلمون في الأهداف الوطنية، فلسطين وسوريا ولبنان واندونيسيا وشمال إفريقيا...، يقولون: لا تَصلح أمة ما دامت يَدُ الغاصب تَستغل كل مشروع من مشروعات الحياة فيها، وما داموا مُكبلين بالأغلال - أغلال العبودية والاستعمار، فيقول: هذا جميل، جميل أنهم يَعملون للصالح العام، فأنا معهم. وهكذا نَجدهم قد اختلفوا في أغراضهم.

ثم يَأتي الأول فيقول: ما لنا والسودان وإندونيسيا وما إليه، لم نَنضم إلى الإخوان إلا على كلمة "لا إله إلا الله" والصلاة والصيام وما إليها، فما لنا وهذا؟ فَيدخل في نفسه شيء.

ويجيء الآخر فيقول: إننا اجتمعنا على الإخوان للعمل على الأهداف الوطنية، فما لنا والمأثورات والصلاة والصيام؟ "دُوْلَ بِتُوع دين"، مَا لي وهذا.

ثم يَجيء الثالث ممن دخلوا على عمل الاستقلال الاقتصاد، وقد رآهم اتجهوا إلى ناحية الخير، فيقول: ما لي وهذا،

لقد عاونتهم على عمل الاستقلال الاقتصادي، فمالي وهذا. وهكذا نجدهم اختلفت وجهاتهم وتغيرت أوضاعهم".

ثم يقول: والواقع - أيها الإخوان - أن هذه الصورة تتراءى أمام الناس لأنها كلها عند الإخوان، فالذي يَنظر إلى الإخوان من ناحية واحدة لا يَرى إلا ما وَقع عليه نظره، أما مَن نَظر إليهم من جميع نَواحيهم، فإنه يجدنا نعمل للإسلام، ونستمد من الإسلام، ولا نخرج عن الإسلام، فَهِمنا الإسلام على أنه نظام كامل يُريد أن يُنظم شؤون الحياة، وأول شأن من شُؤونه إصلاح النفس وحسن الصلة بالله[1].

وتتكرر الاتهامات الموجهة للإخوان بِغموض الأهداف، ويتناول حسن البنا هذه الاتهامات ليرد عليها بما يَزيدها غُموضاً وإيهاماً، ونعرض هنا أحد رُدود حسن لبنا في حَديثِ الثلاثاء عن هذا الاتهام، حِين يتحدث أحد المترددين على دار الإخوان عن غموض فِكرتهم، ويريد توضيحاً لها فيقول حسن البنا:

"ثم يُذكرنا الأخ بناحية أخرى فيقول: رَغم تَرددي على دار

(١) حسن البنا، حديث الثلاثاء ص ٤٩١ – ٤٩٣ .

الإخوان المسلمين لم أَستطع أن أَتَبين هذا تبيناً كاملاً واضحاً، لأنكم تَخوضون في كثير من المعاني العلمية، ولا نَسمع عن فِكر الإخوان شيئاً، فنحن نُريد كلاماً يُوضح الغاية ويكشف عن الوسيلة، لِنَسير معكم على وضوح، وإني أشكر للأخ هذا التوجيه ثم أقول: إن فِكرة الإخوان وهدفهم يُمكن أن يُوضع في جملة واحدة، "إننا نريد أن نُحقق رسالة الإسلام" لأن للإسلام رسالة هي أكمل وأوسع وأتم الرسالات الكبرى، لم تَر الدنيا في تاريخ الرسالات أحسن ولا أتم بالخير والعدل والرحمة منها".

ثم يقول: "إن فكرة الإخوان هي تَخليص الناس من الآراء الكثيرة التي فَرقت الكلمة وصرفت القلوب، وتُرجعهم إلى المعين الأول، وهو ما كان عليه رسول الله ﷺ وأصحابه، ثُمَّ نُحاول أن نَجمع القلوب على رسالة الإسلام حتى يَهُزَّهَا الشوق ويُحييها الأمل"[1].

وإذا كان هُناك من انتقد مِن داخل جماعة الإخوان المسلمين تَورطها في السياسة، فَهُناك على الجانب الآخر مَن

(١) حسن البنا، حديث الثلاثاء ص ٤٨٥-٤٨٦- ٤٨٩ .

أسكرته نَشوةُ الانغماس في السياسة، ورفعت حَرارته الثورية الخطبُ المثيرة والواعدة، واللهجة الواثقة بالنفس وبالمستقبل، التي كان يَسمعها من المرشد العام وقادة الجماعة، فاندفع يَستعجل الثمرة وجني الحصاد، ولكن البنا يُحاول أن يُمسك بالعنان حَتَّى لا تَفلُتَ مِنه السيطرة على حركة الجماعة، فيتوجه إلى المتعجلين ببيان مراحل الدعوة، من تعريف وتكوين وتنفيذ، لأن الدعوة لا بد لها من دعائم تنهض عليها، من وضوح الفكرة وتحديدها، واستخلاص المؤمنين المخلصين لها، وتكوينهم بحيث يَنهضون بعبء الدعوة، ويؤمنون بها ويغارون عليها، ويكونون من الإيمان والارتباط والقوة بحيث لا يَنالون مِن قَريب، ولا يَنصرفون عن دعوتهم إذا واجهتهم المصاعب والمشتقات التي لا بُدَّ مِنها في كل دعوة يُراد حَملُ الناس عليها".

والبنا يُصارح المتعجلين بِأَنَّ المرحلة الثانية لَم تَكتمل، "ولم تتكون بعدُ التَّكوين الذي يَسمح لنا بالتنفيذ العملي"، وأنه مُصِرٌّ على الاستمرار في الطريق الذي رسمه، وأن مَن عَصانِي وأبى إلا الفورة الوقتية والحماسة العاطفية والتهور الذي أعتقد

أنه لا يُجدي، فإن الله غفـور رحـيم، ولينصـرف عنـي إلـى حيـث يشاء، ولكني لا أُريد أن أحمل تبعة طريق لا أثق بفائدتها.

مَن أراد أن يَتعجل فَمَيَادين التعجل أمامـه فَسـيحة، فليعمـل وليحمل تبعة عمله، وأنا أعتقـد أن البطولـة الممتـازة هِـي جِهـاد النفس في الصبر، حتى يَحين الوقت المناسب لكـل عمـل، ولـن يطول الوقت الذي نُدعى فيه إلى كفاح جـدي، ولكننـا لـن نَتقـدم بِغير إعداد مهما طال، فاستعدوا، وليكن أهم مـا يَشـغلكم حسـن الاستعداد[1].

وحول هذه المعاني صارح حسـن البنـا أتباعـه - وبخاصـة المتعجلين منهم - في خطابه في المؤتمر الخامس بأسلوب غايـة في البلاغة والحصافة وبُعد النظر فقال: "إن طريقكم هذا مرسومة خطواته موضـوعة حـدوده، ولسـت مخالفـاً هـذه الحـدود التـي اقتنعت كل الاقتناع بأنها أسلم طريق للوصول، فمن أراد منكم أن يستعجل ثمرة قبل نضجها أو يَقطف زهرة قبل أوانها فلست معـه

(١) صحيفة "النذير" ، العدد ٣٤ ، السنة الأولـى ، فـي ٣ ذي الحجـة ١٣٥٧هـ ، مـن مقال بعنوان: "في صميم الدعوة" لحسن البنا ، ص ١١-١٢ .

في ذلك بحال، وخير له أن ينصرف عن هذه الدعوة إلى غيرها من الدعوات، ومَن صبر معي حتى تنمو البذرة وتنبت الشجرة وتصلح الثمرة ويَحين القطاف فأجره في على الله.

أيها الإخوان: ألجموا نزوات العواطف بنظرات العقول، وأنيروا أشعة العقول بلهب العواطف، وألزموا الخيال صدق الحقيقة والواقع، واكتشفوا الحقائق في أضواء الخيال الزاهية البراقة، ولا تميلوا كل الميل فتذروها كالمعلقة، ولا تصادموا نواميس الكون فإنها غَلابة، ولكن غالبوها واستخدموا وحَوِّلوا تيارها واستعينوا ببعضها على بعض، وترقبوا ساعة النصر وما هي منكم ببعيد[1].

إن هذا التباين في المواقف مِن داخل جماعة الإخوان المسلمين كَان تعبيراً عن غموض الأهداف وتميُّعِهَا، وهروبٌ من التحديد العملي لها.

---

(١) حسن البنا، رسالة المؤتمر الخامس من مجموعة رسائل الإمام الشهيد، ص ١٦١.

المبحث الرابع: قادة الإخوان يعترفون بغموض الأهداف

هذا **عمر التلمساني** - وهو المرشد العام الثالث - يذكر أن حسن البنا أخفى أهدافه وخدع الإنكليز والسراي، حتى ثبت أقدام الدعوة، فيقول: في الوقت الذي وضع حسن البنا أسس الجماعة ونظامها وتشكيلاتها، وبدأ في الانضمام للجماعة العشرات بل الألوف، فإن هذا الأمر لم يَلفت أنظار عناصر وقوى الضغط والنفوذ، وأبرزها الإنكليز والسراي، وهكذا نجحت الدعوة، وهذا من توفيق الله وذكاء حسن البنا في تثبيت أقدامها وترسيخها، ثم بَدأت رُدود الفعل التي تفاوتت بين الشدة والهدوء. ويقول عمر التلمساني: في بداية الأمر فإن الإنكليز والسراي لم يكونوا مُتنبهين لأداء حسن البنا، وكانوا يَظنونه شيخاً من مشايخ الطرق الصوفية، ولم يُقيموا له وزناً أو احتياطاً لما كان يَهدف هو إليه، فظلت الدعوة تَنشر مطالبة بعودة المسلمين إلى تعاليم دينهم، ولما تكشفت الحقائق وعلمت السراي والإنكليز أن الإخوان المسلمين يُريدون أن يَكون الحكم شورى بين المسلمين - كما ورد في القرآن الكريم - شعر الطرفان أن دعوة

الإخوان كانت تهدف أصلاً إلى تحرير الأوطان الإسلامية من الاستعمار والأجانب، فأدركوا قوة خطر الإخوان وأدركوا حقيقة أهداف الإخوان المسلمين[1].

ويذكر عمر التلمساني أن أهداف الإخوان بدأت تتضح في أواخر الثلاثينات، أي بعد أكثر من عشر سنوات على تأسيسها، وبدأ الإخوان يَتبينون أهدافها ومراميها في هدوء، وفي بُعد عن الشعارات والإعلانات[2].

وفي هذا اعترافٌ بأن حسن البنا كان يَحتفظ لنفسه بكثير من أهداف الجماعة بعيداً عن أعضائها وقادتها، وأنه وحده الذي كان له الحق في أن يَبوح ببعضها لمن يشاء وفي الوقت الذي يُريده.

ومحمود عبد الحليم - أحد قادة الإخوان والمؤرخ المعتمد لديهم - يَذكر أن المرشد أخفى أهدافه عن الحكومة، وَمَوَّهَ على الإنكليز الذين فُوجئوا بخطورة الإخوان، فالحكومة المصرية لم تَفهم - في فترة الإخوان الأولى في الجامعة -

(١) عمر التلمساني، شاهد على العصر، إبراهيم قاعود: ص ٣٨ .

(٢) المرجع السابق: ص ٣٩ .

فكـرتهم ولا أهـدافهم، "ولكـن الإنكليـز تَنبهـو ا لخطـورة هـذه الدعوة، حين رأوا فَجأةً استجابة لها فـي أواسـط طلبـة الجامعـة، وأقول فجأةً لأنهم لم يَكونوا يَعرفون عن دعوة الإخوان شيئاً قبل أن تصل الجامعة، وتبين لي أن حسن البنـا كـان حَريصـاً مِـن أول يوم قام فيه بالـدعوة علـى أن يُمـوه علـى الإنكليـز، ويتفـادى أي إجراء يَستَلفِتُ نظرهم"[1].

وكاتب آخر مِن كُتَّاب الإخوان يَعترف بـأن حسـن البنـا لـم يُفصح عن جميع أهداف دعوة الإخوان ووسائلها دفعـة واحـدة، وأن هذا مِن دواعي التكتيك، وأن حسن البنـا كـان قـد حَـدد مِـن أول يوم للـدعوة أُسسـها العقائديـة والحركيـة، وأن مَراحلهـا قـد حددها في نفسه، ولكنه لم يُفصـح عنهـا إلا لخاصـته بـين الفينـة والأخرى، وأما الآخرون فَلم يَعرفوا إلا الأهداف المرحلية الآتية التي كان يُعلنها للناس كافة [2].

---

(١) كتاب "الإخوان المسلمون – أحـداث صـنعت التـاريخ"، محمـود عبـد الحلـيم ، ج ١.

(٢) هذا الاعتراف يعني أن حسن البنا كان يتعامل مع الدعوة والجماعة وكأنها مُلكيـة خاصة به لا هيئة عامة .

وذكر أن الدعوة بقيت مجهولة للأعداء ولم تتضح أهدافها إلا في المؤتمر الخامس، ويذكر أن هدفه من هذا الاخفاء هو عدم لفت أنظار "الأعداء المتربصين بها، فَيضربوها قبل أن يَشتَدَّ عُودها ويكثر أتباعها". .. "والحقيقة أن هَذه الدعوة بَقيت مَجهولةً بالنسبة للأعداء، إذ كانوا يعدونها من الحركات الصوفية، أو جَمعية دِينية تقليدية مِن الجمعيات التي كانت مُنتشرة في مصر آنذاك، ...، ولم تبرز كقوة تُهدد أطماع المستعمرين وتعرقل مُخططاتهم إلا حِينما أَفصح البنا عَن أهداف هذه الدعوة في المؤتمر الخامس لقادة الإخوان الذي عُقد عام ١٩٣٨م"[(١)].

ومما يُؤكد غموض الأهداف المقالات والتصريحات المتعارضة لحسن البنا عن طبيعة الجماعة، فهو يَتساءل: "هل نَحن طريقة صوفية، جمعية خيرية، مؤسسة اجتماعية، حزب سياسي؟" ثم يجيب: "نحن دعوة القرآن الحق الشاملة الجامعة . .. نحن نجمع بين كل خير !".

---

(١) كتاب "حسن البنا – مواقف في الدعوة والتربية" عباس السيسي ، ص ١٤٥– ١٤٧.

وفي المؤتمر السادس للإخوان المنعقد في ١٠ يناير ١٩٤١م، يَأتي تعريف الإخوان بِأنهم دعوة سلفية. . طريقة صوفية. . هيئة سياسية. . جماعة رياضية. . رابطة علمية ثقافية. . شركة اقتصادية. . فكرة اجتماعية[١].

ويُعلن حسن البنا في رسالته المسماة: "**بين الأمس واليوم**" فيقول:

أيها الإخوان: أنتم لستم جمعية خيرية، ولا حزباً سياسياً، ولا هيئة موضعية الأغراض محدودة المقاصد، ولكنكم روح جديد، ونور جديد، وصوت داو"[٢].

فحسن البنا في هذا المؤتمر يُنكر على الإخوان أنهم سياسيون حزبيون، وفي نفس الوقت يَعترف بأنهم سِياسيون يَعتقدون أن الحكومة - وهي القوة التنفيذية - جُزء من تعاليم الإسلام.

وفي العدد العاشر من مجلة النذير عام ١٩٣٨ م يَكتب

---

(١) كتاب "الحركة السياسية في مصر" ، طارق البشري ، ١٩٤٥- ١٩٥٢ ، ص ٥٣ .

(٢) كتاب "حسن البنا - بين الأمس واليوم" ، من مجموعة رسائل حسن البنا - ص ١٤٤.

حَسن البنا تحت عنوان "الإخوان بين الدين والسياسة"، أهو تَدخل حزبي أم قيام بواجب إسلامي؟ فقال: "ليس هناك شيء اسمه دين وشيء اسمه سياسة، وهي بدعة أوربية"[1].

وفي رسالته إلى الشباب يُذكر أن التفريق بين الدين والسياسة ليس من تعاليم الإسلام، "فليهجرنا مَن يُريد تحويلنا عن هذا المنهاج، فإنه خصم للإسلام أو جاهل به". ثم يقول: "يُخطئ من يَظن أن جماعة الإخوان المسلمين جماعة دراويش، قد حصروا أنفسهم في دائرة ضيقة من العبادات الإسلامية، كل همهم صلاة وصوم وذكر وتسبيح، فالمسلمون الأولون لم يَعرفوا الإسلام بهذه الصورة، ولم يُؤمنوا به على هذا النحو، ولكنهم آمنوا به عقيدة وعبادة، ووطناً وجنسية، وخلقاً ومادة، وثقافة وقانوناً، وسماحة وقوة، واعتقدوه نظاماً كاملاً يفرض نفسه على كل مظاهر الحياة، وينظم أمر الدنيا كما ينظم الآخرة، اعتقدوه نظاماً عملياً وروحياً معاً، فهو عندهم دين ودولة

(١) كتاب "الحركة السياسية في مصر" طارق البشري، ١٩٤٥-١٩٥٢م، ص ٥٤ .

ومصحف وسيف"[1].

وحول فكرة شمول الإسلام للدين والدولة يَذكر الدكتور إسحاق موسى الحسيني أن تَفكير الإخوان لم يَكن واحداً في كل الأوقات بالنسبة للإسلام كدين ودولة، وهذه المراوحة بين وجهي الدعوة السياسية والدينية كانت تَخدم الجماعة وتساعدها في فترة توسعها الأولى على النمو، فقد استطاع تحت سِتار الدعوة الدينية أن يَجذب كثيراً من العناصر ذات الاهتمامات الفطرية الدينية، بعيداً عن الصراعات السياسية، وتحت ستار الدعوة السياسية شَدَّ المتطلعين إلى العمل السياسي خارج نِطاق الأحزاب القائمة، وهذا يُوحي بأن الغموض كان مفيداً ومُتعمداً يَخدم أهداف الجماعة[2].

وللغموض في الأهداف حِكاية ..

لقد ساعد هذا الغموض الجماعة في الهرب من تحديد البرامج السياسية الواضحة، سواء بالنسبة للقضية الوطنية

---

(١) مجموعة رسائل حسن البنا، ص ٨٧ .

(٢) كتاب "الإخوان في دائرة النقد" إسحاق موسى الحسيني ، ص٨٣ ، دار البروق ، القاهرة ، ط ٣ .

أو القضايا الداخلية التي تَمس مَصالح الجماهير العَريضة من الشعب.

ويُؤكد طارق البشري هذه الحقيقة فيقول: "كان هذا الغموض أيضاً يُعفي الجماعة من تحديد الأهداف الواضحة فيما يَتعلق بالقضايا السياسية الجوهرية التي تُواجه الأمة، كالمسألة الوطنية ومشاكل نظام الحكم الداخلي، ويُعفيها من تفسير الموقف العملي الذي تتخذه في كل مناسبة، ويمنحها القدرة على أن تَطرح للناس موضوعاً أو مشكلة مُغايرة تماماً لما يَشغل الجميع من مشاكل سياسية حالة في أي لحظة، والحقيقة أن الجماعة بِرَغم ما كان يَصدر عن قادتها من تعريض بالاستعمار أحياناً أو هَجوماً عليه، كانت أَقل التنظيمات السياسية المصرية تعرضاً للمسألة الوطنية وتحديداً للموقف إزاءها، وكان هذا مُثيراً للشكوك وملقياً فيضاً من الغموض عليها في أوقات كانت المسألة الوطنية خِلالها هِي بُؤرة الاهتمام العام، وقد تَضمنت رسالة "نحو النور" مَا سُمي بالموبقات العشر، ورَدُّ الاستعمار على رأسها، ثم تَضمنت خمسين مَطلباً مِن المطالب العملية

للدعوة تحت عنوان "بعض خطوات الإصلاح العملي" لم يَرد بها مطلب واحد يتعلق بالجلاء أو الاستقلال، إنما اكتفت بعبارة: "تقوية الروابط بين الأقطار الإسلامية جميعاً وبخاصة العربية، تمهيداً للتفكير الجدي والعملي في شأن الخلافة الضائعة"[1].

تغطية الغموض بشعارات مثالية:

خلاصة القول أن الأثر الإيجابي للجماعة في أحداث المرحلة لم يَكن يتناسب مع حجمها الكبير، وكما ذكر طارق البشري بأن الغموض يَمنح الجماعة القُدرة على أن تَطرح للناس مَوضوعاً مُغايراً لما يَشغلهم، فقد حاول حسن البنا تغطية هذا الغموض بإثارة الشباب وإلهاب حماسهم بشعارات مثالية طوباوية، وإغراقهم في مثل هذه المتاهات، وإثارة روح الاستعلاء والعنصرية عن طريق استثارة عبق الماضي وأمجاده وما يستنفره من خيلاء.

ففي رسالته بعنوان "إلى الشباب" يُذكر أن الله كتب لهم

---

(١) كتاب "الحركة السياسية في مصر" ، طارق البشري ، ١٩٤٥-١٩٥٢، ص ٥٤-٥٥ .

"منزلة الزعامة بين العالمين، وكرامة الأستاذ بين تلامذته".

"إنكم سادة الدنيا، وأساتذة العالمين"، وهي شعارات حماسية ومبالغات لاستنهاض الهمم، ولا بَأس من ذلك. "إن العالم كله حائر يَضطرب، وكل مَا فيه من النُّظُم قد عجز عن علاجه". .. "فتقدموا باسم الله لإنقاذه، فالجميع في انتظار المنقذ".

الغموض في التفاصيل:

وليس معنى غموض أهداف الإخوان المسلمين أن أدبياتهم قد خلت من الحديث عن هذه الأهداف، بل مَعناه أن أهدافهم السياسية الخاصة بالقضايا التفصيلية الاجتماعية والاقتصادية والسياسية لم تكن بالتحديد الكافي لهيئة تتصدى للعمل السياسي، هذا عَلاوة على إنكارها أحياناً أنها تَعمل بالسياسة أو أنها حزب، بينما تُمارس نشاطاً سياسياً وحزبياً، وتُطالب بإلغاء الأحزاب. أما عن المناهج العامة والخطوط الرئيسة فإننا نَجد الكثير من التصريحات والمقالات النافذة خاصة عند تشخيص الداء، ففي ١٩٣٤م، كتب حسن البنا بمجلة "الإخوان المسلمون"

تحت عنوان "ناحية واحدة لا تكفي"، دَاعياً إلى تعدد نواحي الإصلاح، بل لا بد لها من أن تَتناول كل النواحي بِالتقويم والتجديد، سواء في ذلك النواحي الاجتماعية أو الاقتصادية أو الخلقية أو الأدبية الفنية أو الفكرية العلمية أو السياسية أو القانونية، وذلك حتى يُقوي بعضها بعضاً.

وقد اشتملت أهداف الإخوان - بجانب إعادة الخلافة والوحدة العربية الإسلامية، وإدماج الأحزاب في هيئة واحدة، وتطبيق نظرية الإسلام الاقتصادية - على إعادة النظر في نظام الملكيات في مصر، وذلك بتحديد أو اختصار الملكيات الكبيرة، وتعويض أصحابها، وتشجيع الملكيات الصغيرة، ولكنها لم تَضع حداً أعلى للملكية، وانتزاع المرافق العامة من الشركات الأجنبية، وتوزيع أملاك الحكومة على صغار الزراع، وفرض ضريبة الزكاة على رأس المال والربح، وإقرار الضرائب التصاعدية وإعفاء الفقراء منها، وتحريم الربا، والعودة إلى القرآن والسنة كمصدرين للتشريع[1].

(١) كتاب "من قتل حسن البنا ؟"، محسن محمد، ص ٣٦٣ .

أسباب غموض المناهج:

ونستطيع بعد هذا السرد أن نُجمل الأسباب الكامنة وراء غُموض البرامج عند الإخوان المسلمين فيما يلي:

١- يجذب الغموض إلى الجماعة كثيراً من الجماهير ومن القوى السياسية المتباينة في المواقف السياسية والأهداف العملية، وقد تَمكنت الجماعة من النمو تَحت شعار الدعوة الدينية البحتة في فترتها الأولى.

٢- يُعطى للمرشد الفاعلية في مُراوغة الحكومات والأحزاب والرأي العام بوجهي الدعوة، فيؤكد على الطابع الديني إذا وجد في الحكومة رئيساً قوياً، وينغمس في الصراعات السياسية إذا وَجد رئيساً ضعيفاً.

٣- يُفيد الغموض في الحركة الطليقة التي لا تَتقيد بِأهداف محددة ولا مناهج مُسبقة، فيعفي الجماعة من تَحديد الأهداف الوطنية وتحديد الموقف مِنَ المشاكل الداخلية وتفسير مواقفها العملية في كل مناسبة، ويُعطيها القدرة على طرح موضوعات مُغايرة لما يَشغل الناس.

٤- يَحل الغموض مُشكلة تَرتبت على مُطالبتها بإلغاء الأحزاب رغم أنها حِزب سِياسي يَسعى للسلطة، وهي في هذا تَتستر وراء اللافتة الدينية.

٥- يُفيد الغُموض في انطلاق السلطة الشخصية التي تعتمد على حرية العمل والتصرف، وانتقاء المحاسبة من قبل الآخرين، والغموض "يُحيل صاحب الدعوة من عامل مُلتزم بتحقيق فكرة ما إلى صاحبٍ لهذه الفكرة يدور بها حيث شاء، ويَستر في خَفائها حَركته وبواعثها، ولا يَكون للآخرين إزاءه إلا الطاعة أو الخروج عليه، وكذلك بالنسبة لما يَلقى مِن آراء ومَبادئ مُتعارضة تُشيع اللبس، ويَجري الاختيار مِنها حَسب المشيئة بِغَير التزام"[1].

ولا يستطيع غيره في أي مَوقف أن يُوضح ما غَمض وانبهم مِن تصرفات الجماعة، فكان الغموض مُصادرة للمعرفة لحساب المرشد فقط، وكان غموضاً واعياً ومقصوداً، وقبلت الجماعة

(١) كتاب "الحركة السياسية في مصر" ، طارق البشري ، ١٩٤٥-١٩٥٢م ، ص ٤٥/ ١٩٥٢م ، ص ٥٤-٦١-٦٢.

هذا الوضع مما تَرتب عليه نَوع من التقديس للفرد، أو كما قال "هيوارث دان": إن هناك نوعاً من المهدية في حركة الجماعة، وإن المرشد العام هو المهدي[١].

وقد نتج عن هذا التقديس أن استشعرت الجماعة - بعد اغتيال مرشدها العام - اليتم، وفقدت الرشد، واتسم نموها الكبير بطابع الشيخوخة السريعة، فظهرت الخلافات السياسية بين أعضائها وقادتها ممتزجة بالأطماع الشخصية، وباختفاء حسن البنا فقد الغموض القوة المتحكمة فيه، والمسيطرة على الجماعة من خلاله، وأصبح هذا الغموض هو القوة غير الواعية المتحكمة في الجماعة[٢].

---

(١) كتاب "من قتل حسن البنا ؟" ، محسن محمد ، ص ٣٦٤ .

(٢) كتاب "الحركة السياسية في مصر"، طارق البشري، ١٩٤٥-١٩٥٢م، ص ٤٥/ ١٩٥٢م ، ص٣٦٨.

الفصل الثالث:
نقد الأسس الفكرية والتربوية للإخوان المجرمين

المبحث الأول:
التربية الإخوانية للأعضاء ... فكرة ماسونية، وخطط شيطانية

أولاً: المخادعة:

من أبرز مناهج الإخوان التربوية الاهتمام بالعضو اهتماماً مُبالغاً فيه لدرجة السيطرة على عقله وفكره وحتى جسده، وصولاً لمرحلة مُتقدمة من التأثير في تصرفاته السلوكية وحتى النفسية،

فمن الأمور الملفتة للنظر - والتي أثارت نقداً موجهاً لحسن البنا ولجماعته فيما يتعلق بأسلوبه في مواجهة النقد الموجه إليه أو إلى الجماعة - أنه عمل على المراوغة وعدم المجابهة، وإشاعة جَو مِن التعتيم التام على الآراء المعارضة، والقدرة على الهروب من تحديد المواقف الواجبة، وإبدالها بقضايا جانبية تَستقطب الاهتمام وتمتص الطاقة بعيداً عن المشكلات الرئيسة ، مُستثمراً

في ذلك قُدراته الأسطورية في الحديث والخطابة، وما يَتمتع به من إجلال ومَهابة في قلوب أتباعه.

وكان يستثير العواطف لا بموقف حَازم مِن الاستعمار يُجابه به مَا يَشغل الناس فعلاً، ولكن بإثارة فِكرة جَديدة يُريد شُغلهم بها، فيقول: "إن الدور عليكم في قيادة وسيادة الشعوب، وتلك الأيام نداولها بين الناس"، ثم يتكلم عن أن الدين يُوجه المسلمين إلى أَفضل استعمار وأبرك فَتح، وَيُقيم الْمُسلمين أَوصياء على البشرية القاصرة، ويُعطيهم حَقَّ الهيمنة والسيادة على الدنيا[1].

هذا في الوقت الذي نَشكو نحن، ونُجاهد ضد التسلط الاستعماري الانكليزي على أرضنا وشعبنا، وكأنه - بهذه الروح الاستعلائية الفارغة والنظرة المتعصبة - يُقدم المبرر للسيطرة الاستعمارية الممقوتة في عصر تناضل فيه الشعوب ضد نزعات

(١) كتاب "الحركة السياسية في مصر" ، طارق البشري ، ١٩٤٥-١٩٥٢م ، ص ٧٢ . وانظر "حسن البنا - مذكرات الدعوة والداعية" ، ص ١١٥. وانظر "الإخوان المسلمون في ميزان الحق" ، أنور الجندي، ص ٢٨. وانظر "الإخوان المسلمون في ميزان الشعوب" .

التسلط والنهب والاستعلاء.

ولا شك كان أسلوب المراوغة والمخادعة والبعد عن القضايا المركزية إلى القضايا السطحية هو منهج اتبعه جميع الخلفاء الذين تعاقبوا على رئاسة الإخوان.

ثانياً: السيطرة على العضو جسدياً وفكرياً:

لقد كَوَّنَ حسن البنا كتائب أنصار الله في خريف عام ١٩٣٧م، بهدف استيعاب نشاطات العضو البدنية والعقلية والروحية، وضمان ولائه للجماعة وأفكارها وأعضائها ، وإن كل كتيبة تلتقي على حِدة في ليلة من الأسبوع لِتمارس تَدريباتها في تلك الليلة، وكانت هذه التدريبات تتضمن السهر ليلاً وأداء أكبر قَدرٍ مُمكن مِن صَلوات الفرد والجماعة والتسبيح ، وأقل قَدر مُمكن من النوم.

وكانت هذه الجلسات يَتخللها تَوجيهاتٌ رُوحية في أَيِّ مَوضوعٍ بَدءاً مِن الصُّوفية وانتهاءً بِالجنس، يُلقيها حسن البنا في أي وقت من الجلسة ، وكان الالتزام المطلوب مِن عُضو الكتائب

يَتلخص في ثلاث كلمات: العمل والطاعة والصمت[1]، وبهذا الالتزام يُصبح العضو مُهيأً للانضمام إلى التنظيم السري.

وحين فَشل نظام الكتائب في إنجاز البرامج والمراحل المعد لها، وانتقلت الوظيفة التي كانت مَرجوة منه، وهِي التلقين العقائدي التربوي، وضمان وَلاء العضو للجماعة، انتقلت إلى نظام الأسر الذي أُنشئ في أيلول ١٩٤٣م.

هذا علاوةً على مُشاركة فِرَقِ الجوالة في النهوض بَعده بالوظيفة منذ نَشأتها، فعضو الأسرة يَخضع لالتزامات شخصية واجتماعية ومالية تَنعكس على سلوكياته الدينية والأخلاقية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية، بِهَدف تكوين الشخصية الإسلامية مع التركيز على التنشئة الأخلاقية والاجتماعية للعضو. فالعضو مِن الناحية الشخصية مُلتزم بأداء فَرائض الدِّين وتجنب الكبائر وإثبات الولاء الدائم للتنظيم ومبادئه وقادته وهداية منزله، ومن الناحية الاجتماعية يُقوي عَلاقاته بالأسرة فَيحضرُ اجتماعاتها ويَقضي مَعها ليلة شهرياً في الهواء الطلق يَتناول معهم

(١) كتاب "الإخوان المسلمون" ، د . ميتشل ، ج ٢ ، ص ٧٦-٧٧ .

وجباتهم جماعةً وينامون معاً، ويُؤدون صلاة الجماعة الفجر والعشاء معاً وجماعة.

ومن الناحية المادية فكل عُضو مسؤول عن بقية الأعضاء يتحملون معاً الأعباء ويقتسمون المكاسب، والعلاقة بين أفراد الأسرة تُبنى على دَعامات التعارف والتفاهم والتكافل.

وكان مكتب الإرشاد العام في توجيهاته حريصاً على ربط الأعضاء بالجماعة وامتصاص كل وقتهم لحساب برنامج الجماعة، ففي المنشور الدوري الأول لسنة ١٣٥٨هـ الصادر عن هذا المكتب، يُعدد مظاهر النشاط الشهري للإخوان.

نَجد فيه "يوم النصيحة . . يوم الآخر . . يوم العبادة . . يوم التعارف" كما يُعدد مَظاهر النشاط الأسبوعي، فَنجد فيه أيضاً: ليلة الدرس الذي يُلقيه المرشد في القاهرة. ويُلخص في "النذير" ليلة الكتيبة – يوم المعسكر[1].

لقد كانت الجماعة حريصة على أن يعيش العضو كل لحظة

(١) صحيفة "النذير"، العدد الثاني، في ٨ محرم ١٣٥٨ هـ، السنة الثانية، ص ٢٣-٢٤.

من حياته في إطار قيم ومبادئ وسلوكيات وتوجيهات الجماعة، فلا يَتنفس إلا مِن خلال أوامرها ونواهيها، فهي لا تَعتمد في ربط العضو بها على الإثارة وحدها، ولا تَكتفي بعمل العضو بها على الإثارة وحدها، ولا تكتفي بعمل بين صفوفها في اللجان المختلفة، ولكنها بعبارة طارق البشري: تضعه كفرد بين عدد ضخم من الواجبات تحيط بحياته كلها، وترسم له أعماله وسلوكه اليومي وعلاقاته الشخصية وواجباته التنظيمية.

وإن اتباع كل هذه التعليمات والنصائح التنظيمية يجعل عضو الجماعة عضواً بها في كل لحظة من لحظات عيشه ، فَلا تَشمل مَهامه التنظيمية جانباً واحداً مِن جَوانب حياته، بَل تُحيط بِجوانبه كلها، فَيُمارس نشاطَهُ اليومي لا باعتباره فرداً عادياً، ولكن بِاعتباره عضواً وأخاً مُسلماً، وذلك يعني أن تمتص الدعوة والجماعة كل نشاطه الحيوي، ويرتبط بها لا فهماً وإيماناً فحسب، وليس في نشاطه العَام فقط، ولكن في جميع نَثريات الحياة ، بحيث يُصبح كما لوكان يَستمد وجوده المادي منها ، ويَخلق فيه ذلك الطواعية والسلاسة لجماعته، ويُصبح هو

والآخرون مِن إخوانه مجتمعاً مُنغلقاً يَحيا أفراده حياتهم اليومية وِفق تعليمات وضعتها قيادتهم لا يُشاركهم في الالتزام بها أحد من خارجهم.

وبهذا يَذوب الأفراد في الجماعة وفي زعيمها المعد لها المبايَع على السمع والطاعة، بواسطة أمور لا تتعلق بهدف سياسي مُعين، ولا بمنطق عَقلي واضح، ولا بنشاط عام مُحدد، ولكن يَذوبون بالانسياق من الداخل ، ويتم البناء النفسي للفرد مع إشاعة عَبق سَلفي يُحيط بالجماعة ومنشآتها وأفرادها.

ثالثاً: امتصاص طاقات الأعضاء بعيداً عن القضايا الرئيسة:

كان طبيعياً بسبب الهيمنة الفردية والأسلوب غير الديمقراطي في التنظيم، ونوع التربية السياسية التي ربى حسن البنا الجماعة عليها، أن تتجه طاقات الأعضاء بَعيداً عن القضايا الرئيسة الوطنية والاجتماعية وأن تبدو جماعة الإخوان كالتيار الشارد مُنفصلاً ومتعارضاً مع القوى الوطنية والديمقراطية والتقدمية، ومُقترباً بدرجات مُتفاوتة مع السراي وأحزاب الأقلية ، وبذلك استطاعت قيادة الإخوان المسلمين استلاب طاقات

جماهير أعضائها – وهي طاقات كبيرة – عن المشاركة الإيجابية في قضايا الأمة والمجتمع وامتصت ثَوريتها، ويُعبر طارق البشري عن هَذه الحقيقة حين يقول:

"كانت الجماعة تَضم قسماً من الجماهير، والشباب كان له ثقله السياسي الكبير لو وجه إلى الطريق الصحيح للثورة وأسهم في حل المشاكل السياسية والاجتماعية التي كانت تواجه الشعب وقتها ، ولكن الجماعة اختزنت ثورية الآلاف من هؤلاء وامتصت طاقاتهم ووجهتهم إلى غير متوجه، وكأن تنظيم الجماعة بأسلوبه غير الديمقراطي مِن العوامل التي أدت إلى تحكم القيادة في هذه الجماهير ، كما كان لِنوع التربية السياسية التي درب المرشد السابق المحيطين به عليها، كان لذلك كله أثره في نجاح قيادة الجماعة في عَزل الكتلة الشعبية العريضة المختزنة داخل الجماعة عن المشاركة في قضايا الشعب وقضاياه"[1].

(١) كتاب "الحركة السياسية في مصر" ، طارق البشري ، ١٩٤٥-١٩٥٢م ، ص ٣٧٣.

البنَّا يُضفي عَبقاً مقدساً على دعوته:

ولكي يُعَمِّق حسن البنا إحساس الأعضاء بدعوته ويُغريهم على الإقبال عليها والتشبث بها ولاستماتته في الدفاع عنها، أضفى عبقاً مقدساً على الدعوة بمقارنتها بالدعوة في عهد الرسول وتشبيهها بها.

فهو يَقف بين أتباعه يُحدثهم حديث الثلاثاء ويقول لهم: كل ما وجدت مع الإخوان في حَفِل شَعرت بخاطر، هذا الخاطر هو المقارنة بين عهدين لدعوتنا: عهدها الأول: حين قام الرسول وحده يُجاهد مُنفرداً، وعهدها الثاني: عهد انبعاثها على أيديكم أنتم أيها الإخوان، فَقُمتم تُجددون العهد وتحشدون القوى وتبذلون الجهود، حتى يَرجع للدعوة شبابها وتكتمل قوتها[1].

ويُؤكد هذا المعنى في مَوقف آخر حين يُشَبِّه وقفته بين أتباعه بوقفة النبي واجتماعه بأصحابه الأول في بطن الصفا، ويفيض عليهم من رُوحه الكريم ومن آيات الوحي الإلهي ،

(١) مجلة الإخوان المسلمون الأسبوعية، العدد ١٠٢، السنة الرابعة، في ١٦ جمادى الثاني ١٣٦٥هـ / ١٨ مايو ١٩٤٦م، ص ١٦-١٧.

ويُحاول حَسن البنا بـذلك أن يَبعـث فـي أتباعـه رُوح الأمـل فـي النصر، وأن يَستثير فـيهم روحـاً مِـن التعـالي والقداسـة، مُسـتنفراً وُجدانهم الديني فيقول: "أيها الإخوان الفضلاء: إن مـا تُثيـره فـي نفسي الليلة، عاطفة الثلاثاء شعور مـن نـوع جديـد، فهـو رجـوع بالذهن والفكر والقلب معاً إلى بطن الصفا، بَـدأت نفسـي تُحـس هذا الشعور لأول ما وقفـت فـي صـلاة المغـرب الليلـة، وقفـت ونظرت إلى الإخوان، وكانت هذه النظرة هي التي ذَهبت بِفكـري وقلبي إلى بطن الصفا، حيث كان يجتمع رسـول الله لأول دعوتـه مع نخبة من مختلف الأعمار والمنـازل، فمـنهم الصـبي، ومـنهم الكهـل، ومـنهم الشـاب، ومـنهم الغنـي، ومـنهم الفقيـر، ومـنهم الظاهر، ومنهم المغمور ، ومنهم اللقن المثقـف ، ومـنهم الأمـي العامي، ومنهم العبد ، ومنهم الحر، وهم جميعاً في عَدَدِ الأصابع لا يَزيدون عن الآحاد ولا يَصلون المائة، ويجتمع مع هذه النخبـة في بطن الصفا، ويفيض عليهـا مـن روحـه الكـريم، ويُلقنهـا مـن كتاب الله العظيم، ويُملي عليها من آيات الوحي الإلهـي، ويكـون منها الأمة الجديدة بالدعوة الجديدة للعالم الجديد.

والله يا إخوان: كنت أَنسى التكبير في الصلاة لأني كُنت أغلب في تصور هذا الموقف، فَطَويت النفس على ما في النفس، وانتهزتُ فُرصة هَذه الوَقفة بَينكم لِأُنَفِّسَ عَن نفسي بَعض ما في نفسي، لم لا يكون من هذا الانعقاد - الصفا - ومن هذه الفئة الجديدة التي يُبني عليها العالم الجديد؟ وطالعت في أشخاصكم وفي صدوركم هذه النخبة الكريمة بين يدي رسول الله ".

ويُذكرهم بأن هذه النخبة التي اجتمعت برجل - النبي - ليس بأعظمهم جاهاً ولا بأعزهم عدداً ولا بأقواهم عُدة، ولكنه رجل منهم، ثم يَتساءل فيم كان هؤلاء يَحلمون وفيم كانوا يُفكرون حِين اجتمعوا في خِفية وفي مناجاة سرية؟ ويجيب: إنهم يُريدون أن يَضعوا في رؤوس الناس عقلاً جديداً وأن يُقيموا على ظهر الأرض دُنيا جديدة، وأن يُرَمِّمُوا مِن هياكل البشرية بناء جديداً.

وأشار إلى أن هذه المجموعة العَزلاء القليلة استطاعت أن تُقيم نظاماً جديداً وإنسانية جديدة، وأن تَجمع قلوب العباد على رب العباد حِين قامت دعوتها على الإيمان الكامل والحب

والتضحية، وخَتم كلمته بأن هذه الأسس لو قامت في أنفسنا كما قامت في أنفسهم لَسلكت بنا من مسالك العزة والنصر ما سلكت بهم[1]. وهو في مكان آخر حين يتحدث عن ذكريات الهجرة وعن نشوة اللقاء بالإخوان، يتمنى أن يَخرج مِن أتباعه "جيش الخلاص والإنقاذ"، مثل أهل مكة والمدنية، تجمعهم عاطفة الإيمان الجبارة، وتجمعهم فكرة واحدة تجعلهم صفاً واحداً. فكم مِنَّا يَستطيع يا أخي أن يَكون هواه تبعاً لما جاءت به الدعوة ؟

فمتى تَصل فِكرتنا – أيها الإخوان – إلى درجة أن تَكون هي المهيمنة الأولى على كل أعمالنا؟ فما وافقها قَضيناه وما خالفها خالفناه، ولو أن الفكرة سَيطرت على مجموعة مثل مجموعتنا هذه إلى هَذا الحد لأحدثت في العالم حدثاً، هذَا شأن بعيد كاف لالتفاف القلوب حولكم وحدبهم عليكم[2].

وحين يُضفي حَسن البنا على دعوته عبقاً من قُدسية يَلتمس لنفسه السبب في أن نَجاح الأعمال وانتصارها لا يَتوقف في رَأيه

---

(١) حديث الثلاثاء ، حسن البنا ، ص ٩٦-٩٨ .

(٢) حديث الثلاثاء ، حسن البنا ، ص ٢٣٦ .

على كَثرة العدد، وإنما يَتوقف على القوى الروحية، فهي القوى الكبرى والوسيلة المجدية، ولها فِعل السحر وتأثير الكهرباء، فإن الإيمان بالفكرة والالتفاف حولها هو كل شيء[1].

ولقد كانت الإثارة العاطفية بالعبق الروحي المقدس مِنَ الوسائل التي تَبعث الحَمِيَّة في نفوس الأعضاء، وكانت مِنَ العوامل التي جَدبت انتباه الأعداد الكبيرة التي تَبنَّت فِكر الجماعة في الأربعينات في حياة حسن البنا ، ولذلك حِينَما تَغيرت أساليب التَّلقين العَقائدي في عَهد المرشد الجديد "حسن الهضيبي" فَشلت الجماعة في جَذب انتباه هَذه الأعداد الكبيرة، فَلقد ابتعد المرشد الجديد عن التوجه العاطفي إلى الجماهير على غرار ما كان يَحدث في فترة حسن البنا ، وكان الهضيبي يَكره استعراضات القوة، ويَنتقد كُلَّ مُستلزمات الاجتماعات الجماهيرية، بَدءاً من الأحاديث النارية إلى إلقاء الشعارات وتأجج المشاعر والتظاهر، وكان "الهُضَيبي" يَعترض على ترديد

(١) مجلة الإخوان المسلمون الأسبوعية، العدد ١٥٦، السنة الخامسة، ٢٥ رجب ١٣٦٦ هـ/ ١٤ يونيو ١٩٤٧م، حديث الثلاثاء، "نظرات في كتاب الله" لحسن البنا، ص ١٢ .

الشعار التقليدي "الله أكبر ولله الحمد. .. الخ " أثناء الاجتماعات العامة، وكان هذا جزءاً مِن سياسته في مكافحة الشعارات ومبالغات الماضي، وكان اعتراضه على الشعارات الصوتية بمثابة إطفاء لجذوة حماس العضو[1].

ولقد اتبع حسن البنا في تربيته للأعضاء منهجاً مُتدرجاً يَأخذ بالعضو مَرحلة بعد الأخرى حتى يصل به إلى مَرتبة المجاهد وفق المنهج الإرهابي للإخوان، فَقد قَسَّمَ الأعضاءَ إلى ثلاثِ مَراحل:

المرحلة الأولى التمهيدية: وقد وَضع لها منهجاً مُيسراً يَتلاءم مع العضو المبتدئ ، فعلى هذا العضو أن يُلِمَّ بِالمبادئ الأساسية للإسلام ، وعلى المنهج في هذه المرحلة أن يَغرس العقيدة الصحيحة في القلوب، مع قِراءة القران الكريم وتعليم التجويد. .. الخ.

المرحلة الثانية التكوينية: ومنهجها يُوضِّحُ أركان الإيمان فهماً والتزاماً، ويُفسر القرآن، ويَشرح الحديث ويُعمق العقيدة،

---

(١) كتاب "الإخوان المسلمون"، د . ميتشل ، ج ٢ ، ص ٧٠-٧٢ .

ويَضع خطة للتربية الروحية والخلفية، والدراسة العلمية والثقافية،. .. الخ.

المرحلة الثالثة: وفيها يُلزَمُ الأخ بدراسات خاصة، كالفقه وأصوله، والسنة ومكانها في التشريع، وتاريخ الإسلام والحركات المعاصرة، وما يُدبره أعداء الإسلام ، كما يُلزَمُ الأخ بقيام الليل وتلاوة القران وتدبر معانيه، مع إعداد النفس وتهيئيها للبذل والتضحية، والقيام بالواجب نحو أمته وأوطانه[1].

وقد اتبع حسن البنا - بجانب الدراسات النظرية للأعضاء - نماذج من التربية بالقدوة ، فكان يَلتقي بتلاميذه من الشباب في رحلات تَستمر يوماً أو بَعض يوم خارج المدينة ، أوفي لقاءات داخلها يَنتقل بهم في مجالات مُختلفة، من صلاة إلى تلاوة، إلى إطعام مُشترك، إلى تدريبات رياضية، إلى جلسات روحية، إلى تدريب على الخطابة، وكان بِذلك يَربط بين النظرية والتطبيق العملي، فكان يُصلي بهم صلاة طويلة مُطمئنة يَقرأ فيها من طِوَالِ

(١) كتاب "كبرى الحركات الإسلامية في القرن الرابع عشر الهجري"، د. محمد السيد الوكيل، ص٥٧-٥٨ .

المفصل من آيات القران الكريم، وكان يُقَدِّم تَلاميذه تباعاً للإمامة لِيُدَرِّبَهُم عليها، ويزرع فيهم الثقة بأنفسهم، ويَضطرهم مِن بُعدٍ للحفظ والتجويد، وأثناء تناولهم لطعامهم المشترك يَذكُرُ لَهم بَعض الأحاديث التي تتعلق بآداب الطعام والشراب، وحِين يَقودُهُم إلى تدريبات رِياضية يُذَكِّرُهُم خِلالها بآداب الرَّميِ وَالسِّبَاق والجهاد.

وَكان لحسن البنا قُدرَة خَارقة عَلى التأثير في أتباعه[1].

وقد رسخ في أتباعه نظرة فوقية تجاه كافة الآراء والمناهج الأخرى حتى الإسلامية منها، ومن ذلك قوله:

"ولا يشغلكم الرد عليه عن الجد فيما أخذتم أنفسكم بسبيله، وستسمعون أن هيئة تتهمكم بالاتصال بهيئات أخرى تَكرهها أو تصادمها، فلا تهتموا بذلك، ولا تحاولوا أن تنفوه أو تثبتوه، فإن على المتهم أن يُثبت والبينة على من ادعى، وستسمعون أن قوماً يُريدون أن يَتصلوا بكم، وأن تتصلوا بهم من

(١) كتاب "حسن البنا - إمام وقائد"، محمد الشلبي، ص ٢٢-٢٣. وانظر: "كيف نَدعو الناس" لعبد العزيز صقر .

أهل العمل، إما صادقين أو غير صادقين، فأحب أن أقول لكم هُنا بكل وضوح إن دعوتكم هذه أسمى دعوة عَرفتها الإنسانية، وإنكم ورثة رسول الله، وخلفاؤه على قرآن ربه، وأمناؤه على شريعته. ..، وإذا كنتم كذلك فدعوتكم أحق أن يَأتيها الناس ولا تأتي هي أحداً، وتستغني عن غيرها، إذ هي جِماع كُل خير، وما عداها لا يَسلم من النقص، إذن فأقبلوا على شأنكم، ولا تساوموا على مناهجكم، واعرضوه على الناس في عز وقوة، فمن مَدَّ لَكم يده على أساسه فأهلاً ومرحباً، أخٌ لكم يَعمل معكم، ويؤمن إيمانكم، وينفذ تعاليمكم، ومَن أبى ذلك يَأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه. . لا تستعجلوا. . وستكونون من المطلوبين لا الطالبين".

لقد أكد أعضاء الإخوان المسلمين على هذا المنهج الخاطئ الذي يلغي العقل، والإرادة، ويقود الشباب إلى الموت كالخرفان، وهذا القرضاوي المجرم على الرغم من إخوانيته ينتقد هذا المنهج فيقول:

(الإخوان المسلمون عندهم ضعف في الجانب الثقافي

والعلمي، كانوا يُدربون على السمع والطاعة، مثل قول إسماعيل لأبيه: يا أبت افعل ما تؤمر!)[1]

الإخوان المسلمون واحتكار الدين !

لم تَكتَفِ عَقيدة الإخوان بالانعزال عن مشاكل الناس، وإنما أرادت أن تُعمق عُزلة الإخوان عن بقية طوائف الشعب، وتبعدهم عن التفاعل مع التيارات والهيئات المختلفة، وتخلُقَ فيهم روح التعصب وضيق الأفق، ففي البند الرابع مِن عقيدتنا "نص على مقاطعة كل الصحف والنشرات والكتب والهيئات والفرق والأندية التي تناوئ تعاليم الإسلام"، وهي تَرى أن كل ما عداها من الهيئات مُناوئٌ لتعاليم الإسلام، لأن المؤتمر الثالث أيضاً قَد اتخذ قَراراً يَحتكر به الإسلام لحساب الجماعة، فذكر أن على كل مسلم أن يَعتقد أن هذا المنهج كله من الإسلام، وأن كل نقص منه نقص من الفكرة الإسلامية الصحيحة[2].

وقد علق **الدكتور محمد عمارة** على هذا القرار بأن

---

(١) ابن القرية والكُتَّاب – مذكرات القرضاوي: ١/ ٣١٨.

(٢) كتاب "مذكرات الدعوة والداعية"، حسن البنا، ص ١٩٦-١٨٩ .

"الجماعة تُصادر به الدين لمصلحتها، وبهذا لا تُصبح مُجرد جمعية تُطبق الدين كما يُحاول غيرها أن يَفعل، وإنما تُؤكد أن مَنهجها وحده هو الإسلام الصحيح، ومِن ثَمَّ فإن مَن يَقف ضِدها كجماعة يَكون خارجاً على الإسلام ذاته، إنه مبدأ يَسعى للسيطرة على الإسلام لا للاتصاف به فقط"[(١)].

ويعلق أحد الكتاب "خليل سيد عبد العال" على هذا التحليل بقوله: "وبهذا يُمكننا أن نفسر حملات القتل والاغتيال التي نَظَّمَهَا أعضاء الجماعة ضد خصومها"[(٢)].

كما يمكننا أن نبصر في هذا الاتجاهَ المتعصب وضيق الأفق، والذي ظهر في مؤتمر الإخوان عام ١٩٣٥م البدايات الأولى التي مَهدت في السبعينات والثمانينات لفكر جماعات التكفير والهجرة، وكلها خَرجت من تحت مِعطف الإخوان المسلمين. وبهذا المنهج الديني الأخلاقي البعيد عن السياسة عاشت جماعة الإخوان المسلمين في مَرحلتها الأولى، بَعيدة عن

---

(١) كتاب "الحركة السياسية في الواقع المصري" ، طارق العلايلي بن سرور ، ص ٥٣ .

(٢) كتاب "حسن البنا – متى .. كيف .. ولماذا ؟" ، د. رفعت السعيد ، ص ٦٨-٦٩.

الأضواء، مغمورة بين الهيئات السياسية، ومجهولة من هذه الهيئات، ومَن يَعرفها يَعرفها كهيئة دينية مع محاولة البعض الاستفادة منها في تحقيق أطماعه في الصراع الدائر بين التيارات السياسية والاجتماعية.

وما يدل على أن حركة الإخوان كانت مغمورة وغامضة وغير واضحة بالنسبة للهيئات السياسية أن مصطفى النحاس باشا لم يَكن يَعرف حسن البنا حين قابله ضمن وَفد لِعرض مقترحات خاصة بالتعلم والتربية الدينية، وكان مصطفى النحاس باشا يظن أن حسن البنا أحد العمد الذين يتَألف منهم هذا الوفد[1].

علماء الأمة يُشَكِّكُون في عقيدة الإخوان:

ورغم أن حسن البنا قد أقر التصوف والسنة - كفكرتين مُجردتين وليس كدعوتين - باعتبارهما عنصرين من الدين والسياسة الشاملة للجماعة، ورغم أنه قد تَشَبَّع بأفكارهما واعتقدهما وأخذ نفسه بهما، غير أن هاتين الفِكرتين بِاعتبارهما دَعوتين يَحملهما طائفتان قَد عَارضتا فَهمَ حسن البنا وجماعة

(١) كتاب "الإخوان المسلمون"، د. زكريا بيومي ، ص ٨٩ .

الإخوان للإسلام، فَهُمَا يَريَان أن نشاط الإخوان السياسي مَا هو إلا إقحام للإسلام فيما لا يَعنيه.

فدعاة السنة اتهموا حسن البنا بأنه يَدعو إلى السفساف والتافه من أمور الإسلام، ويدع العظيم والخطير منها وهو العقيدة الصحيحة وتطهيرها من البدع والخرافات، ورماه الصوفيون بأنه تَنكب الطريق الإسلامي بِدعوته إلى التدخل بأمور الدنيا.

ولذلك أعرض حسن البنا في دعوته عن أهل التصوف ودعاة السنة، واتجه إلى الطائفتين المحايدتين، وهما طائفة من الصالحين من غير الطائفتين السابقتين، وطائفة الذين لا يُبالون بالدِّين لجهلهم به، وهما ممن لا تَشغل بالهم قضايا الخلاف. وقد رَدَّ حسن البنا على انتقاد أهل التصوف ودعاة السنة لَه بمجلة الإخوان المسلمين في أواسط الثلاثينيات بمقال قال فيه: "إن إخواننا الذين ينتقدوننا يحصرون دعوتهم في حدود المربع الصغير الذي يقع في مركز الدائرة، وهم بذلك يقصرونها على الذين اكتمل فيهم كل ما يَرون أنه العقيدة الصحيحة، وهذا عدد ضئيل، أما نحن فنتوجه بالدعوة إلى كل من يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، مَهما كان مُقصراً فيما سوى ذلك

من تعاليم الإسلام وأفكاره، وكل ما نطالبه به هو أن يَرتبط معنا برباط الأخوة الإسلامية للعمل على استعادة مجد الإسلام، وهذه الدعوة غير المشروطة بشيء إلا بالإقرار بالشهادتين، يَستجيب لها طوائف على درجات متفاوتة من الإيمان بالتعاليم الإسلامية والعمل بها، وفي ظل رُوح الأخوة التي تجمع بين كل هذه الطوائف ، وتحت لواء المبايعة على العمل لاستعادة مجد الإسلام ، وعلى ضوء توجيهات قيادة الدعوة الممزوجة بروح الحب والمودة تنصهر كل هذه الطوائف في بوتقة هذا المجتمع، فترقى كل طائفة في إيمانها وعملها وعقيدتها وفقهها.

وقد رفض علماء الأمة فكر حسن البنا، وشككوا في عقيدة الإخوان وفهمهم للإسلام، مما دفع حسن البنا إلى إصدار رسالة التعاليم، ليحدد فيها رؤية الإخوان المسلمين للتعاليم الإسلامية الأساسية، ورأيهم في مواطن الخلاف بين الطوائف[1].

(١) كتاب "الإخوان المسلمون - أحداث صنعت التاريخ"، محمود عبد الحليم، ج ٢ ص٣٣٧-٣٤١.

المبحث الثاني: الحاكمية وتكفير المسلمين[1]

لقد وقع نظر قادة الجماعة الإخوانية على فكرة الحاكمية كواحدة من أهم الأوتار التي يمكن اللعب عليها في نثر بذور الفتن في المجتمعات التي تدخل ضمن دائرة الاستهداف الإخواني ، لهذا سعى منظرو الإخوان منذ النشأة إلى تسليط الضوء على هذه الفكرة ليصل البعض منهم إلى اعتبارها أصلاً إيمانياً، وتوحيدياً ، خلافاً لما استقر عليه عموم أهل العلم منذ القدم، وكانت الغاية من ذلك هي التحريض باسم الدين على شق عصا الطاعة للحكام وولاة الأمر، بغية نزع فتيل الفوضى تمهيداً لاستهداف الأوطان، حيث أن تكريس قاعدة مغلوطة كهذه على أساس ديني يقلل من شأن الولاء للأوطان في نفس الفرد، إلى أن ينعدم هذا الولاء انعداماً كاملاً ليتحول إلى صيد سهل وفريسة منهكة ، قابلة للاستغلال من قبل هؤلاء المزورين على الوجه الذي يلبي توجهاتهم الهدامة ..

ومن هنا نستجلي السبب الحقيقي من وراء دأب الجماعة

---

(١) للتوسع في نقض فكرة الحاكمية؛ انظر: الحق المبين في الرد على من تلاعب بالدين، للأستاذ أسامة السيد محمود الأزهري، ص (١٧-٦٤).

الإخوانية، على تحريف آيات وأحاديث ((السيف والقتال)) عن مواضعها، لتخرج هذه النصوص المقدسة من أصولها، وتحصر هدفها في الدلالة على وجوب قتال الحاكم، والمعترض على حد سواء، بهدف تطويعها واستثمارها في خدمة أهدافها، وقد بلغ الجهل ببعض منظري هذه الجماعة ومن يدور في فلكها أن حكموا بجواز قتل الأبرياء من نساء وأطفال، وارتكاب عمليات الإبادة والتطهير العرقي والمذهبي، وكل ذلك لتطبيق شريعة البنا الضالة في إقامة الحاكمية المزعومة، واستجابةً للفكر القطبي الذي أرسى قواعد التكفير والتغيير باستخدام العنف، إلى أن طبق المفهوم فعلياً على أرض الواقع على يد جماعات كـ التكفير والهجرة وتنظيم الجهاد الإسلامي، والجماعة الإسلامية، والقاعدة وداعش.

ولا شك في أن من رصد مسارات التحول للتنظيم الإخواني وتوابعه، منذ سبعينيات القرن المنصرم، لا بد له من الإقرار بأن الفكر القطبي في تبني مبدأ الحاكمية المنحرف، واعتماد العنف كوسيلة لبلوغ الأهداف الإخوانية الهدامة، قد خرج إلى حيز الوجود، عبر بعض الحركات التي ظهرت في أكثر

من مكـان ورفعـت شـعارات رافضـة لمـا أطلقـوا عليـه القـوانين والدسـاتير الوضـعية التـي تسـير عليهـا المجتمعـات الإسـلامية، كـشعار(الإسلام هـو الحـل)، وانتقـدوا الـنظم المدنيـة الحديثـة لتـداول السـلطة كفكـرة الديمقراطيـة والانتخابـات، واعتبروهـا مخالفـة لمبـدأ ((الشـورى)) ووصـل الأمـر بهـذه التنظيمـات أن طوعت الأحاديث النبوية والآيات القرآنية لتبرير استخدام العنف ضد المجتمعات، وظهر ذلـك جليـاً فـي تجـارب عمليـة تمثلـت بالفصائل المسلحة التابعة لتنظيم الإخوان، مثل تنظيم (الطليعـة " فـي سـوريا) وحركتـي (حسـم ولـواء الثـورة فـي مصـر)، والتـي سـجلت تاريخـاً فـي الإرهـاب والعنـف تحـت الشـعارات التـي أفرزتها الفلسفة الإجرامية للبنا وقطب.

وبعد كـل هـذه المسـيرة الطويلـة لهـذه الزمـرة الضـالة فـي الدأب على إرساء الحاكمية كأصل توحيدي لا جدال ولا اجتهاد فيه، فإننـا لنجـد فـي اسـتعراض تـاريخ قـادة الإخـوان مـع فكـرة الحاكمية أنها لم تكن بالنسبة لهـم سـوى شـعارات تكتيكيـة يـتم استحضارها تبعاً لمقتضيات المسرح السياسي، وتحقيق الأهداف المرحلية، فبعد أن استثمر بها البنا وسـيد قطـب الـذي تفـنن فـي

الترويج لها، وكرس غالب نشاطه لتزيين مفهومها، بما يضمن التأليب السياسي وإثارة العامة ضد الحاكم، لينتقل عقد استثمارها إلى أبي الأعلى المودودي الذي رفع شعار الحاكمية، واستبسل لأجله في العقد الرابع من القرن الماضي عندما كانت الهند لا تزال تحت حكم التاج البريطاني، وما إن استقر الوضع السياسي لجماعته حتى سارع إلى العدول عن تطبيقها، انتهاءً بـ الشيخ القرضاوي، الذي سار على نهج المودودي في أيامه الأخيرة، وتراجع خطابه في استحضار شعار الحاكمية بعد أن ارتسم المشهد الذي أفرزه الخريف العربي بما يتماهى ومصلحة الزمرة الإخوانية..

-ولعل التقرير الذي أعلنت دار الإفتاء المصرية في ١٧ أيار ٢٠٢٢ عن توزيعه على مجلس العموم واللوردات البريطاني حول الجماعة الإخوانية، كان تقريراً شاملاً يكشف منهج الجماعة المتطرف، وارتباطاتها العميقة بمختلف التنظيمات الإرهابية، وفضح أسلوب الإخوان المسلمين في النفاق، والتزوير واستغلال الإسلام والنصوص الدينية من أجل تحقيق مكاسب سياسية، وأشار التقرير إلى أن جماعة "الإخوان" كانت

تعمل بوجهين، الأول هو الوجه الظاهر لعامة الناس والجماهير حيث قدموا أنفسهم كمصلحين اجتماعيين وكقوة معارضة، أما الوجه الثاني فتمثل في إنشاء "الجهاز السري" للجماعة الذي يعمل في الخفاء ويمارس دوراً عسكرياً إجرامياً يتنافى مع أخلاق الدين الإسلامي وتعاليمه..

الحاكمية هي الفكرة المحورية التي تأسست عليها مفاهيم التيارات الإسلامية، وانبثقت منها قاعدة شرك الحاكمية وتوحيد الحاكمية عند سيد قطب وأخيه محمد قطب، قال القرضاوي وهو ينقض فكرة التكفير القائمة على الحاكمية في مذكراته: (إنّ فكرة التكفير لمسلمي اليوم لم ينفرد بها كتاب (المعالم)، بل أصلها في (الظلال) وفي كتب أخرى، أهمها العدالة الاجتماعية)[1]، وقال أيضاً: (وأخطر ما تحتويه التوجهات الجديدة في هذه المرحلة لسيد قطب، هو ركونه إلى فكرة التكفير والتوسع فيه)[2].

فكان تفسير ظلال القرآن لسيد قطب المدونة الأساسية التي

---

(١) ابن القرية والكتاب، ملامح سيرة ومسيرة: (٣/ ٦٩).

(٢) ابن القرية والكتاب: (٣/ ٥٨).

تنبثق منها التيارات التكفيرية، وقد بنى فكرة الحاكمية على فهم مغلوط لقول الله تعالى: ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ [المائدة: ٤٤] فقد ذهب إلى تكفير الشخص بترك الأحكام الشرعية مع إيمانه بها، حتى مع عدم التمكّن من فعلها، وهذا مذهب غريب جداً في غاية التشدّد والتضييق، حيث جعل الحاكميّة من أصول الإيمان، فزاد في أمور الاعتقاد أمراً لم يقل به أحد من أهل السنة، وإنما هو مذهب الخوارج، وأمّا علماء المسلمين سلفاً وخلفاً فقد اتفقوا على أنّ الكفر بالجحود وليس بترك العمل مع الإيمان والتصديق.

قال الرازي :

(قال عكرمة: قوله ومن لم يحكم بما أنزل الله إنما يتناول من أنكر بقلبه وجحد بلسانه، أما من عرف بقلبه كونه حكم الله وأقر بلسانه كونه حكم الله، إلا أنه أتى بما يضاده فهو حاكم بما أنزل الله تعالى، ولكنه تارك له، فلا يلزم دخوله تحت هذه الآية)[1].

(١) التفسير الكبير: (١٢/ ٣٦٨)

وقد اتفق على هذا جميع أهل السنة بدءاً من الصحابة، وانتهاء بالعلماء المحققين المعاصرين، منهم: ابن مسعود، وابن عباس، والبراء بن عازب، وحذيفة بن اليمان، وإبراهيم النخعي، والسدّي، والضحاك، وأبو صالح، وأبو مجلز، وعكرمة، وقتادة، وعامر، والشعبي، وعطاء، وطاوس، ثم الطبري في جامع البيان، والغزالي في المستصفى، وابن عطية في المحرر الوجيز، والرازي في مفاتيح الغيب، والقرطبي في الأحكام، وابن جزي في التسهيل، وأبو حيان في البحر المحيط، وابن كثير في تفسير القرآن العظيم، والآلوسي في روح المعاني، والطاهر بن عاشور في التحرير والتنوير، والشعراوي في تفسيره[1].

وبهذا نجد سيد قطب وجماعة الإخوان المسلمين خالفوا علماء الأمة الإسلامية من السلف والخلف والمحققين والمتكلمين من أهل السنّة والجماعة.

إنّ حمَلة الفكر التكفيري يستندون في فكرهم هذا إلى

(١) ينظر: الحقّ المبين في الردّ على من تلاعب في الدين، للأستاذ أسامة السيد محمود: (ص:٢٨).

تأويل آيتين إجمالاً في كتاب الله تعالى، هما قوله تعالى: ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۖ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٠﴾﴾ [يوسف: ٤٠] وقوله تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [المائدة: ٤٤]

وقبل الجواب على ذلك لا بدّ من الوقوف عند المفاهيم الأساسية لمفردتي: (الحكم) و(الكفر).

١- الحكم: لقد فسّر بعضهم كلمة (الحُكم) في قوله تعالى: ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾ تفسيراً ضيّقاً مجتزأ، ليتّسق مع غاياتهم وأهدافهم، وقصروه على الحكم القضائي والدستوري، وكأنه لا يجب تطبيق شرع الله إلا على الحاكم، مع أنّ حكم الله حقيقةً يشمل كلّ جزئية من أجزاء هذا الدين، فتشريع العبادات والمعاملات المالية والاقتصادية والأسريّة من حكم الله تعالى، وأداء الأمانات وإقامة العدل من حكم الله، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُوا۟

﴿ بِٱلْعَدْلِ ﴾ [النساء: ٥٨] والأمر بالإحسان إلى الآخرين، وصلة الأرحام والانتهاء عن الفحشاء والمنكر والبغي من حكم الله ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ [النحل: ٩٠] ونحوها من الأحكام الشرعية المبثوثة في كتاب الله وسنّة نبيّه، وإضافة إلى ذلك فإنّ الأحكام القضائية والجنائية والدستورية والسياسية من حكم الله تعالى أيضاً، فلا ميزة لحكم على حكم.

٢- الكفر: وردت كلمة الكفر في الكتاب والسنة أعمّ من معناها المستعمل اليوم، فإن المعنى الاصطلاحي لكلمة الكفر الذي هو الخروج من الدين جاء متأخراً، وأصبح العرف في كتب العلماء إطلاق الكفر على الخروج من الملة، وإطلاق الفسق على المعصية دون الكفر، وأمّا في الكتاب والسنة فقد يُطلَق الكفر على المعصية ولا يراد بها الكفر.

ومن ثمّ وقع الخلط والتكفير، بسبب الجهل وعدم أخذ العلم من العلماء.

ومن أعظم أسباب التكفير الطعن بعلماء الأمة وعدم معرفة فضلهم في تحقيق المسائل وتدقيق الأقوال؛ لذا لا يجتمع العلم مع التكفير البتّة؛ لأن التطرّف قائم على الجهل، والوسطيّة قائمة على العلم.

وإليك بعض الأمثلة من الكتاب والسنّة في ورود (الكفر) الذي لا يُقصَد به الخروج من الملّة:

أما من القرآن الكريم:

١- قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٧﴾﴾ [آل عمران: ٩٧]

قال ابن عباس: من كفر بوجوب الحج عليه... قال الأصفهاني: (وأما من تركه ممن يري وجوبه لم يكن كافراً)[١] وقال القرطبي: (قلت: هذا خرج مخرج التغليظ)[٢] أي من ترك الحجّ وهو لا ينكر وجوبه لا يكفر، وأنّ المقصود بقوله تعالى:(ومن كفر) في حق من لم يحجّ مع الإقرار بوجوبه الفسق وليس الكفر.

---

(١) تفسير الراغب الأصفهاني: (٢/ ٧٤٣).

(٢) تفسير القرطبي: (٤/ ١٥٤).

٢- قوله تعالى: ﴿ **وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ** ﴾ قال طاوس: ({ ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون }، ليس بكفر ينقل عن الملّة)[١] وعن عطاء قوله: ({ ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون } { ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون } { ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون } قال: (كفر دون كفر، وفسق دون فسق، وظلم دون ظلم) أي ليس هو الكفر الذي يخرج من الدين)[٢].

وإنما المقصود بالكفر الحقيقي في هذه الآية هم اليهود والكفار، ولم يُقصَد بهم المسلمين، كما بيّنت السنة النبوية ذلك، وكما ورد عن السلف، ومما جاء في ذلك: عن البراء بن عازب عن النبي ﷺ: «**في قوله تعالى: { ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون } و { الظالمون } و { الفاسقون } نزلت كلها**

---

(١) تفسير القرطبي: (١٠/ ٣٥٥).

(٢) المصدر نفسه.

في الكفار»[1]

وذكر رجل عند عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود قوله تعالى: { ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون }، { ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون }، { ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون } فقال عبيد الله: (أما والله إن كثيراً من الناس يتأوّلون هؤلاء الآيات على ما لم ينزلن عليه، وما أنزلن إلا في حيّين من يهود)[2] .

وعن أبي صالح قال: (الثلاث الآيات التي في (المائدة) { ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون }{ فأولئك هم الظالمون } { فأولئك هم الفاسقون } ليس في أهل الإسلام منها شيء، هي في الكفّار)[3] لذا لم يكفّر علماء المسلمين الحكّام بتلك الشُبَه، ولم يحمل هذه الآيات على تكفير المسلمين إلا الخوارج ومن سار على نهجهم، قال الراغب الأصفهاني: ({ وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ } يتعلق به

---

(١) صحيح مسلم: (١٧٠٠) تفسير القرطبي (٦/ ١٩٠).

(٢) تفسير الطبري: (١٠/ ٣٥٢).

(٣) تفسير الطبري: (١٠/ ٣٤٦).

الخوارج، وزعموا أنّ التارك لحكم الله على كل حال كافر)[1].

قال الشاطبي: (وفي حديث الخوارج ... فإنّه- أي النبي ﷺ- ذمّهم بعد أن ذكر أعمالهم، وقال في جملة ما ذمهم به: «يقرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهم» فذمّهم بترك التدبّر، والأخذ بظواهر المتشابهات، كما قالوا: حكم (الرجال) في دين الله، والله يقول: { إن الحكم إلّا لله })[2].

وأما من السنة النبوية:

١- قال ﷺ: «**من حلف بغير الله، فقد كفر أو أشرك**»: فقوله: (فقد كفر، أو أشرك) ليس معناه الكفر الحقيقي المخرج من الملة، وإنما قصد به التغليظ فحسب، والدليل على هذا أن النبي ﷺ سمع عمر يقول: (وأبي وأبي) أي يحلف بأبيه، فقال له ﷺ: «**ألا إنّ الله ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم**»، فلم يقل له لقد كفرت وخرجت من الملّة ووقعتَ في الردة، وعليك أن تجدد إيمانك ... وإنّما نهاه بصيغة لا تدلّ على عظيم إثم هذا القول، بل إنّ

(١) تفسير الراغب الأصفهاني: (٤/ ٣٦١).

(٢) الاعتصام: (٣/ ١٣٧).

النبي ﷺ ذاته استخدم هذا الذي ظاهره القسم بالأب، وقصد به التوكيد، فقال عن الأعرابي الذي سأله: «أفلح وأبيه إن صدق، دخل الجنة وأبيه إن صدق»[1] فقوله (وأبيه) صيغة قسم بالأب، ولكن لم يكن المقصود بها القسم ولا التعظيم ولو كان المقصود بالكفر الخروج من الملة لما أوردها النبي صلى الله عله وسلم على لسانه.

٢- قال ﷺ: «**من ادّعى لغير أبيه وهو يعلم فقد كفر**»[2] ولم يقل أحد من أهل الحقّ أنّ من ينتسب إلى غير أبيه يخرج من الملة، قال العيني: (المراد: كفران النعمة وإنكار حق الله وحق أبيه، أو هو للتغليظ، كقوله: { ومن كفر فإن الله غني })[3].

٣- قال ﷺ: «**سباب المسلم فسوق وقتاله كفر**» [متفق عليه] وقد اتّفق أهل الحق على أنّ القتال ليس من أفعال الردّة والكفر، مع عظيم وزره وشدّة التغليظ فيه، وقد روى ابن عبد البر عن مالك: (قوله ﷺ: «**سباب المسلم فسوق وقتاله كفر**» وقوله ﷺ:

---

(١) انظر: سنن الترمذي رقم: (١٥٣٥).

(٢) صحيح البخاري: (٦٧٦٨)، والأدب والمفرد: (٤٣٣) واللفظ للأدب المفرد.

(٣) عمدة القاري: (٢٣/ ٢٦٢).

«**لا ترجعوا بعدي كفّارًا يضرب بعضكم رقاب بعض**» وقوله: «**لا ترغبوا عن آبائكم فإنه كفرٌ بكم أن ترغبوا عن آبائكم**» .

ومثل هذا كثير من الآثار التي وردت بلفظ التغليظ وليست على ظاهرها عند أهل الحق والعلم؛ لأصول تدفعها أقوى منها من الكتاب والسنة المجتمع عليها، والآثار الثابتة أيضا من جهة الإسناد وهذا باب يتسع القول فيه)[1].

وإذا عدنا إلى قوله تعالى: ﴿إن الحكم إلا لله﴾ وقوله: ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ فإنهما يدلان على أنّ الله تعالى حصر تشريع الأحكام بما أوحى به إلى نبيه ﷺ، فكلّ ما ورد من أوامر ونواهٍ فهي من أحكام الله تعالى، سواء كانت متعلّقة بالأفراد أو بالجماعات أو بالحكّام، ويجب على الجميع تنفيذ أوامر الله تعالى والانتهاء عن نواهيه، سواء كانوا حُكّاماً أو محكومين.

وإذا تفقنا على ذلك فإن السرقة خروج عن حكم الله، والزنا خروج عن حكم الله، فهل يُعدّ السارق والزاني كفاراً؟!

---

(١) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد: (١٧/ ١٥).

ومن المعلوم أنّ علماء السنة اتفقوا على أن مرتكب الكبيرة لا يكفر، فالسرقة والزنا لا يُخرجان عن الملة، مع إثمهما العظيم وخطرهما الجسيم.

فإذا انتقلنا خطوة أخرى، وجئنا بهذا السارق وهذا الزاني إلى القاضي، فلم يقطع يد السارق، ولم يقم الحد على الزان فما حكم هذا القاضي الذي يقال عنه عطّل حدود الله؟

فإذا قالوا إنه يكفر لأنه لم يحكم بما أمر الله، يقال لهم: ألم يجترئ السارق والزاني على حدود الله وخالفا حكم الله وقد اتفق أهل الحقّ من المسلمين أنّ السارق والزاني لم يكفرا بهذا الفعل، فلماذا لا يكفر الجاني الذي اجترأ على حدود الله ويكفر من لم يعاقبه، وكلاهما خرجا عن حكم الله؟!

فإن قالوا إنّ ما فعله السارق والزاني معصية، وأما ما فعله الحاكم فإنّه جعل نفسه ندّاً لله تعالى، وحكم عليهما بغير الحكم الذي أمر الله به، وبهذا قد كفر.

فنقول له: وما أدراك أنّ الحاكم جعل نفسه ندّاً لله عندما امتنع من إقامة الحدّ؟ ولماذا لا تحكم على السارق والزاني

بأنّهما فعلا ذلك تحدّياً لدين الله مستحلّين لمعصية الله؟

فإن قال: ما داما مسلمَين لا نحكم بأنهما فعلا المعصية استحلالاً لها وتحدّياً للدين، وإنما فعلاها وهما مقرّان بالخطأ؛ لأنّ الظاهر أن المسلم لا يفعل المعصية استحلالاً لها ولا تحدّياً لدين الله لذا فلا يكفر بفعلها.

فنقول له: وكذلك الحاكم إذا كان مسلماً ولم يقم الحدّ فالظاهر أنّه لم يجعل نفسه ندّاً ومشرّعاً من دون الله، وأنّه مقرّ بأنّ شرع الله هو الأصل، ولا يكفر بتركه إقامة الحدود، ولا فرق بينهما.

والأدلة على ما نقوله كثيرة في السنة النبويّة، فقد أمر النبي صلى الله عليه وسلم بطاعة وليّ الأمر وبالسمع والطاعة، ونهى عن الخروج عليه مهما كان، إلا إذا ظهر منه كفر صريح بواح بدليل قطعي لا خلاف فيه، كما روى عبادة بن الصامت قال: دعانا النبي ﷺ فبايعَناه، فقال فيما أخذ علينا: «أن بايعَنا على السمع والطاعة، في منشطنا ومكرهنا، وعسرنا ويسرنا وأثَرَة علينا، وأن لا ننازع الأمر أهله، إلا أن تروا كفرا بواحا، عندكم من

الله فيه برهان»[1] فقد أكّد النبيّ ﷺ صفة الكفر بأنه ظاهر بواح مع الأدلة والبراهين الساطعة التي لا تقبل الشك أبداً، وإنّ عدم إقامة الحدود ليست كفراً بواحاً باتفاق أهل الحق من المسلمين، بل جاء في حديث آخر: عن عوف بن مالك، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «خيار أئمتكم الذين تحبونهم ويحبونكم، ويصلّون عليكم وتصلّون عليهم، وشرار أئمتكم الذين تبغضونهم ويبغضونكم، وتلعنونهم ويلعنونكم»، قيل: يا رسول الله، أفلا ننابذهم بالسيف؟ فقال: «لا، ما أقاموا فيكم الصلاة، وإذا رأيتم من ولاتكم شيئا تكرهونه، فاكرهوا عمله، ولا تنزعوا يداً من طاعة»[2] فعندما وصف النبي ﷺ بعض الأئمة بصفات السوء والجور نهى عن الخروج عليهم إذا أقيمت الصلاة بالبلاد، ولم يقل إن جَور الحكام كفر لأنّ الله يأمر بالعدل وهم يجعلون أنفسهم أنداداً لله ويخالفون حكمه ويظلمون العباد، وإنما اكتفى النبي ﷺ من الحكام بإقامة الصلاة في البلاد لمنع الخروج عليهم،

---

(١) متفق عليه.

(٢) صحيح مسلم: (٣/ ١٤٨١).

ويلزم من ذلك أنه حكم بإسلامهم مع سوء الصفات التي ذكرها فيهم؛ لأنّ الكفر الصريح البواح يجيز الخروج عليهم، وعندما نهى عن الخروج عليهم دلّ ذلك على إسلامهم، ثمّ أكّد مرّة أخرى الأمر بطاعتهم في قوله: «وإذا رأيتم من ولاتكم شيئا تكرهونه، فاكرهوا عمله، ولا تنزعوا يداً من طاعة».

ثمّ إذا نظرنا في الأحكام والقوانين، نجد أنّ الأحكام التي تجب إقامتها وفق الشريعة الإسلاميّة على الأفراد وجوباً محتّماً لا تخالف قوانين أي بلد إسلامي فيه الشريعة، مثل أحكام الزواج والطلاق والميراث، وكذلك إقامة شعائر الإسلام كاملة من صلوات وجمعات، وتحرّي هلالي رمضان والعيد، وتنظيم أداء الحجّ، وإقامة التعليم الشرعي في المدارس والجامعات، وإتاحة الدروس الدينية في المساجد، وتحفيظ القرآن الكريم ونحو ذلك.

ولم يبق من الأحكام سوى العقوبات، والعقوبات نوعان: تعزيرية وحدود وقصاص، أما العقوبات التعزيرية فهي موكولة إلى الحاكم، أي فسح الشرع للإمام والقاضي أن يختار العقوبة المناسبة، وهي كثيرة.

وأما القصاص: فإن أكثر الدول تقيم القصاص على القاتل عمداً، مع أنّ الشريعة رغّبت بالعفو فيه، وأنّ عدم إقامته هو الأولى، ومن ثمّ فقد اتّفقت القوانين مع الشريعة في هذه الأحكام.

وبقي عدم تطبيق أحكام الشريعة عمليّاً في أضيق نطاق من القوانين، وهي إقامة الحدود، كقطع يد السارق، وإقامة الحدّ على الزاني والمرتد، وإنّ عدم إقامة هذه الأحكام لا تؤدّي إلى الكفر في الظاهر كما تقرّر ذلك، ما دامت شعائر الإسلام قائمة .

على أنّ هذه الحدود قد تشوّفت الشريعة لدرئها بأدنى شبهة، حتى كان النبي ﷺ والصحابة إذا جاءهم سارق قد اعترف بالسرقة يلقّنونه ليتراجع عن قوله كي لا يقام عليه الحدّ.

ومن ثمّ نجد أنّ هذه الجزئيّة الصغيرة المبنيّة على الدرء بأدنى شبهة قد ضُخّمت كثيراً من قِبل المتطرّفين، ومن قِبَل أعداء الدين، حتّى اختزلوا معنى (الحُكم بالشريعة الإسلاميّة)، بقطع السارق وجلد الزاني وقتل المرتدّ، ورسّخوا ذلك عند الناس لتشويه صورة الدين، وغيّبوا المعاني السامية التي جاء بها الإسلام.

ولـم يعـدّ المتطرّفـون إقامـة أحكـام الشـريعة مـن صـلاة، وشعائر، ونكـاح، وطـلاق، وميـراث، وإقامـة التـدريس الـديني، والتعلـيم الشـرعي، وتحفـيظ القـرآن الكـريم، والسـنّة النبويّـة، ونحوهـا، لـم يعـدّوها إقامـة لحكـم الله، وحكمـوا علـى الـدول المدنية بأنّها كافرة، ونظروا فقط إلى عدم قطع يد السارق ورجـم الزاني وقتل المرتدّ!

إنّ النبيّ ﷺ حذّر من رمي المسلمين بالشرك وقـتلهم بـه، فعن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنمـا أتخـوف عليكم رجلاً قرأ القـرآن حتـى إذا رئـي عليـه بهجتـه، وكـان ردءاً للإسلام اعتزل إلى ما شاء الله، وخرج علـى جـاره بسـيفه، ورمـاه بالشرك، قال: قلت: يا نبي الله، أيهمـا أولـى بالشـرك، المرمـي أم الرامي؟ قال: بل الرامي**»[1].

لذا كان عبد الله بن عمر رضي الله عنه يرى الخوارج شـرار خلـق الله؛ لأنهم سلكوا مسلك التكفير، وقال: «**إنهم انطلقوا إلى آيات نزلت في الكفّار، فجعلوها على المؤمنين**»[2].

---

(١) مسند البزار: (٢٧٩٣)، مشـكل الآثـار للطحـاوي: (٨٦٣)، صـحيح ابـن حبـان: (٨١).

(٢) صحيح البخاري: (٩/ ١٦).

المبحث الثالث: مفهوم جاهليّة المجتمع الإسلامي، وحتميّة الصدام

تتكوّن نظريّة الجاهليّة عند سيّد قطب من عدد من المسائل ، حصل فيها خلط شديد، أنتج عدداً من المفاهيم الملتبسة، التي انتهى منها إلى الحكم على أهل عصره جميعاً بالجاهلية التي تعني التكفير.

وقد أولع سيد قطب وأتباعه بنظريّة الجاهلية ، ولهج بها وكرّرها على نحو بالغ في ظلال القرآن، حتى وردت ألف وسبعمئة وأربعين مرّة!!

وهذا من عجائب الإصرار على الباطل، وزج الأمة في صراع داخلي بين أبنائها، وتكفير المؤمنين بغير دليل، وقد أثمر ذلك ما لا يحصى من الفتن التي فتكت بالأمة.

إنّ قوة هذا الحضور والإلحاح لكلمة الجاهلية مؤشّر على أنها فكرة أساسيّة في عقله وأطروحته.

لكنّ الإشكال وقع في الخلط بين اعتقاد انفراد الله تعالى في الحكم، وبين جريان الأحكام الفقهية في الواقع من قبيل خطاب

التكليف المرتبط بخطاب الوضع، حيث يتوقف الأمر فيه على تفقد الشروط والأسباب والموانع، فتحوّل هذا الأمر إلى الاعتقاد، وجعل التقصير في إجراء الأحكام التكليفية قادحاً في العقيدة وسبباً للكفر.

هذا الخطأ لجسيم الذي وقع فيه سيد قطب جعله يعتقد أموراً غريبة، فأدخل الفروع بالأصول وزاد في أصول الإيمان، وزاد في الإيمان أصلاً سمّاه: (توحيد الحاكمية)، ويقابله: (شرك الحاكمية).

فقد قال:

(إن توحيد الألوهية، وتوحيد الربوبية، وتوحيد القوامة، وتوحيد الحاكمية، وتوحيد مصدر الشريعة، وتوحيد منهج الحياة، وتوحيد الجهة التي يدين لها الناس الدينونة الشاملة ... إن هذا التوحيد هو الذي يستحق أن يرسل من اجله كل هؤلاء الرسل، وأن تبذل في سبيله كل هذه الجهود وأن تحتمل لتحقيقه كل هذه العذابات والآلام على مدار الزمان.. لا لأن الله سبحانه

في حاجة إليه، فالله سبحانه غني عن العالمين)[1].

وقال أيضاً: (والقاعدة النظرية التي يقوم عليها الإسلام- على مدار التاريخ البشري- هي قاعدة: «شهادة أن لا إله إلا الله» . أي إفراد الله سبحانه بالألوهية والربوبية والقوامة والسلطان والحاكمية.. إفراده بها اعتقاداً في الضمير، وعبادة في الشعائر، وشريعة في واقع الحياة، فشهادة أن لا إله إلا الله، لا توجد فعلاً ولا تعتبر موجودة شرعاً إلا في هذه الصورة المتكاملة التي تعطيها وجوداً جدياً حقيقياً يقوم عليه اعتبار قائلها مسلماً أو غير مسلم)[2].

وقال أيضاً: (حتى انتهى الأمر بأكثر المتحمسين لهذا الدين- ودعك من أعدائه والمستهترين الذين لا يحفلون به أن تصبح قضية الحاكمية في نفوسهم قضية منفصلة عن قضية العقيدة! لا تجيش لها نفوسهم كما تجيش للعقيدة! ولا يعدون المروق منها مروقاً من الدين، كالذي يمرق من عقيدة أو عبادة!

---

(١) في ظلال القرآن: (٤/ ١٩٠٣).

(٢) في ظلال القرآن: (٣/ ١٥٥٦).

وهذا الدين لا يعرف الفصل بين العقيدة والعبادة والشريعة. إنما هي الزحزحة التي زاولتها أجهزة مدربة، قروناً طويلة، حتى انتهت مسألة الحاكمية إلى هذه الصورة الباهتة حتى في حس أشد المتحمسين لهذا الدين!

ثم قال: (إن الذين يحكمون على عابد الوثن بالشرك، ولا يحكمون على المتحاكم إلى الطاغوت بالشرك. ويتحرجون من هذه ولا يتحرجون من تلك.. إن هؤلاء لا يقرأون القرآن. ولا يعرفون طبيعة هذا الدين.. فليقرأوا القرآن كما أنزله الله وليأخذوا قول الله بجد: «وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ»)[1].

ومن هنا نجده لا يجعل لشهادة التوحيد قيمة ما لم تكن مقرونة بالعمل، وهذا مخالف لمذهب أهل السنة والجماعة.

إنّ الخلط بين الأصول والفروع من قول الخوارج الذين جعلوا العمل شطراً من الإيمان، فكفّروا بالذنب، كما أنّه ذهب إلى انقطاع هذا الدين من الأرض، وقال بحتميّة الصدام بين القلّة المؤمنة حسب رأيه، والكفار الجاهليّة من حوله.

---

(١) في ظلال القرآن: (٣/ ١٢١٦).

والجاهليّة عنده ليست فترة تاريخيّة ماضية، بل منهج ممتدّ عبر الزمان قبل الإسلام وبعده، ومن الممكن أن يعود الناس إلى الجاهلية الأولى بكلّ معانيها من كفر وشرك واضطراب في القيم الاجتماعية وغيرها، وأمّا اعتقاد المسلمين فإنّ الإيمان لا يرتفع عن الأرض إلّا عند قيام الساعة، وأما ما يقع من مخالفات فهو من قبيل المعاصي لا من قبيل الكفر والارتداد.

قال ﷺ: «إني لست أخشى عليكم أن تشركوا، ولكنّي أخشى عليكم الدنيا أن تنافسوها»[1].

قال سيد قطب: (إن الجاهلية ليست فترة ماضية من فترات التاريخ. إنما الجاهلية كل منهج تتمثل فيه عبودية البشر للبشر.

وهذه الخاصية تتمثل اليوم في كل مناهج الأرض بلا استثناء. ففي كل المناهج التي تعتنقها البشرية اليوم، يأخذ البشر عن بشر مثلهم: التصورات والمبادئ، والموازين والقيم، والشرائع والقوانين، والأوضاع والتقاليد)[2].

---

(١) البخاري: (٤٠٤٢).

(٢) في ظلال القرآن: (١/ ٥٥٧).

وعمّم وجود الجاهلية في الأرض فقال: (ولا فصام بين الدين والحياة الواقعية المادية كما هو واقع في الأوضاع الجاهلية القائمة في الأرض كلها اليوم)[1].

وبناء على نظريته فإنه يرى أنّ الدين توقف عن الوجود، وانقطع منذ زمن بعيد، حتّى وصل به التصوّر بأنّ الأرض كلّها على الشرك، وأنّ الأمة المسلمة نقضت الإسلام، والكون غارق في الجاهلية والكفر، فقد قال: (وحين نستعرض وجه الأرض كلّه اليوم- على ضوء هذا التقرير الإلهي لمفهوم الدين والإسلام- لا نرى لهذا الدين وجوداً، إنّ هذا الوجود قد توقّف منذ أن تخلّت آخر مجموعة من المسلمين عن إفراد الله سبحانه بالحاكميّة في حياة البشر)[2].

وقال أيضاً: (إنّ وجود الأمّة المسلمة يعتبر قد انقطع منذ قرون كثيرة)[3].

وهذا عدوان صارخ على الأمّة المحمّديّة التي هي خير أمّة

---

(١) في ظلال القرآن (٢/ ٩٣٣).

(٢) العدالة الاجتماعية في الإسلام: (ص:١٨٣).

(٣) معالم في الطريق: (ص:٨).

أُخرجت للناس، ورمي لها بالكفر والشرك.

ومن هذا التصوّر التكفيري جعل سيد قطب العلاقة مع أهل الأرض كلّهم علاقة صدام وقتال، فقال: (حقاً إنه لم يكن بد لهذا الدين أن يدافع المهاجمين له؛ لأن مجرد وجوده، في صورة إعلان عامّ لربوبية الله للعالمين، وتحرير الإنسان من العبودية لغير الله، وتمثل هذا الوجود في تجمع تنظيمي حركي تحت قيادة جديدة غير قيادات الجاهلية، وميلاد مجتمع مستقل متميز لا يعترف لأحد من البشر بالحاكمية، لأن الحاكمية فيه لله وحده.. إن مجرد وجود هذا الدين في هذه الصورة لا بد أن يدفع المجتمعات الجاهلية من حوله، القائمة على قاعدة العبودية للعباد، أن تحاول سحقه، دفاعاً عن وجودها ذاته. ولا بد أن يتحرك المجتمع الجديد للدفاع عن نفسه..

هذه ملابسة لا بد منها. تولد مع ميلاد الإسلام ذاته. وهذه معركة مفروضة على الإسلام فرضا، ولا خيار له في خوضها. وهذا صراع طبيعي بين وجودين لا يمكن التعايش .

هذا كله حق.. ووفق هذه النظرة يكون لا بد للإسلام أن

يدافع عن وجوده. ولا بد أن يخوض معركة دفاعية مفروضة عليه فرضا..)[1]

وقال أيضاً: (ويعرفون أن الجاهلية التي صاروا إليها، وصارت إليها أوضاع قومهم وأخلاقهم وأنظمتهم، لا يمكن أن يهادنها هذا الدين، أو يبقي عليها.. وأنها- من ثم- معركة لا تهدأ حتى تجلو الجاهلية عن هذه الأرض، ويستعلي هذا الدين، ويكون الدين كله لله..

أي أن يكون السلطان في الأرض كله لله وأن يطارد المعتدون على سلطان الله في الأرض كلها. وبذلك وحده يكون الدين كله لله)[2].

إنّ فكرة الصدام والقتال التي جاء بها لا تختلف عن نظرية صدام الحضارات عند صامويل هانتجتون، وأين هو من قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ ﴾ [الحجرات: ١٣] وقوله: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً

(١) في ظلال القرآن (٣/ ١٤٤١).

(٢) في ظلال القرآن: (٢/ ١٠٦١).

لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الأنبياء: ١٠٧].

ومن التناقضات التي جاء بها إنّه يدعو إلى التسامح مع غير المسلمين، ولكنّه لا يرى التسامح مع المسلمين المخالفين لفكره أبداً، بل يصنّفهم في قائمة الكفّار، وبهذا يقول: (إن الإسلام يتسامح هذا التسامح مع مخالفيه جهاراً نهاراً في العقيدة.. ولكنه لا يتسامح هذا التسامح مع من يقولون الإسلام كلمة باللسان تكذبها الأفعال. لا يتسامح مع من يقولون: إنهم يوحدون الله ويشهدون أن لا إله إلا الله. ثم يعترفون لغير الله بخاصية من خصائص الألوهية، كالحاكمية والتشريع للناس)[1].

وكم وقع القتل للمسلمين البريئين من الجهات المتطرّفة التي استمدّت عقيدتها من هذه الأفكار.

فهذا التصور الغريب هو الذي جعل التيارات التكفيريّة تنكفئ على المسلمين، وتريق الدماء، حتى تحوّلوا إلى حربة في صدور أهل الإسلام، وألحقوا بهم النكال، دون أن يكون لهم دور في الهداية والإرشاد والعلوم والمعارف وبناء الحضارة،

(١) في ظلال القرآن: (٢/ ٧٣٢).

حتى إنّ الحافظ ابن كثير استغرب من سلوك الخوارج الذي لا يختلف عن سلوك هؤلاء قيد أنملة فقال: (وهذا الضرب من الناس من أغرب أشكال بني آدم، فسبحان من نوع خلقه كما أراد، وسبق في قدره ذلك. وما أحسن ما قال بعض السلف في الخوارج: إنهم المذكورون في قوله تعالى: ﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴿١٠٣﴾ الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا ﴾ [الكهف: ١٠٣- ١٠٥]. والمقصود أن هؤلاء الجهلة الضلال، والأشقياء في الأقوال والأفعال، اجتمع رأيهم على الخروج من بين أظهر المسلمين، وتواطئوا على المسير إلى المدائن ؛ ليملكوها ويتحصنوا بها، ثم يبعثوا إلى إخوانهم وأضرابهم - ممن هو على ما هم عليه من أهل البصرة وغيرها - فيوافوهم إليها، ويكون اجتماعهم عليها)[1] .

دار الكفر ودار الإسلام:

عندما قسم الفقهاء الديار إلى دار إسلام وديار كفر لم يكن

(١) البداية والنهاية: (١٠/ ٥٨٠).

الباعث على ذلك الحكم على الناس بالكفر والإخراج من الملّة، وإنّما لمراعاة الأحكام الفقهيّة التكليفيّة، وإسقاط ما يتعذّر تحصيله من أحكام في دار لم يتمكّن المكلّف من القيام بها، وتشريع الأحكام الاستثنائيّة، وهذا أمر لا بدّ منه، فالمؤمن يسافر ويحتكّ بالأمم ويتفاعل بالعالم من حوله.

وكان المسلمون يدركون أنّ هذا التقسيم للديار لمجرد استكشاف الفوارق بين الأحكام؛ لأنّ علاقة المسلمين بغيرهم علاقة تفاعليّة واسعة تعتمد على المدخل الفقهي، والمدخل القيمي الأخلاقي، ومدخل السنن الإلهية المتعلقة بالاجتماع البشري، ومدخل الهداية، والأصل فيها هو الدعوة والهداية والأخلاق، وما سوى ذلك فهو أحوال عارضة ، تطرأ وتزول، ويبقى الأصل ثابتاً.

قال الإمام السبكي: (فقد قال ﷺ: «**لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من حمر النعم**» وعدم اختلاطهم بالمسلمين يبعدهم عن معرفة محاسن الإسلام ألا ترى من الهجرة إلى زمن الحديبية لم يدخل في الإسلام إلا قليل، ومن الحديبية إلى الفتح

دخل فيه نحو عشرة آلاف لاختلاطهم بهم للهدنة التي حصلت بينهم فهذا هو السبب في مشروعية عقد الذمة)[1].

هذه الفكرة تشبه تقسيم الأرض إلى مناطق يتفاوت فيها التقسيم الزماني بغرض معرفة الأحكام الفقهيّة المستقرّة والأحكام الاستثنائيّة.

فكان مدلول دار الإسلام ودار الكفر فقهيّاً بحتاً، لا يتجاوز تلك الأحكام، ولا يترتّب عليه شيء من الصدام.

وأمّا الجماعات والتيارات المتطرّفة منذ القرن الماضي فقد انتزعت هذا التقسيم من سياقه الفقهي العلمي، وانحرفت به من فلسفة الحياة إلى فلسفة الموت والدمار والدماء، وجعلت الناس يسيؤون إلى تفكير الفقهاء، بل جلب سخطاً على الإسلام نفسه.

لقد تحوّلت قضيّة (دار الكفر ودار الإسلام) إلى مفهوم مختلّ، وفلسفة مختلفة عند سيد قطب ومن تأثّر به، مثل صالح سريّة في كتابه (رسالة الإيمان)، وشكري مصطفى، ومحمد عبد السلام فرج في كتابه: (الفريضة الغائبة) وغيرهم.

---

(١) فتاوى السبكي: (٢/ ٤٠٤)

قال سيد قطب: (ينقسم العالم في نظر الإسلام وفي اعتبار المسلم إلى قسمين اثنين لا ثالث لهما:

الأول: دار الإسلام:

وتشمل كل بلد تطبق فيه أحكام الإسلام، وتحكمه شريعة الإسلام، سواء كان أهله كلهم مسلمين، أو كان أهله مسلمين وذميين، أو كان أهله كلهم ذميين ولكن حكّامه مسلمون يطبقون فيه أحكام الإسلام، ويحكمونه بشريعة الإسلام . أو كانوا مسلمين، أو مسلمين وذميين ولكن غلب على بلادهم حربيون، غير أن أهل البلد يطبقون أحكام الإسلام ويقضون بينهم حسب شريعة الإسلام.. فالمدار كله في اعتبار بلد ما (دار إسلام) هو تطبيقه لأحكام الإسلام وحكمه بشريعة الإسلام..

الثاني: دار الحرب:

وتشمل كل بلد لا تطبق فيه أحكام الإسلام، ولا يحكم بشريعة الإسلام.. كائناً أهله ما كانوا.. سواء قالوا: إنهم مسلمون، أو إنهم أهل كتاب، أو إنهم كفار. فالمدار كله في اعتبار بلد ما (دار حرب) هو عدم تطبيقه لأحكام الإسلام وعدم حكمه بشريعة

الإسلام، وهو يعتبر (دار حرب) بالقياس للمسلم وللجماعة المسلمة.

والمجتمع المسلم هو المجتمع الذي يقوم في دار الإسلام بتعريفها ذاك.

وهذا المجتمع، القائم على منهج الله، المحكوم بشريعته، هو الذي يستحق أن تصان فيه الدماء، وتصان فيه الأموال ويصان فيه النظام العام وأن توقع على المخلين بأمنه، المعتدين على الأرواح والأموال فيه العقوبات التي تنص عليها الشريعة الإسلامية، في هذا الدرس وفي سواه.. ذلك أنه مجتمع رفيع فاضل ومجتمع متحرر عادل ومجتمع مكفولة فيه ضمانات العمل وضمانات الكفاية لكل قادر ولكل عاجز ومجتمع تتوافر فيه الحوافز على الخير وتقل فيه الحوافز على الشر من جميع الوجوه. فمن حقه إذن على كل من يعيش فيه أن يرعى هذه النعمة التي يسبغها عليه النظام وأن يرعى حقوق الآخرين كلها من أرواح وأموال وأعراض وأخلاق وأن يحافظ على سلامة (دار الإسلام) التي يعيش فيها آمناً سالماً غانماً مكفول الحقوق

جميعاً، معترفاً له بكل خصائصه الإنسانية، وبكل حقوقه الاجتماعية- بل مكلفاً بحماية هذه الخصائص والحقوق- فمن خرج بعد ذلك كله على نظام هذه الدار- دار الإسلام- فهو معتد أثيم شرير يستحق أن يؤخذ على يده بأشد العقوبات مع توفير كل الضمانات له في أن لا يؤخذ بالظن، وأن تدرأ عنه الحدود بالشبهات.

فأما (دار الحرب) .. بتعريفها ذاك.. فليس من حقها ولا من حق أهلها أن يتمتعوا بما توفره عقوبات الشريعة الإسلامية من ضمانات، لأنها ابتداء لا تطبق شريعة الإسلام، ولا تعترف بحاكمية الإسلام.. وهي- بالنسبة للمسلمين (الذين يعيشون في دار الإسلام ويطبقون على حياتهم شريعة الإسلام) - ليست حمى.

فأرواحها وأموالها مباحة لا حرمة لها عند الإسلام- إلا بعهد من المسلمين حين تقوم بينها وبين دار الإسلام المعاهدات- كذلك توفر الشريعة هذه الضمانات كلها للأفراد الحربيين (القادمين من دار الحرب) إذا دخلوا دار الإسلام بعهد

أمان مدة هذا العهد وفي حدود (دار الإسلام) التي تدخل في سلطان الحاكم المسلم (والحاكم المسلم هو الذي يطبق شريعة الإسلام)[1] .

وهذا الكلام في غاية الخطورة ، وتنبع منه كلّ تطبيقات التنظيمات التكفيريّة المتطرّفة، فقد حصر الديار إلى دارين لا ثالث لهما، فلا مجال عنده لوجود مدخل آخر يتفاعل به أهل الإسلام مع غيرهم.

ثمّ إنّ دار الكفر عنده هي عموم ديار المسلمين بعد أن وصمهم بالكفر والردّة، وإنّ العلاقة بين دار الكفر ودار الإسلام مبنيّة حتماً على الصراع والصدام، ولا صون للدماء والأموال والنظام العامّ إلا في دار الإسلام تلك الدار المفقودة أصلاً بعد أن حكم على جميع أهل الأرض بالجاهلية والكفر، ولم تبق دار إسلام إلّا الأرض التي تمشي عليها جماعته!

وأمّا دار الكفر التي هي عموم بلاد الأرض عنده، فليس من حقّها أن تشعر بالأمان والسلامة، بل كل ما فيها مباح!

---

(١) في ظلال القرآن: (٢/ ٨٧٣).

هـذا التصـور المظلـم المفعـم بالتشـنّج والعـذاب يصـوّر المسلم بأنّه ذلك الإرهابيّ المجرم لا غير.

وقد قال ﷺ: «**من خرج من الطاعة، وفارق الجماعة فمات، مات ميتة جاهلية، ومن قاتل تحت راية عمّية يغضب لعصبة، أو يدعو إلى عصبة، أو ينصر عصبة، فقتل، فقتلة جاهلية، ومن خرج على أمتي، يضرب برها وفاجرها، ولا يتحاشى من مؤمنها، ولا يفي لذي عهد عهده، فليس مني ولست منه**»[1].

وأمّا سيد قطب فإنّ صورة الصدام بين الديار التي تخالف حقيقة ما جاء به الإسلام، فهي من أصول فكره، فقد قال: (حقا إنه لم يكن بدّ لهذا الدين أن يدافع المهاجمين له؛ لأن مجرد وجوده في صورة إعلان عامّ لربوبية الله للعالمين، وتحرير الإنسان من العبودية لغير الله، وتمثل هذا الوجود في تجمع تنظيمي حركي تحت قيادة جديدة غير قيادات الجاهلية، وميلاد مجتمع مستقل متميز لا يعترف لأحد من البشر بالحاكمية، لأن الحاكمية فيه لله وحده.. إن مجرد وجود هذا الدين في هذه

(١) مسلم: (١٨٤٨).

الصورة لا بد أن يدفع المجتمعات الجاهلية من حوله، القائمة على قاعدة العبودية للعباد، أن تحاول سحقه، دفاعا عن وجودها ذاته. ولا بد أن يتحرك المجتمع الجديد للدفاع عن نفسه..

هذه ملابسة لا بد منها. تولد مع ميلاد الإسلام ذاته. وهذه معركة مفروضة على الإسلام فرضا، ولا خيار له في خوضها. وهذا صراع طبيعي بين وجودين لا يمكن التعايش بينهما طويلاً)[1].

وقال أيضاً: (ويعرفون أن الجاهلية التي صاروا إليها، وصارت إليها أوضاع قومهم وأخلاقهم وأنظمتهم، لا يمكن أن يهادنها هذا الدين، أو يبقي عليها.. وأنها- من ثم- معركة لا تهدأ حتى تجلو الجاهلية عن هذه الأرض، ويستعلي هذا الدين، ويكون الدين كله لله..

أي أن يكون السلطان في الأرض كله لله وأن يطارد المعتدون على سلطان الله في الأرض كلها. وبذلك وحده يكون الدين كله لله)[2].

---

(١) في ظلال القرآن: (٣/ ١٤٤١).

(٢) في ظلال القرآن (٢/ ١٠٦١).

عندما نرى تغيير معاني المصطلحات والمفاهيم، ندرك الخطر الفكري الذي دخل على عقول التيارات الإسلامية الشاذّة، فالتعبير بدار الكفر ودار الإسلام في فقه أبي حنيفة وغيره من علماء المذاهب تحوّل عند علماء الأمّة إلى علم كامل له فلسفته وقوانينه يعرف بعلم العلاقات الدوليّة، ويتفرّع منه القانون الدولي، تلك العلاقات المبنية على المعاهدات، والمكاتبات، والبروتوكولات، والشروط، والصلح، ونحو ذلك.

فقد أخذ عدد من الباحثين بدراسة كتاب السير الكبير للإمام محمد بن حسن الشيباني وقالوا: إنّ هذا أول كتاب يدوَّن في (علم العلاقات الدوليّة)، حتى أُنشئت جمعيّة قانونيّة في باريس عام ١٩٦٨م سمّيت: (جمعية الشيباني) تعتني بدراسة هذا الإمام وكتابه المذكور.

ولذلك أخذ جماعة من الباحثين المعاصرين يدققون النظر في فقه الأئمة المسلمين في ضوء العلوم المعاصرة، فصدرت عن المعهد العالمي للفكر الإسلامي موسوعة من اثني عشر جزءاً تسمّى (موسوعة العلاقات الدولية في الإسلام) وهي تذكر أنّ ما

فكّر فيه الفقيه القديم هو اليوم علم العلاقات الدولية نفسه، وأنّ تقسيم العالم إلى دار إسلام ودار كفر يحتاج إلى تتمّة وتكميل، يبرز فيه القسم الثالث وهو دار العهد[1] .

وقد قسم العلماء المعاصرون الديار إلى ستة أقسام بناء على التفصيل الفقهي الثريّ المرن.

فشتان بين العلم الذي ورثه المسلمين من الأئمة، وبين الفكر الشاذّ الذي يشوّه الإسلام بنظرته الضيّقة.

وممن تبع سيد قطب في حمل تقسيم الديار على الصراع والقتال عبد السلام فرج في كتابه (الفريضة الغائبة) وقد ردّ عليه الشيخ الفقيه عطيّة صقر في كتاب: (نقض كتاب الفريضة الغائبة).

إنّ السنن الإلهيّة المتعلّقة بالمجتمع والحضارات مهمة جداً في فهم طبيعة العلاقات بين المسلمين وغيرهم، ومهمّة جدّاً في بناء فقه الحضارة.

---

(١) ينظر: الحقّ المبين في الردّ على من تلاعب في الدين، للأستاذ أسامة السيد محمود: (ص: ٧٧) وما بعدها.

وإن العلاقة بين الدول في الإسلام مبنيّة على سنّة التعارف، وسنّة التكامل، وسنّة التوازن، وسنّة التدافع وغيرها من السنن.

وسنّة التعارف مهمّة جداً في علاقة المسلمين بغيرهم، بل في علاقة الأمم والشعوب عامّة، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ ﴾ [الحجرات: ١٣].

وأما الصدام والصراع بين الدول فالإسلام منه براء، وإنما هو فكر متطرف نادى به صموئيل هانتنجتون في أطروحته (صدام الحضارات)، وفوكوياما في كتابه (نهاية التاريخ) وهذه الفكرة المبنية على السحق وإفناء الحضارات هي ذاتها التي نادى بها سيد قطب والتيارات المتطرفة، وننزّه الشريعة ممّا تلتصق فيها من أفكار هي بريئة منها.

المبحث الرابع: احتكار الوعد الإلهي[1]

ترتّب على تكفير المجتمع بقضيّة الحاكميّة، وتعميم وصف الجاهليّة- التي هي شرك وارتداد- على عموم أهل الإسلام، أن نشأ تصوّر آخر في غاية الغرابة، وهو أنّ تلك التيارات التي احتكرت لنفسها حقيقة الإسلام دون سائر الأمّة، جعلوا كلّ آية فيها وعد من الله للمسلمين بالمعونة والنصرة والتمكين أنّها مسوقة في حقّهم وحدهم دون غيرهم، وزادهم ذلك شراسة واندفاعاً وخروجاً على عموم المسلمين بالبغي والعدوان بثقة، وهم واهمون بأنّ آيات النصر والتمكين لا تنصرف إلا بحقهم، فيستهينون كلّ الصعاب، ولا يقتنعون أنهم غارقون بالأوهام.

ويصيغون من بغيهم واعتدائهم تاريخاً مجيداً لهم في النصر والثبات، وينظمون الأشعار والقصائد الحماسيّة التي توحي إلى الناس بأنهم الفئة الوحيدة من أهل الحق في الأرض.

ومن ثمّ يغلقون عقولهم عن قبول الحوار والنقاش العلمي،

---

(١) للتوسع في هذا المبحث المهم؛ انظر: الحق المبين في الرد على من تلاعب بالدين، للأستاذ أسامة السيد محمود الأزهري: ص(٩١-٩٧).

وتلتبس الأفكار في أذهانهم بتلك التأويلات المنحرفة والمحرَّفة للقرآن الكريم والسنّة النبويّة التي يخالفون بها جميع المسلمين منذ عهد الصحابة إلى يومنا هذا.

قال سيد قطب: (الوعد بالنصر والغلبة والتمكين، هذا الوعد سنة من سنن الله الكونية. سنة ماضية كما تمضي هذه الكواكب والنجوم في دوراتها المنتظمة وكما يتعاقب الليل والنهار في الأرض على مدار الزمان وكما تنبثق الحياة في الأرض الميتة ينزل عليها الماء..

ولكنها مرهونة بتقدير الله، يحققها حين يشاء. ولقد تبطئ آثارها الظاهرة بالقياس إلى أعمار البشر المحدودة.

ولكنها لا تخلف أبدا ولا تتخلف وقد تتحقق في صورة لا يدركها البشر لأنهم يطلبون المألوف من صور النصر والغلبة، ولا يدركون تحقق السنة في صورة جديدة إلا بعد حين! ولقد يريد البشر صورة معينة من صور النصر والغلبة لجند الله وأتباع رسله. ويريد الله صورة أخرى أكمل وأبقى. فيكون ما يريده الله. ولو تكلف الجند من المشقة وطول الأمد أكثر مما كانوا

ينتظرون)[1].

وقال أيضاً: (المؤمن يتعامل مع وعد الله على أنه الحقيقة الواقعة. فإذا كان الواقع الصغير في جيل محدود أو في رقعة محدودة يخالف تلك الحقيقة، فهذا الواقع هو الباطل الزائل. الذي يوجد فترة في الأرض لحكمة خاصة.

لعلها استجاشة الإيمان وإهاجته لتحقيق وعد الله في وقته المرسوم.

وحين ينظر الإنسان اليوم إلى الحرب الهائلة التي شنها أعداء الإيمان على أهل الإيمان في صورها المتنوعة، من بطش ومن ضغط ومن كيد بكل صنوف الكيد في عهود متطاولة، بلغ في بعضها من عنف الحملة على المؤمنين أن قتلوا وشردوا وعذبوا وقطعت أرزاقهم وسلطت عليهم جميع أنواع النكاية. ثم بقي الإيمان في قلوب المؤمنين، يحميهم من الانهيار، ويحمي شعوبهم كلها من ضياع شخصيتها وذوبانها في الأمم الهاجمة عليها، ومن خضوعها للطغيان الغاشم إلا ريثما تنقض عليه

(١) في ظلال القرآن: (٥/ ٣٠٠٢).

وتحطمه.. حين ينظر الإنسان إلى هذا الواقع في المدى المتطاول يجد مصداق قول الله تعالى. يجده في هذا الواقع ذاته بدون حاجة إلى الانتظار الطويل!! وعلى أية حال فلا يخالج المؤمن شك في أن وعد الله هو الحقيقة الكائنة التي لا بد أن تظهر في الوجود، وأن الذين يحادون الله ورسوله هم الأذلون، وأن الله ورسله هم الغالبون. وأن هذا هو الكائن والذي لا بد أن يكون)[1].

وإليك هذا النص الخطير، فقد قال: (وأعطاهم الاستعلاء- أي للمؤمنين- الذي ينظرون به إلى قطعان البشرية الضالة في أرجاء الجاهلية المترامية الأطراف في الأرض فيحسون أن الله آتاهم ما لم يؤت أحداً من العالمين)[2].

وربط الاستعلاء بشيوع الجاهلية في الأرض، فقال: (وأنه- تعالى- أراد بهذا القرآن أن يكون هو الرائد الحي- الباقي بعد وفاة الرسول- ﷺ- لقيادة أجيال هذه الأمة، وتربيتها، وإعدادها

---

(١) في ظلال القرآن: (٦/ ٣٥١٤).

(٢) في ظلال القرآن: (١/ ٢٥٢).

لـدور القيـادة الراشـدة الـذي وعـدها بـه، كلمـا اهتـدت بهديـه، واستمسكت بعهدها معه، واستمدت منهج حياتهـا كلـه مـن هـذا القرآن، واستغزت به واسـتعلت علـى جميـع المنـاهج الأرضـية، وهي بصفتها هذه، مناهج الجاهلية!)[1].

وقد ربّوا جماعتهم على أنّ التمكين والاستعلاء هدفاً لهـم، يستندون في تحقيقه إلى الوعد الإلهـي، ولـيس بمقـدرتهم علـى تحقيـق الرخـاء والعمـران، وتيسـير سـبل المعيشـة، وصـناعة الحضارة، وإنهاض المؤسسات، وإكرام الإنسان..

بل التمكين لديهم مغالبة السلطان وإقامة الأنظمة السياسـيّة التي يتشوّفون إليها، وأنّ الوعد الإلهي مضمون لهم دون غيـرهم بالظفر والمعونة..

وكلّمـا ضـاقت بالنـاس سـبل الحيـاة بصـنيعهم، واجهـتهم التيارات بالمكابرة والعناد، وإنكار الواقع، وانتقلوا بهم إلى وهـم آخر وهو أنّ انتقاد الناس لهم ولتصرّفاتهم انتقاد للشريعة، ولـدين الله تعالى، وهذا كفر بواح..

---

(١) في ظلال القرآن: (١/ ٢٦١)

المبحث الخامس: تشويه حقائق الجهاد في الإسلام[1]

مقارنة بين مفهوم الجهاد لحقيقي وبين تصوّر التيارات المتطرّفة:

مفهوم الجهاد الحقيقي	التصور المغلوط للجهاد
١- اتساع مفهوم الجهاد، وله غاية نبيلة، ويتحقّق بصور متعدّدة، فيكون بالدعوة، وبالحجّة، والبيان، والرأي والتدبير، وتقديم الخير، والهداية، وقد تتحتّم الحاجة إلى القتال[2].	١- اختزال الجهاد في القتال فقط، واختزال القتال في القتل.

(١) للتوسع في فهم حقيقة الجهاد في الإسلام؛ انظر: كتاب (الجهاد في الإسلام، كيف نفهمه، وكيف نمارسه)، أ.د. محمد سعيد رمضان البوطي، وكتاب (سماحة الشيخ أحمد كفتارو، أفكار وأساليب لتجديد نهضة الأمة الإسلامية) إعداد أ. محمد غسان الجبان بالتعاون مع قسم الدراسات في مجمع الشيخ أحمد كفتارو، وكتاب (الحق المبين في الرد على من تلاعب بالدين) أ. أسامة السيد محمود الأزهري.

(٢) ينظر: كشاف القناع للبهوتي: (٣/ ٣٦).

مفهوم الجهاد الحقيقي	التصور المغلوط للجهاد
٢- الجهاد وسيلة وليس غاية، والأولى في تحقيق المصالح والهداية ودفع العدوان بالسلم لا بالقتال، جاء في مغني المحتاج: (وجوب الجهاد وجوب الوسائل لا المقاصد، إذا المقصود بالقتال إنما هو الهداية وما سواها من الشهادة، وأمّا قتل الكفّار فليس بمقصود، حتى لو أمكن الهداية بإقامة الدليل بغير جهاد، كان أولى من الجهاد)[1]. وقال الزحيلي: (وإنّ الإسلام يفضّل سلوك السلام بصفة أصيلة كلّما أمكن ذلك، وإنّ	٢- القتال غاية مقصودة لذاتها، قال القرضاوي: (وكلّما ناقشت الشهيد سيّد قطب في رأيه حول قضيّة الاجتهاد، ناقشته في رأيه بالجهاد، وقد تبنّى أضيق الآراء وأشدّها في الفقه الإسلامي، مخالفاً اتّجاه كبار الفقهاء والدعاة المعاصرين، داعياً إلى أنّ على المسلمين أن يعدّوا أنفسهم إلى قتال العالم كلّه)[1].

(١) مغني المحتاج: (٤/ ٢١٠).

(٢) ابن القرية والكتاب: (٣/ ٥٩)

مفهوم الجهاد الحقيقي	التصور المغلوط للجهاد
إعلان الحرب هو آخر الدواء الذي يعالج ما استعصى من الأمراض الوبائيّة القاتلة أو الضارّة بمصلحة المجموعة البشريّة، وعبارات الفقهاء جميعاً تؤكّد هذه الحقيقة، وهي أنّه يكتفى بالجهاد على قدر الحاجة حقناً للدماء، وما الحرب إلا ضرورة اجتماعيّة لمنع البغي ودفع الظلم)[1].	
٣- المقصد الأعظم من الجهاد هو الهداية لا القتل، كما مرّ في النص السابق.	٣- ليس للجهاد دور في تحقيق الهداية، بل للانتقام.

(١) آثار الحرب للزحيلي: (ص:٩٠)

مفهوم الجهاد الحقيقي	التصور المغلوط للجهاد
٤- الجهاد حكم شرعيّ له ضوابطه وشروطه، وتعتريه الأحكام كلّها من الوجوب أو الاستحباب، أو الكراهة أو التحريم، حسب انضباطه وتحقيق مقاصد الشريعة من جلب المصالح ودرء المفاسد.	٤- الجهاد أو القتال عمل عدوانيّ أهوج، لا يحكمه دين ولا عقل، بل هو تزوير للمفاهيم، فيرتكبون المذابح الهائلة ويقطعون الرقاب، ويطلقون على أفعالهم الشنيعة اسم الجهاد[١].

إنّ سيد قطب ومن كان على شاكلته يصفون من يخالفهم في تلك الأفكار الجهاديّة الشاذّة بأنّهم مغفّلون قد أصابهم الوهن، متأثّرين بالأفكار الاستشراقيّة، فجعلوا من شذوذهم قاعدة الجهاد الأصليّة، وعابوا على علماء المسلمين الذين فهموا حقيقة الجهاد كما جاءت بها الشريعة.

وشهد شاهد من أهلها، على بطلان هذه النظرية التي طالما لعبت بالقلوب والعقول، واستدرجت شباب وطاقات الأمة إلى

(١) ينظر الحقّ المبين: (ص:١٠٤ وما بعدها).

ساحة غير مجدية، فهـا هـو القرضـاوي علـى الـرغم مـن منهجـه الإخواني يرد على سيد قطب، ومنهجه المتطرف في فهم الجهاد، فيقول: (وما ننكره على الأستاذ سيد قطب أنّه يتهم معارضيه فـي فكرته عن الجهاد من علماء العصر بأمرين:

الأول: السـذاجة والغفلـة والبلـه، ونحـو ذلـك ممـا يتصـل بالقصور في الجانب العقلي والمعرفي.

والثاني: الوهن والضعف النفسـي، والهزيمـة النفسـية أمـام ضغط الواقع الغربي المعاصـر، وتـأثير الاستشـراق المـاكر، ممـا يتعلّق بالجانب النفسي والخُلُقي.

والذين يتهمهم بـذلك هـم أعـلام الأمّـة فـي العلـم والفقـه والدعوة والفكر، ابتداء من الشـيخ محمـد عبـده، مـروراً بالشـيخ رشـيد رضـا، والشـيخ جمـال الـدين القاسـمي، والشـيخ محمـد مصطفى المراغي، والمشايخ: محمود شـلتوت ومحمـد عبـد الله دراز، وأحمد إبراهيم، وعبد الوهـاب خـلّاف، وعلـي الخفيـف، ومحمـد أبـو زهـرة، وحمـد يوسـف موسـى، ومحمـد فـرج السنهوري، ومحمد المدني، ومحمد مصـطفى الشـلبي، ومحمـد

البهي...وعلي الطنطاوي، والبهي الخولي، ومحمد الغزالي، وعلّال الفاسي، وعبد الله بن زي المحمود، وغيرهم من شيوخ العلم الديني ممن قضى نحبه ولقي ربّه، مثل الذين ذكرناهم وممّن ينتظر، من أعلم لهم قدرهم، لا داعي لتسميتهم)[1].

هل يمكن إقامة المجتمع الإسلامي على منهج ثوري؟[2]

معلوم أن "الثورة" في عرف السياسة الحديثة، تعني أي تغيير جذري شامل، يحدث في مسار الأنظمة السياسية أو الاجتماعية، قفزاً فوق سنَّة التطور والتدرج، سواء تم ذلك بطريقة سلمية هادئة أو بعامل عنف وسفك دماء.

غير أن الواقع الذي رصده التاريخ، بدءاً من الثورة الإنجليزية التي ظهرت عام (١٢١٥م) إلى الثورة الفرنسية عام (١٧٨٩م) فالثورات الأخرى التي ظهرت هنا وهناك إلى يومنا

---

(١) ابن القرية والكتاب: (٣/ ٦١).

(٢) انظر: (المنهج الفكري والدعوي لعلماء بلاد الشام) أ.د. محمد شريف الصواف، من إصدارات جامعة بلاد الشام/ مجمع الشيخ أحمد كفتارو: ص١٣٢-١٤٢، وكتاب (هذه مشكلاتنا) للعلامة الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي.

هذا، حصر معنى الثورة في السعي إلى التغيير الجذري بعامل العنف وإراقة الدماء. ولا شك أن هذه الأداة تفاوتت شدَّة واتِّساعاً ما بين ثورة وأخرى. غير أنها ظلت سبيلاً أساسياً وقاسماً مشتركاً بينها جميعاً.

وهكذا، فعلى الرغم من أن التصور النظري لا يمنع من أن تقوم ثورة يسلك بها أصحابها طريق السلم والأناة، إلا أن الواقع لم يساعد هذا التصور يوماً ما على فرض نفسه في مجال التطبيق.

ولا ريب أن لهذا الواقع أسبابه التي لا يصعب التنبه لها. غير أن الحديث عنها خارج عما نحن بصدده الآن. لذا لا بدّ أن نتساءل: هل يتفق جوهر الإسلام بحدّ ذاته مع أي منهج ثوري "يقوم على الشدة والعنف" لإقامة المجتمع الإسلامي وتثبيته؟

إن ما يسمى بالمجتمع الإسلامي لا يمكن أن يستقر اعتماداً على سبيل العنف وسفك الدماء، وما سبق أن قام يوماً ما هذا المجتمع على مثل هذا الأساس.

ذلك لأن إشاعة أحكام الإسلام وآدابه في المجتمع، إنما يأتي ثمرة لرسوخ جذوره الاعتقادية في الأفئدة والعقول. وذلك هو مجمل الفارق الكبير بين النظم الإسلامية، وسائر الأنظمة

الاجتماعية أو السياسية الأخرى. ذلك لأن هذه الأنظمة الأخرى لا تنمو اعتقاداً عن طريق المناهج التربوية المجردة، وإنما تفرض نفسها بالوسائل المادية المختلفة حسب اختلاف أصحابها، وربما كان العنف واحدة منها. وإنما أداة ذلك على الأغلب، سلوك سبيل العنف. أما عندما تكون هذه الأنظمة متساوقة مع رغبات الجميع، متآلفة مع مصالحهم، فلا داعي عندئذ للجوء إلى هذا السبيل.

أما نظام الإسلام، فهو إنما ينهض على دعامة خفية تكمن في أغوار النفس الإنسانية، ألا وهي استشعار معنى العبودية لله عز وجل، واليقين بوجوده ورقابته للإنسان، وبأنَّ مردَّه إليه، وأنه سيجزيه الجزاء الأوفى، على كل ما صدر منه أو اقترفه من خير وشر. لذلك كانت سائر الأعمال السلوكية التي تصدر من الإنسان مهدرة لا قيمة لها في ميزان المثوبة الإلهية يوم القيامة، إن لم تنهض على هذه الدعامة الإيمانية، ولم تصطبغ بها. ونصوص القرآن صريحة وقاطعة في ذلك:

﴿ وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴾ [الفرقان: ٢٣]. ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَعْمَٰلُهُمْ كَسَرَابٍۭ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمْ يَجِدْهُ شَيْـًٔا وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴾

[النور: ٣٩].

وما من ريب في أن طريقاً يتجه به سالكه إلى الأفئدة والعقول، لا يصلح إلا أن يكون طريق مَرْحمة وسِلْم، وحكمة وأناة. وما من شك في أن أخطر العقبات التي قد تبرز على متنه إنما يتمثل في الضغينة والعنف.

وما تَرِدُ كلمة "الجهاد" مرَّة في القرآن، إلا ويكون هذا السعي الحثيث إلى الأفئدة والعقول، أول ما يقصد من معاني الكلمة ومدلولاتها. وهو المعنى الذي تترجمه هذه الآية القرآنية العظيمة: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ ﴾ [النحل: ١٢٥]. فإن أعوزك مظهر تطبيقي تتجسّد فيه هذه الحقيقة، فدونك فتأمل في سيرة المصطفى ﷺ، واستعرض مراحل دعوته كلها، فلن تجد من خلالها إلا ممارسة مستمرة لهذه الحقيقة، وسعياً دائباً على هذا الدرب.

لقد أمضى النبي ﷺ ثلاثة عشر عاماً من عمر دعوته إلى الله وجهاده في سبيله، وهو يخاطب العقول بالإرشاد والتذكير، ويتَّجه إلى القلوب يستثير فيها العواطف الإنسانية والفطرة الإسلامية، دون أن يحرف عن ذلك الطريق ما أمعنت فيه قريش من العناد والبغضاء ومقابلته بشتى مظاهر الكيد والعدوان.

وربما توهَّم الباحث أنَّه الضعف الذي كان يعانيه النبي ﷺ والصحابة آنذاك، منعه من أن يقابل الشر بمثله، وحمله على الصَّبْر إلى حين. ولا ريب أن هذا وَهمٌ وباطل من القول، فلو كان الذي يمسكه على تلك الحال من التجمل والرحمة وسعة الصدر، عجزه عن المقاومة وعن ردِّ الكيد بمثله، إذن لفرضت طبيعة الثورة نفسها على حاله ومظهره، ولتجلَّى ذلك -على أقل تقدير- في حقدٍ ينفثه أو توعد يشفي غليله به، ولدعا عليهم ذات مرة بالسحق والمحق، ولا سيما وأن دعاء الرسل والأنبياء أمضى من أسلحة الثائرين. ولكنَّا قد علمنا أنه ﷺ ما كان يستقبل عداواتهم إلا بمزيد من الشفقة والرحمة، وأبى أن يُحرِّك لسانه بالدعاء عليهم، حتى في أحلك الساعات وأقسى الظروف التي مرَّت به.

فلما هاجر إلى المدينة واستقرَّ به المقام فيها، ونظر المشركون فرأوا أن قد غدا للنبي ﷺ أرض يركن إليها، وأن قد أحاطت به مجموعات تستنّ بهديه وتدعو بدعوته، وأنها بسبيل أن تنتشر في الناس وتستقر في العقول، هاج بهم هائج الضغينة والحقد، وهبّت فيهم من ذلك ثورة لاهبة تسعى لحماية الباطل الذي توارثوه من الآباء والأجداد، وتُلِحُّ على خنق حقائق الدين

الذي بعث به محمد ﷺ.

وهكذا فإن الأمر كان على عكس ما يتوهمه المتوهمون، فالدعوة الإسلامية التي اختط الرسول ﷺ سبيلها الآمن الحكيم، هي التي واجهت من المشركين ثورة البطش والعنف والعدوان، وليس المشركون هم الذين فوجئوا من النبي ﷺ وأتباعه بتلك الثورة.

وما واجه المسلمون أعداءهم يوماً -وهم بقيادة المصطفى ﷺ- على طول تلك المواجهة وعرضها، بشيءٍ من **تشنجات الثائرين وأحقادهم الهائجة، وإنما كانوا يتصدّون لثورتهم بالإخماد، ويواجهون قوَّتهم بالتوهين، ويلاحقون جموعهم بالتفريق، وقاية لحقائق الدين الإسلامي أنْ تغتال في أشخاص المسلمين، فينكفئ الناس مرَّة أخرى على ظلام الجاهلية، ويعودون إلى ماضيهم التائه المشؤوم.**

لقد قيل للنبي ﷺ: إن أهل نجد بحاجة إلى من يدعوهم إلى الإسلام ويعرفهم به، فأرسل إليهم سبعة من عيون أصحابه، يخوضون إليهم غمار أحقاد ضارية، دون أن يجهزهم ﷺ إلا بمنطق الحق مُضَمَّخاً بلوعة الشفقة والحب، فتخطَّفَتْهم جميعاً يدُ الغدر، **ودارت عليهم رحا القتل**، ولم يَعُد منهم أحد.

ثم قيل مرَّة أخرى له ﷺ عن شدَّة احتياج أهل نجد إلى من يعرفهم بالإسلام، فأرسل إليهم بدلاً من أولئك السبعة سبعين من أَخلص أصحابه، ولم يُجهِّزهم إلا بمثل ما جهز به إخوانهم من قبل، فما كادوا يبعدون في أرض نجد، حتى أحيط بهم، وقُتِلوا عن آخرِهم، اللَّهم إلا واحداً فقط، وهو "عمرو بن أمية الضمري" وكأن الأقدار استَبْقَتْهُ ليعود بالنبأ الأليم إلى رسول الله ﷺ.

فأي الفريقين ثائرٌ هائِجٌ مغتاظٌ، وأيهما الذي يسعى إلى إنقاذ دعوة الحق مضمَّخة بضياء المنطق، نابعة بلوعة الحب والإخلاص؟

ولما صدّ المشركون رسول الله ﷺ عن البيت، وقد اتجه إليه مع جمع كبير من أصحابه معتمرين مسالمين، آثر السلامة وعاد إلى المدينة أدراجه، ووقَّع مع المشركين على كتاب صُلْحٍ بين الفريقين، كانت بنوده كلها خدشاً لكرامة المسلمين وإجحافاً بحقِّهم، لو أنَّهم كانوا يسيرون في معاملة الكافرين مسيرة الثائرين.

ولَمَّا أَمكَنَه الله من العودة ظافراً إلى مكة، وأظفره الله بأهلها، وسار إليها ممتطياً أعلى ذرى القوة والنصر، كان يراقب قلبه أن لا يتسلل إليه شيء من روح السخيمة وهوى الانتقام، وكان يحاذر

أن يتسلل إلى رأسه شيء من نشوة القهر والانتصار، وكان يراقب أصحابه أيضاً ويحذرهم من أن يفتحوا أفئدتهم لشيء من تلك المشاعر.

ولما بلغه أن سعد بن عبادة قال -وهو على مشارف مكة- كلمة أجرتْها نشوةُ الظفر على لسانه: "اليوم يوم الملحمة، اليوم تُستَحلُّ الحرمة" غضب عليه الصلاة والسلام وردَّ قائلاً: (اليوم يوم المرحمة)[1]. وأبى عليه الصلاة والسلام، وهو يدخل مكة من أعلى قمم النصر، إلا أن يكون خاشع القلب مطأطئ الرأس، يرتدي كسوة الذل والعبودية لمولاه، وقدم على مشركي مكة قدوم الغائب على أهله، وبدّد مخاوفهم من البطش والانتقام بقوله: (اذهبوا فأنتم الطلقاء).

فتلك هي صورة مراحل الدعوة الإسلامية، في حياته ﷺ كلها، هل تجدها مسوقة إلا برحمة القلب وشفقة النفس، وهل تجدها متجهة إلا إلى العقول بالإقناع، وإلى الأفئدة بإيقاظ معاني الإنسانية.

غير أن المشكلة التي قد ترد على كلامنا هذا، في تصور بعض الناس هي مسألة الجهاد.

---

(١) روى ذلك الأُمَوي فِي (المغازي) كما في فتح الباري لابن حجر: ١٢/ ص٩٥.

أليس الجهاد أقدس شرائع الإسلام، وهل كان النبي ﷺ يدعو أصحابه إلى عبادة أعظم من عبادة الجهاد؟

والجواب: أن الجهاد الذي شرَعَه اللهُ واستقرَّ باباً من أخطر أبواب الفقه الإسلامي وأهمها، ليس أكثر مما تشرعه أي دولة مسالمة ديمقراطية اليوم، بصدد حماية سِلْمَها ورعاية أَمْنِها. وهو شيءٌ ضروري لا بدَّ منه بإجماع سائر فلاسفة القانون وعلماء الاجتماع، ما دام أن البغي على وجه الأرض لم ينقطع بعد، وأن مطامع الظلم والعدوان لا تزال بارزة المخالب والأنياب.

هل تجد دولة على وجه الأرض لا تهتم بإنشاء جيش قوي لها، ولا تنصرف إلى حماية ثغورها وتحصين حدودها؟ إن الجهاد الذي شَرَعَه الله وألزم به عباده المسلمين، ليس أكثر من ذلك مهما رأيت له من مظاهر وأَشكال.

يقول ابن رشد في مقدماته على مدونة الإمام مالك: "فإذا هوجر العدو، وحميت أطراف المسلمين، وسدّت ثغورهم، سقط فرض الجهاد عن سائر المسلمين"[1].

---

(١) في (مقدمات ابن رشد): "فالجهاد الآن فرض على الكفاية، يحمله من قام به، بإجماع أهل العلم، فإذا هوجر العدو، وحُمِيَتْ أطراف المسلمين، وسُدَّتْ ثغورهم سقط فرض الجهاد عن سائر المسلمين، وكان لهم نافلة وقُرْبة مرغباً=

وحسبك أن تعلم أن مشروعية الجهاد ليست من قبيل شرعة المقاصد والغايات، وإنما هي وسيلة لا بد منها، في ظروف معينة تفرض نفسها، إلى غايات إنسانية سامية لا غنى عنها.

يقول العز بن عبد السلام: "إن الجهاد لا يُتقرب بـه إلـى الله من جهة كونه إفساداً، وإنما يتقرب به من جهـة كونـه وسـيلة إلـى درء المفاسد وجلب المصالح". وهذا يعنـي -كمـا قـال جمهـور الفقهاء- أن الأصل هو السلْم وحقن الـدماء، ولا تشـرع الحـرب إلا عندما تكون هي الوسـيلة الوحيـدة إلـى حمايـة السـلم، ودرء الفـتن وحفـظ الأرواح. وعندئـذ لا منـاص مـن تطبيـق القاعـدة القائلة: "يُتحمَّلُ الضَّررُ الأَخَفُّ دَرْءاً للضَّررِ الأَعْظَم".

ويشير إلى ذلك قول النبـي ﷺ: «**لا تتمنـوا لقـاء العـدو وإذا لقيتموه فاثبتوا**».

وبمقتضى ذلك يُقرِّر مُعظم الفقهاء أن الباعث على القتـال الـذي يدخل في تعريف الجهاد، إنما هـو دَرْءُ الحِرابـة، وحمايـة السـبيل إلـى تعريف الناس بالإسلام؛ أي منع الاعتداء، وحماية حرية الاختيار.

ومن أبرز الأدلة على ذلك، أن النبـي ﷺ، مـا زال ينهـى فـي

=فيها، إلا أن تكون ضرورة مثل أن ينزل العدو ببلد من بـلاد المسـلمين، فيجـب على الجميع إغاثتهم..." ص٢٦٣.

غزواته عن قتل الأُجـراءِ والعبيـد، والنسـاء والشـيوخ، والرُّهبـان الـذين انقطعـوا فـي كهـوفهم أو معابـدهم. وقـد سـار الخلفـاء الراشدون ﷺ من بعده على هـذا الـنَّهج. فلـو كـان الباعـث علـى القتال كفراً، لاستوى في موجب القتل هؤلاء وغيرهم.

غير أن هذا لا يعني أن الجهاد في الشريعة الإسلامية ينقسـم -كما تراءى لبعض المستشرقين وأتباعهم- إلـى حـرب هجوميـة وحـرب دفاعيـة. فهـذا التقسـيم لا وجـود لـه فـي بـاب الجهـاد، ولا تتفق طبيعة الجهاد وأهدافـه التـي شـرع مـن أجلهـا مـع هـذا التقسيم.

إذن فالجهاد ليس مظهراً لثوريـة الإسـلام، كمـا قـد يتـوهَّم بعض الناس، وإنما هو الحِزام الذي تتَّخذه أية أمة من الأمم، فـي أي زمـان ومكـان، لحمايـة سِـلْمِها، والـتمكُّن مـن أداء دورهـا الإنساني البنَّاء على صعيد الأسرة الإنسانية جمعاء.

المبحث السادس:
مفهوم الوطن عند إخوان الشياطين، والتيارات الإسلاموية المتطرّفة[1]

صنعت الجماعات المتطرفة صورة معكوسة ومشوّهة للوطن، وهذه من أخطر القضايا التي تطرحها، وذلك المفهوم المغلوط للوطن عندهم هو:

- الوطن حفنة تراب لا قيمة لها.

- حبّ الوطن انفعال بشريّ سخيف، لا بدّ من مقاومته والبراءة منه، مثل ميل الإنسان للمعاصي.

- رفض فكرة الوطن؛ لأنها في نظرهم مقابل الخلافة أو الأمّة.

- الأوطان حدود جغرافيّة صنعها الاستعمار، فلا نحنّها ولا نتعامل معها.

- الأوطان هي المساكن التي ترضونها وهي التي ذمّها الله

---

(١) للتوسع في مفهوم الوطن والمواطنة؛ انظر: (التنوير من التفسير) و(فقه الأزمة) الجزء الأول، إصدار وزارة الأوقاف في الجمهورية العربية السورية.

تعالى في القرآن الكريم.

- ليس في الشرع آية ولا حديث يدلّ على حبّ الوطن.

قال سيد قطب: (إن راية المسلم التي يحامي عنها هي عقيدته. ووطنه الذي يجاهد من أجله هو البلد الذي تقام شريعة الله فيه وأرضه التي يدفع عنها هي دار الإسلام التي تتخذ المنهج الإسلامي منهجاً للحياة.. وكل تصور آخر للوطن هو تصور غير إسلامي)[1].

وقال في موضع آخر: (إن الجاهليات تجعل الرابطة آنا هي الدم والنسب وآناً هي الأرض والوطن، وآناً هي القوم والعشيرة، وآناً هي اللون واللغة، وآناً هي الجنس والعنصر، وآناً هي الحرفة والطبقة! تجعلها آناً هي المصالح المشتركة، أو التاريخ المشترك. أو المصير المشترك.. وكلها تصورات جاهلية- على تفرقها أو تجمعها- تخالف مخالفة أصيلة عميقة عن أصل التصور الإسلامي)[2].

---

(١) في ظلال القرآن: (٢/ ٧٠٨).

(٢) في ظلال القرآن: (٤/ ١٨٨٦).

بيان الصورة الصحيحة للوطن في الفكر الإسلامي من خلال الردود على هذه النظرة المشوّهة.

إنّ الفكر الإسلامي السليم قد أعطى الوطن حقّه من الحرمة والمكانة السامية، وقد ردّا على هذه النظرة الجائرة المشوّهة بالآتي[1]:

أولاً- أمّا التهوين من قيمة الوطن والأرض وأنّه حفنة تراب لا قيمة لها:

فقد قال سيد قطب في الرد على من يدعو إلى حماية الوطن: (يغضّون من شأن المنهج، ويعتبرونه أقلّ من الموطن، وهذه ليست نظرة الإسلام إلى هذه الاعتبارات، إنها نظرة مستحدثة غريبة على الحسّ الإسلامي، فالعقيدة والمنهج الذي تتمثّل فيه، والمجتمع الذي يسود فيه هذا المنهج هي الاعتبارات الوحيدة في الحسّ الإسلامي، أمّا الأرض- بذاتها- فلا اعتبار لها ولا وزن)[2].

---

(١) ينظر: الحقّ المبين: (ص: ١٧١) .

(٢) في ظلال القرآن: (٣/ ١٤٤١).

فـإنّ هـذا تصـوير اختزالـي للـوطن، فـالوطن لـيس أرضـاً مجـرّدة، بـل هـو شـعب، وحضـارة، ومؤسسـات، وتـاريخ، وانتصارات، ومبادئ، وقضـايا، ومكانـة إقليميّـة ودوليّـة، وتـأثير سياسيّ وفكريّ في محيطنا العربيّ والإسلاميّ، ورجـال وعبـاقرة صنعوا التاريخ والإنجازات، ونشروا العلـوم الشـرعية والكونيّـة، ولهم الباع الطويـل فـي بنـاء الحضـارة والمسـاهمة فـي المجـال الاقتصادي، والسياسي، والعسكري، والأدبـي، والفنّـي، وغيرهـا من المجالات.

فتجاهل كلّ هذه المعـاني والمفـاهيم التـي تصـنع الـوطن، واحتقارها، واختزالها بحفنة من تراب لم يصدر عـن فكـر سـويّ ولا فهم سليم.

ثانيا- حبّ الوطن انفعال بشريّ سخيف، لا بدّ من مقاومته والبراءة منه، مثل ميل الإنسان للمعاصي:

هذا فهم سقيم وخلط غريب بـين المشـاعر الخبيثـة الآثمـة التي أمرنا الله أن نتسامى عنها، وبـين المشـاعر النبيلـة، والـدوافع الفطرية الراسخة، فمحبّة الوطن مغروزة بالفطرة والطبـع، وإنّ مـا

غرزه الله بالفطرة فهو من المقاصد العامّة للشريعة، لكي يحافظ عليه الإنسان بطبعه عند غياب الرسل السماوية، والفطرة تغني عن الوجوب الشرعي، قال الإمام الغزالي: (في بواعث الطباع مندوحة عن الإيجاب؛ لأنّ قوام الدنيا بهذه الأسباب، وقوام الدين موقوف على قوام أمر الدنيا ونظامها لا محالة)[1] .

ولا ينكر حبّ الوطن إلا ممسوخ الفطرة والتفكير، عديم المشاعر، روى الدينوري عن الأصمعي قال: سمعت أعرابيا يقول: (إذا أردت أن تعرف الرجل، فانظر كيف تحنّنه إلى أوطانه)[2] لأنهم أهل الفطرة والطباع السليمة.

وإنّ سيّد قطب ذاته يشعر بهذه الفطرة ويقرّ بها؛ لأنّها لا يكم أن تُنكَر لكنّه يكابر بسبب فهمه السقيم، فقد قال: (إن هاجس الأسى لمفارقة الوطن هو الهاجس الأول الذي يتحرك في النفس التي تدعى للهجرة)[3].

وقال أيضاً في سياق فطرة حبّ الوطن عن سيدنا موسى

---

(١) الوسيط في المذهب: (٧/ ٧).

(٢) المجالسة وجواهر العلم: (١/ ٦٠).

(٣) في ظلال القرآن: (٥/ ٢٧٤٩).

عليه السلام : (لماذا عاد وقد خرج من مصر طريداً، قتل قبطيا فيها حين رآه يقتتل مع إسرائيلي، وغادر مصر هاربا وبنو إسرائيل فيها يسامون العذاب ألوانا؟ حيث وجد الأمن والطمأنينة في مدين إلى جوار شعيب صهره الذي آواه وزوجه إحدى ابنتيه؟

إنها جاذبية الوطن والأهل تتخذها القدرة ستارًا لما تهيئه لموسى من أدوار.. وهكذا نحن في هذه الحياة نتحرك، تحركنا أشواق وهواتف، ومطامح ومطامع، وآلام وآمال.. وإن هي إلا الأسباب الظاهرة للغاية المضمرة، والستار الذي تراه العيون لليد التي لا تراها الأنظار ولا تدركها الأبصار، يد المدبر المهيمن العزيز القهار)[1].

إنّ هذا التناقض سببه تناقض المنهج والفكر الذي يحملونه مع الحقائق الساطعة.

ثالثاً- رفض فكرة الوطن لأنها بنظرهم مقابل الخلافة أو الأمّة:

عندما كان الانتماء مكوّنا راسخاً من مكوّنات الفعل

(١) في ظلال القرآن: (٤/ ٢٣٣٠).

البشريّ، وهو من أهمّ مكوّنات الفطرة البشريّة التي فطر الله الناس عليها، فقد أكّده الشرع الشريف، وانطلق منه، وعوّل عليه، ولم يقمعه أو يتجاهله، بل هذّبه، وكان النبي ﷺ يحنّ إلى وطنه مكة ويشتاق إليها، ودعا الله أن يحبّبه بالمدينة كحبّه لمكة، فقال ﷺ: «اللهم حبّب إلينا المدينة كحبنا مكة أو أشدّ»[1]، فقد اعتبر ﷺ وجود الوطن والأرض في الحياة وعلاقة الإنسان بالأرض، ولم يعدّه مناقضاً للانتماء للأمّة الإسلاميّة.

وقد حدّد الشرع للمكلّف معالم راقية للانتماء تلبّي ذلك الدافع الداخلي، وتحفظه من مزالقه، فمنع التعصّب والحميّة والعداوة، وأقرّ المحبّة للأوطان والبلاد، وأن جميعهم يدخلون تحت الأمّة الإسلامية في مشارق الأرض ومغاربها أينما كانت أوطانهم وبلادهم، وتجمعهم رابطة الدين والمحبّة.

فالانتماء دوائر، بعضها أوسع من بعض، وبينها تداخل لا تعارض، وإنّ الفكرة التي جاء بها منكرو الأوطان مغالطة منطقيّة، فحكموا على محبّة الوطن بالتعارض مع الانتماء للأمّة

(١) البخاري: (١٨٨٩)، مسلم: (١٣٧٦).

الإسلامية، وهذا ظاهر الفساد.

رابعاً- الأوطان حدود جغرافية صنعها الاستعمار، فلا نحبّها ولا نتعامل معها:

في الحقيقة إنّ هذا خلط بين الحدود الجغرافيّة التي صنعها الاستعمار، وبين الأوطان التي يعيش فيها الإنسان، فالأوطان بقاع عريقة قديمة قِدَم التاريخ، قبل الاستعمار بألوف السنين، وإن استقرار الوضع الحالي على هذه الحدود يوجب علينا حفظها والدفاع عنها، ورفع تلك الحدود لا يكون بالتلاعب، بل بالاتفاقات العليا التي يتمّ إبرامها وفق آليات محترمة.

على أنّ فكرة الوطن لا علاقة لها بالحدود، بل هو قيمة تاريخية، وعلميّة، وإقليمية، وعالميّة، وحضاريّة، فهو إنجازات وإبداع وأخلاق ومبادئ ومُثُل عليا، ودين، وأصالة على أرض أحبّها أهلها وأحبّتهم.

إنّ هذا الربط بين الوطن والاستعمار في فكر هذه التيارات الشاذّة تشويه وتزوير للحقائق، وتقبيح لصورة مغروسة بالفطرة، عشقتها النفوس وحنّت إليها، للتنفير منها بالتلازم الوهمي مع ما

صنعته الدول الاستعمارية.

خامساً- الأوطان هي المساكن التي ترضونها، وقد ذمّها الله في القرآن الكريم:

ويقصدون بذلك قوله تعالى: ﴿ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾ [التوبة: ٢٤].

عندما يكون تفسير القرآن الكريم تابعاً للهوى تقع الطامّات في المفاهيم القرآنية، ويخضعون معاني كلام الله لآرائهم الشاذّة، وفي هذا جناية على القرآن الكريم.

فإنّ تفسير هذه الآية وعيد لمن يقدّم مصالحه الشخصيّة وأهواءه على القضايا الكبرى، وتتحقق هذه الصورة المذمومة عند شخص تعلّق بأهله وعشيرته وأمواله وتجاراته وقصوره ومزارعه، وتثاقل إلى الأرض عن إجابة داعي الجهاد المشروع الذي فيه حفظ الثغور أو الدفاع عن الدين والبلاد.

فالآية لا تجعل حبّ الله ورسوله في كفّة، وحبّ المساكن في كفّة، التي هي الأوطان في نظرهم إن صحّ كلامهم، بل حبّ الله والوطن في كفّة، والمصالح الشخصيّة والأنانيّة التي تصرفهم عن نصرة دينهم وأوطانهم في كفّة.

فشتّان بين المفهوم القرآني والمفاهيم المخالفة للفطرة والعلم والواقع!

سادساً- ليس في الشرع آية ولا حديث يدلّ على حبّ الوطن:

من الأصول الفاسدة التي يستدلّ بها هذه الجماعات أنّهم يجهلون طرق الاستدلال، ويظنّون أنّ الأدلّة الشرعيّة مقتصرة على ظواهر المنطوق، ومن كان هذا تصوّره فليس أهلاً لتقرير الأحكام الشرعيّة باتّفاق أهل العلم، بل علاوة على ذلك فإنّهم يخطّؤون الأمّة ويلزمونها بآرائهم المغلوطة المبنيّة على استدلال فاسد.

فالأدلّة الشرعيّة لا تقتصر على ظواهر نصوص الكتاب والسنّة، بل أدلّة التشريع كثيرة منها الأصليّة ومنها التبعيّة، وهي

كثيرة تتّسع لكلّ الأحوال والأزمنة والأمكنة، والنصوص تشتمل على المنطوق والمفهوم والإشارة والإيماء، ثمّ التعليل والقياس بأنواعه، ثمّ الإخالة ونحوها من دقائق علوم الاستدلال الأصولي والتي أضفت إلى الشريعة إحاطة في جميع الأحكام.

على أنّ قوله ليس في الشرع آية ولا حديث يدلّ على حبّ الوطن فهو كلام منقوض، فقد كان النبي ﷺ يحبّ الوطن ويحنّ له ويشتاق إليه، فكان ﷺ «إذا قدم من سفر فنظر إلى جدرات المدينة أوضع ناقته، وإن كان على دابّة حرّكها من حبّها»[1].

قال ابن حجر: (في هذا الحديث دلالة على فضل المدينة وعلى مشروعية حبّ الوطن والحنين إليه)[2].

وقال الإمام الذهبي في محبوبات النبي ﷺ: (وكان يحبّ عائشة، ويحبّ أباها، ويحبّ أسامة، ويحبّ سبطيه، ..ويحبّ أُحُد ويحبّ وطنه)[3].

فالشريعة لم تغفل المشاعر والعواطف ومحبّة البلاد

---

(١) البخاري: (١٨٨٦).

(٢) فتح الباري لابن حجر: (٣/ ٦٢١).

(٣) سير أعلام النبلاء: (١٥/ ٣٩٤).

والأوطان، ولم تجمّد العواطف وتجعل القلوب كحجر الصوّان بل نال الوطن حظّاً وافراً من محبّة النبيّ ﷺ.

وقد أُلِّفَ المسلمون كتباً في حبّ الوطن، منهم:

- الجاحظ ألّف كتاباً سمّاه (حبّ الوطن).

- الحافظ ابن عساكر في تاريخ دمشق أفرد كتاباً سمّاه (الحنين إلى الأوطان).

- أبو حاتم سهل بن محمد السجستاني ألّف كتاباً سمّاه (الشوق إلى الأوطان).

- أبو حيّان التوحيدي ألّف كتاباً سمّاه (الحنين إلى الأوطان).

- أبو محمّد الحسن بن عبد الرحمن الرامهرمزيّ ألّف كتاباً سمّاه: (المناهل والأعطان، والحنين إلى الأوطان).

- الدكتور زيد بن عبد الكريم الزيد ألّف كتاباً بعنوان: (حبّ الوطن من منظور شرعيّ).

- الدكتور محمد بن موسى الدالي ألّف كتاباً بعنوان: (الوطن والاستيطان، دراسة فقهيّة).

المبحث السابع: إخوان الشياطين؛ منهج فكري مضطرب واستعراض وإساءة لم يسلم منها حتى الأنبياء

المطلب الأول: منهج فكري مضطرب؛ سيد قطب أنموذجاً

ومما يجب التحذير منه تحذيرًا بالغًا مؤلفات سيد قطب الذي كان في أول أمره صحفيًّا ماركسيًّا ثم انخرط في حزب الإخوان واشتغل بالتأليف فزلَّ وضلَّ.

فبالإضافة إلى الانحراف الكبير في كلامه حول تكفير المجتمعات الإسلامية المؤمنة[1]، وتشبيه الله تعالى بخلقه وتسميته لله بالريشة المبدعة والخالقة[2]وبالعقل المدبر[3] ونحوها من الألفاظ التي عدّها علماء الأمة تطاولاً على الذات الإلهية، فقد تجرأ سيد قطب على الأنبياء والصحابة ومنهم: سيدَنا موسى ويوسف وإبراهيم عليهم السلام، نعوذ بالله من الكفر، فلتُحذر مؤلفات هذا الرجل الذي يدعو الناس إلى هدم

---

(١) في ظلال القرآن، سيد قطب، المجلد ٢، (٧/ ١٠٥٧).

(٢) التصوير الفنيّ في القرآن، سيد قطب، (ص١٠٩، ١٧٥، ١٩٨، ٢٠١).

(٣) التصوير الفنيّ في القرآن، سيد قطب، (٦/ ٣٨٠٤).

الدين وإلى الفوضى والقتل والدمار وفتح باب المروق من الدين.

فقد أدّاه جهله إلى القدح والذمّ بسيدنا موسى عليه السلام في كتابه المسمّى التصوير الفني في القرآن الكريم فقال ما نصّه: «لنأخذ موسى، إنه نموذج للزعيم المندفع العصبيّ المزاج» كما مرّ، ويقول في الصحيفة التي بعدها: «فلندعه هنا لنلتقي به في فترة ثانية من حياته بعد عشر سنوات، فلعلّه قد هدأ وصار رجلًا هادئ الطبع حليم النفس»[1].

ويتهم سيدَنا يوسف في نفس الكتاب بأنه كاد يضعف أمام امرأة العزيز[2].

ويرمي سيدنا إبراهيم عليه السلام بالشكّ فيقول ما نصّه: «وإبراهيم تبدأ قصته فتى ينظر في السماء، فيرى نجمًا فيظنه إلهه، فإذا أفل قال: لا أحبّ الآفلين، ثم ينظر مرة أخرى فيرى القمر فيظنه ربه ولكنه يأفل كذلك فيتركه ويمضي، ثم ينظر إلى الشمس

---

(١) التصوير الفنيّ في القرآن، سيد قطب، (ص١٦١، ١٦٢).

(٢) التصوير الفنيّ في القرآن، سيد قطب، (ص١٦٦).

فيعجبه كبرها ويظنها ولا شك إلهًا ولكنها تُخلفُ ظنه هي الأخرى»[1].اهـ. كما تقدَّم.

الرَّدُّ: هذا الكلام مناقض لعقيدة الإسلام التي تنص على أن الأنبياء الكرام تجب لهم العصمة من الكفر والكبائر وصغائر الخسة قبل النبوة وبعدها، وقول إبراهيم عليه السلام عن الكوكب حين رآه: {هَذَا رَبِّي} [الأنعام: ٧٦] هو على تقدير الاستفهام الإنكاريّ، فكأنه قال: أهذا ربي كما تزعمون؟ ثم لـمَّا غاب قال: {لَا أُحِبُّ الآفِلِينَ}، أي: لا يصلح أن يكون هذا ربًّا، فكيف تعتقدون ذلك، وعندما لم يفهموا مقصوده؛ بل بقُوا على ما كانوا عليه قال حينما رأى القمر مثل ذلك، فلـمَّا لم يجد منهم بغيته أظهر لهم أنه بريء من عبادته وأنه لا يصلح للربوبية، ثم لـمَّا ظهرت الشمس قال مثل ذلك، فلم يرَ منهم بغيته فأيس منهم فأظهر براءته من ذلك، وأما هو فقد كان يعلم قبل ذلك أن الربوبية لا تكون إلا لله بدليل قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ﴾ [الأنبياء: ٥١]. وقد تقدّم بيان ذلك مفصلًا.

---

(١) التصوير الفنيّ في القرآن، سيد قطب، (ص١٣٣).

وهنا ينبغي التأكيد أن تفسير القرآن الكريم ليس مشاعًا لكل ذي قلم سيَّال أن يكتب فيه برأيه كما يصور له شيطانه وكما تُسوّل له نفسه، غير مراعٍ لِـمَا لا يليق بالله وأنبياء الله من عبارات وألفاظ، فيها نسبة التشبيه لله بخلقه، ونسبة صفات النقصان لأنبياء الله، بداعي التحرر من التفاسير القديمة، وبداعي مواكبة كُتَّاب العصر الغربيين الحاليين في مخاطبتهم لله كأنه رسام أو بنَّاء خبير، وفي نقدهم لأنبياء الله من دون أدب ولا مراعاة لمنصب النبوة وعصمتهم.

ومن هنا كان التحذير من كتب سيد قطب الذي لم يسبق له أن جثا بين يدي أهل العلم بالدين للتعلم، ومن هنا تعرف منشأ مثل هذه الزلّات الفاضحة والسَّقطات الواضحة، لأنه لم يتلقَّ العلم من أهله وإنما اعتمد على مجرد المطالعة في الكتب.

المطلب الثاني: استعراض وإساءة لم يسلم منها حتى الأنبياء[1]

وسننقل للقارئ هنا دراسة مفصلة قام بها أحد الأساتذة حول الإساءات العقدية الكبرى التي صدرت من سيد قطب منظر الحركات الإسلاموية، وذلك في كتبه التي تعتمدها جماعة إخوان الشياطين في دول العالم الإسلامي كلها، بل تتحدث عن كتب سيد قطب كأنها قمة ما وصل إليه الفكر والإبداع الإسلامي!!

متناسية هذه الأخطاء الكبرى التي تدمر الفكر، في ثوب أدبي أنيق، وتضع السم في العسل، وإليك أمثلة ستدهش منها، وستكتشف من خلالها أي تربية تلك التي يعيشها هؤلاء مع هذا المنهج المنحرف!!

الطعن في موسى عليه السلام (الجمعة ٢ من ذي الحجة

---

(١) دراسة نشرها الباحث الأستاذ عماد عبد الراضي بتاريخ (الجمعة ٢/ ذي الحجة/ ١٤٣٥هـ-٢٦/ أيلول/ ٢٠١٤م، السنة ١٣٩، العدد: ٤٦٦٨٠، من جريدة الأهرام المصرية.

١٤٣٥ هـ ٢٦ سبتمبر ٢٠١٤ السنة ١٣٩ العدد ٤٦٦٨٠).

عماد عبد الراضي

أعترف بأنى لا أحب السياسة، ولا أدعى أنى أفهم فيها، وعندما أتبنى موقفاً ما تجاه شخص أو جماعة، فموطن النزاع عندي لا يمكن أن يكون فى السياسة، وإنما يكون في المعتقد الديني، ومن هذا المنطلق فإني لم ولن أكون أبداً على وفاق مع سيد قطب ولا كل من يأخذ العلم عنه ممن يسمون بـ "القطبيين" سواء من جماعة الإخوان المسلمين أو من خارجها، وذلك لما للرجل من طوام وأخطاء عقدية توارثها عنه البعض بلا فهم أو وعي، فكان لذلك أسوأ الأثر في تربية تيار تبنى فكره دون أن يعي طبيعة هذا الفكر، حتى كاد البعض أن يُكَفِّر من يتحدث فى فكر سيد قطب أو حتى يفكر في انتقاده.

ولأن هناك من وجَّه إليَّ اللوم على هذا الموقف ممن لم يكلفوا أنفسهم عناء قراءة كتب سيد قطب أو التعرف على حقيقة فكره المنحرف دون تجميل ممن يروجون له.. فإني أعرض لما قرأته من فكر سيد قطب من واقع ما كتبه بيده.

سيد قطب والطعن في موسى عليه السلام:

أثارت كلمات سيد قطب بحق نبي الله موسى عليه السلام حفيظة علماء أهل السنة نظرا لسوء أسلوبه فى الحديث عنه، ورميه بما لا يليق من الألفاظ، ومن بين ما قال سيد قطب بحق كليم الله:

" لنأخذ موسى إنه مثال للزعيم المندفع العصبي المزاج".

ويعلق على الآية الكريمة ﴿ **فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ** ﴾ فيقول: "وهنا يبدو التعصب القومي، كما يبدو الانفعال العصبي".

ويقول معلقاً على الآية ﴿ **قَالَ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى فَٱغْفِرْ لِى** ﴾: "وسرعان ما تذهب هذه العصبية، فيثوب إلى نفسه شأن العصبيين"[1].

ويستمر في اتهاماته لكليم الله، ففي الآية ﴿ **فَأَصْبَحَ فِى ٱلْمَدِينَةِ خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ** ﴾، يقول سيد قطب: "هو تعبير مصوّر لهيئة معروفة: هيئة المتلفت المتوقع للشر في كل حركة. وتلك سمة

(١) التصوير الفني في القرآن؛ الطبعة السادسة عشرة – دار الشروق عام ٢٠٠٢ – ص ٢٠٠.

العصبيين أيضاً".

ويقول في فقرة أخرى من الكتاب: "ومع أنه قد وعد بأنه لن يكون ظهيراً للمجرمين، فلننظر ما يصنع. إنه ينظر ﴿ فَإِذَا ٱلَّذِى ٱسْتَنصَرَهُۥ بِٱلْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُۥ ﴾ مرة أخرى على رجل آخر، ﴿ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰٓ إِنَّكَ لَغَوِىٌّ مُّبِينٌ ﴾ ولكنه يهم بالرجل الآخر كما همَّ بالأمس، ويُنسيه التعصب والاندفاع استغفاره وندمه وخوفه وترقبه، لولا أن يُذكِّره من يهم به بفعلته، فيتذكر ويخشى".

ويعود فيقول فى فقرة أخرى كلاماً بالغ السوء عن موسى عليه السلام: "فلندعه هنا لنلتقى به فى فترة ثانية من حياته بعد عشر سنوات، فلعله قد هدأ وصار رجلاً هادئ الطبع حليم النفس. كلا..... إنه الفتى العصبى نفسه ولو أنه قد صار رجلاً"[1].

ويصل سوء الأدب مع أحد أولى العزم من الرسل إلى ذروته عندما يقول: "ثم ندعه فترة أخرى، لنرى ماذا يصنع الزمن

---

(١) التصوير الفني في القرآن؛ الطبعة السادسة عشرة – دار الشروق عام ٢٠٠٢ – ص ٢٠١.

فى أعصابه.... ثم يقول معلقاً على الآية ﴿ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبْحَٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الأعراف: ١٤٣]: "ثم حدث ما لا تحتمله أية أعصاب إنسانية - بله أعصاب موسى-"[١].

ويتبع ذلك بالقول: "عودة العصبي فى سرعة واندفاع".

وعندما يذكر الآية: ﴿ قَالَ فَٱذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِى ٱلْحَيَوٰةِ أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَ ۖ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَّن تُخْلَفَهُۥ ۖ وَٱنظُرْ إِلَىٰٓ إِلَٰهِكَ ٱلَّذِى ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا ۖ لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُۥ فِى ٱلْيَمِّ نَسْفًا ﴿٩٧﴾ ﴾، يتبعها بالقول: "هكذا فى حنق واضح وحركة متوترة"[٢].

ومن أسوأ ما كتب سيد قطب مقارنته بين النبيين موسي وإبراهيم عليهما السلام، بهدف الانتقاص من موسى، فيقول: "تقابل شخصية موسى شخصية إبراهيم. إنه نموذج الهدوء

---

(١) التصوير الفني في القرآن؛ الطبعة السادسة عشرة – دار الشروق عام ٢٠٠٢ – ص ٢٠١-٢٠٢.

(٢) المرجع السابق: ص ٢٠٢.

والتسامح والحلم"[1].

إن ما مرّ من نقل خَطَّه سيد قطب بقلمه وطُبع في كتبه التي لا يزال القطبيون يحافظون عليها ويرفضون مجرد تطهير طبعاتها منه... إنه يمثل طامة واحدة، ولا يزال هناك الكثير.

(١) التصوير الفني في القرآن؛ الطبعة السادسة عشرة – دار الشروق عام ٢٠٠٢ – ص ٢٠٣.

الفصل الرابع:
حقائق إرهابية في تاريخ إخوان الشياطين

مقدمة تاريخية:

صدرت مذكرة بحل جماعة الإخوان المسلمين في مصر سنة ١٩٤٨م للأعمال الإجرامية الآتية:

١- أن الجماعة كانت تُعد للإطاحة بالنظام السياسي القائم، وذلك عن طريق الإرهاب، مستخدمة تشكيلات مدربة عسكرياً هي فرق الجوالة.

٢- مسؤولية الجماعة عن مقتل أحد خصومها السياسيين "وفدي" في بور سعيد.

٣- مسؤولية الجماعة بحيازة أسلحة ومفرقعات ومتفجرات، "حادث المقطم، مستودع السلاح بعزبة الشيخ محمد فرغلي، ضبط مصنع للمتفجرات بالإسماعيلية".

٤- نسف فندق الملك جورج بالإسماعيلية.

٥- الاعتداء على رجال الأمن أثناء تأدية وظيفتهم.

٦- إرهاب أصحاب المنشآت التجارية وتهديدهم بهدف

الحصـــول علـــى "تبرعـــات" و"اشـــتراكات" مدفوعـــة مقـــدماً لصحيفة الجماعة.

وبناء على هذه المذكرة أصدر الحاكم العسكري العام محمود فهمي النقراشي باشا قراراً عسكرياً من تسعة مواد، تَنص مادته الأولى: تُحل فوراً الجمعية المعروفة باسم جماعة الإخوان المسلمين بشعبها أينما وجدت، وتُغلق الأمكنة المخصصة لنشـــاطها، وتُضـــبط جميـــع الأوراق والوثـــائق والســـجلات والمطبوعات والمبالغ والأموال، وعلى العموم كافة الأشياء المملوكة للجمعية.

ويحظر على أتباعها والمنتمين إليها بأية صفة كانت مواصلة نشاط الجمعية، وبوجه خاص عقد اجتماعات لها أو لإحدى شعبها، أو تنظيم مثل هذه الاجتماعات أو الدعوة إليها، وجمع الإعانات أو الاشتراكات، أو الشروع في شيء من ذلك، ويعد من الاجتماعات المحظورة في تطبيق هذا الحكم اجتماع خمسة فأكثر من الأشخاص الذين كانوا أعضاء بالجمعية المذكورة. كما يحظر على كل شخص طبيعي أو معنوي السماح باستعمال أي

مكان تابع له لعقد مثل هذه الاجتماعات، أو تقديم أي مساعدة أدبية أو مادية أخرى.

وتنص المادة الثالثة: "على كل شخص كان عضواً في الجمعية المنحلة أو منتمياً لها وكان مؤتمناً على أوراق أو مستندات أو دفاتر أو سجلات أو أدوات أو أشياء أن يُسلمها إلى مركز البوليس المقيم في دائرته في خلال خمسة أيام من تاريخ نشر هذا الأمر".

أما المادة الرابعة فتنص على تعيين "مندوب خاص مهمته استلام جميع أموال الجمعية المنحلة وتصفية ما يَرى تَصفيته، ويخصص الناتج للأعمال الخيرية أو الاجتماعية التي يُحددها وزير الشؤون"[1].

(١) "الإرهاب المتأسلم" د. رفعت السيد - دار الشروق - القاهرة – ط ٢ - ص ٦٢.

المبحث الأول: نماذج للممارسة العملية لنظرية فصل الأقوال عن الأفعال

ونأتي إلى ساحة الممارسة العملية في تاريخ هذه الحركة المشبوهة، فقد تعودنا من جماعة الإخوان أن تتناقض الأقوال مع الأفعال.

ففي البداية يُحدد محمد شريف - مسؤول مكتب العمال في الجماعة - الهدف الأساسي للجماعة من العمل وسط جماهير العمال فيقول: "أن معاداة الشيوعية كانت أحد هدفين أساسيين استهدفتهما الجماعة من عملها المنظم في صفوف الطبقة العاملة؟

أما الهدف الآخر فهو السعي لنشر دعوة الإسلام في الأوساط العمالية"[1].

ولا شك أن نشاطاً من هذا القبيل قد لقي ترحيباً شديداً من

---

(١) "القرآن والحاكمية" محمد شريف - دار الناصر لدين الله - ١٩٣٦م - ط٢ - ص ١٥٨ .

جانب الحكومات والرأسماليين على السواء[1].

وفي أعقاب الحرب العالمية الثانية مباشرة أسست الجماعة "قسم العمال" بالمركز العام، لكنها حرصت على التأكيد بأن "الغرض من إنشاء هذا القسم ليس التدخل في شؤون العمال النقابية، ولا التنافس مع الهيئات العمالية، أو التعرض للعمال في مصانعهم أو شركاتهم، ولكنه أنشئ بغرض توصيل الدعوة إلى نفوسهم، وحتى يكون دافعاً لتمسكهم بتعاليم الدين".

وعلى العكس تماماً ...

دأبت جماعة الإخوان المسلمين منذ فجر العمل الوطني الحالي على بث الدسائس وتدبير المؤامرات التي ترمي في مجموعها إلى القضاء على الحركة الوطنية أو تحويلها عن أهدافها مما لا يخدم غير الاستعمار. ولما كانت اللجنة الوطنية للعمال والطلبة هي اللجنة الشرعية الممثلة للطلبة والعمال والموظفين، والمنتخبة انتخاباً ديموقراطياً، والمنظمة لكفاح

---

(١) "مواقف في التاريخ الإخواني" وليد عبد الحميد - دار البيان - القاهرة - ١٩٩٢م - ص ٤٥ .

طوائف الشعب حتى يقضي على الاستعمار؛ فقد دبر الإخوان مؤامرتهم خاصة ضد العمال والطلبة غير المتعاونين، وبدأوا في إعلان تكوين لجان خاصة بهم وسط العمال.

وتصاعدت موجة العداء ضد الإخوان في صفوف العمال بسبب الممارسات السياسية المعادية للمشاعر الوطنية، والتي وقفت بالإخوان في صف رئيس الوزراء الطاغية إسماعيل صدقي، وضد حركة الجماهير الشعبية المعادية للاستعمار بقيادة اللجنة الوطنية للعمال والطلبة، وبسبب ممارسات الجماعة المتحالفة مع الرأسمالية ضد مصالح العمال المباشرة[1].

ففي سبتمبر ١٩٤٥م قاد الشيوعيون إضراباً شاملاً وناجحاً في منطقة شبرا الخيمة، بهدف تحسين أوضاع العمال حيث توقفت كل مصانع تلك المنطقة عن العمل، وتشكلت قيادة سرية للإضراب عجز البوليس عن الوصول إليها، وفي البداية أيدت جماعة الإخوان الإضراب لكنها ما لبثت أن انسحبت منه،

(١) "الولاء والبراء في فكر الإخوان المسلمين" ناصر السيد رفعت – دار النهضة – مصر – القاهرة – ١٩٩٩م – ص ٨٢ .

وبدأت حملتها ضده، بل لقد أرسلت وفوداً من دعاتها إلى المنطقة لإقناع العمال بالعدول عن الإضراب، بحجة "أن الدين يُحرم الإضراب لأن فيه خسارة لأصحاب المصانع من المسلمين".

وعاد عمال شبرا الخيمة إلى الإضراب من جديد، في إضراب أكثر شمولاً وأكثر تنظيماً، استمر طوال شهري مايو- يوليو١٩٤٦م، ومنذ البداية وقف الإخوان ضد الإضراب، واتهم قادة الإضراب – وأيدتهم في ذلك صحف الوفد – أعضاء جماعة الإخوان، "بأنهم قد سلموا البوليس قوائم بأسماء وعناوين القادة السريين للإضراب، ونتيجة لهذه المعلومات ألقي القبض على أكثر من مائة من القادة العماليين"، لكن الإضراب استمر رغم ذلك، وصمم أصحاب المصانع على عدم السماح للعمال بالعودة للعمل إلا إذا تعهدوا كتابةً بعدم العودة للإضراب.

وأيدت جريدة الإخوان ذلك الإجراء من أصحاب المعامل، ودعت العمال إلى "إنهاء الإضراب والتوقيع على التعهد الذي طلبه منهم أصحاب المصانع ومكتب العمل بعدم اللجوء إلى

سلاح الإضراب في المستقبل"، وقالت الجريدة أنها "تؤمل بعد عودة العمال للعمل وتوقيعهم على التعهد المطلوب أن تعمل الحكومة على حل مشاكل العمال"[1].

ويفسر البعض ذلك بأن نشاط الجماعة وسط العمال كان دوماً في خدمة الاستخبارات والقصر الملكي وبالتنسيق معها.

وعندما عادت الجماعة للنشاط في نهاية ١٩٥٠م حاولت أن تتخطى أخطاء الفترة السابقة، وأن تواكب المد الثوري الملتهب في الشارع، وأن تتكلم بلسانه كي تكسب موقعاً ما وسط صفوف العمال، فكتب سيد قطب كثيراً عن (اشتراكية الإسلام) المزعومة، ونشرت مجلة "الدعوة" مقالات ملتهبة تهاجم الرأسماليين لأول مرة، وتدافع عن حق العمال في الإضراب، بعد أن أكدوا كمن قبل أنه ضد تعاليم الإسلام !!

وثمة مقال لمحمد الفولي بعنوان: "أيها الرأسماليون لا تحاربوا النقابات" يُهاجم فيها قانون ١٩٤٠م لأنه يحرم تكوين

---

(١) "الولاء والبراء في فكر الإخوان المسلمين" ناصر السيد رفعت – دار النهضة – مصر – القاهرة – ١٩٩٩م – ص ١١٧-١١٨.

اتحادات عمالية، كما أنه يحرم العمال من حق الإضراب الذي هو سلاحهم الوحيد في مواجهة بطش الرأسماليين بهم وبحقوقهم.

لكن هذا التطور لم يَستمر سِوى فترة قصيرة جداً ولم يُثمر نفوذاً ما وسط العمال، وبدت الجماعة وكأنها تفقد أملها في هذه الطبقة، وفي وجود نفوذ حقيقي لها في صفوفها، ومن ثم راهنت ومن جديد على القوى الأخرى.

وعندما قامت ثورة ١٩٥٢م، كانت تتنازعها مواقف متعددة إزاء قضية الطبقة العاملة، واختار الإخوان الانحياز إلى أكثر العناصر محافظة وعداء لحقوق العمال.

ولعله من الضروري الإشارة إلى أن الجماعة بينما كانت تتخذ من خلف الستار مواقف معادية للعمال، كانت وفي هذه الفترة بالذات - وكما رأينا من قبل - تتخذ موقف المزايدة على الجميع، مدعية الدفاع عن العمال.

ومرة أخرى يُهزم التوجه الإخواني إزاء العمال، فقد استطاعت استقالة **خالد محيي الدين** أن تستقطب إلى جانبه جمال

عبد الناصر الذي كان متغيباً عن الجلسة التي وقع فيها الصدام، وعقدت جلسة جديدة، وتم اتخاذ موقف جديد، وبدأ نفوذ سيد قطب يتقلص في مجال وزارة الشؤون الاجتماعية، وما لبث أن أبعد عن موقعه.

ولعل مواقف كهذه قد انعكست بالسلب أيضاً على علاقة الإخوان بالعمال، ويمكن القول أن هذه العلاقة ظلت - وحتى الآن - محدودة، فبرغم تصاعد المد الإسلامي وتزايد نفوذ الجماعات الإسلامية - ومنها الإخوان المسلمين - وسط فئات المجتمع المختلفة، وبرغم تزايد نفوذ الإخوان في عدد من النقابات المهنية - المهندسين، الأطباء - فإن المرشحين الإسلاميين قد فشلوا فشلاً ذريعاً في انتخابات النقابات العمالية الأخيرة، ولعل ذلك كله ليس منفصلاً عن مجمل مواقف الجماعة سواء الأيديولوجية منها أو العملية.

المبحث الثاني:
إخوان الشياطين ... النموذج الأسوء لتسيس الدين

مقدمة:

الإخوان والسياسة كانا على موعد في استغلال الشعوب، هكذا هم دوماً الإسلامويون، يتخذون من الدين شعاراً يُحاولون أن يَخدعوا به السُّذَّجَ مِن المسلمين، مستهدفين فقط تحقيق أهداف شخصية ومطامح ذاتية لا علاقة لها بما يُعلنون ولا علاقة لها بصحيح الدين. أسلوب استفزازي اتبعته الإخوان لتحقيق غاياتهم السياسية والعقائدية وحتى الاقتصادية، مُبتعدين عن روح التطلعات الشعبية لبسطاء الناس.

كما نُسلط الضوء على الأفكار الإجرامية للإخوان المسلمين، من خلال دراسة أسباب فشلهم الذريع والسريع في الحكم، وكذلك نقد نظرية الإسلام السياسي في منهجهم، ونسلط الضوء أيضا على الممارسات العملية للإرهاب والتكفير والغطاء السياسي للجماعات المتولدة من عباءة الإخوان، كأنصار بيت المقدس، وجماعة الهجرة والتكفير، وعلاقتهم

جميعاً بالقاعدة داعمة الإرهاب العالمي.

موظفون بدرجة إرهابي:

إنه من الخطأ إطلاق تسمية "جماعات إسلامية" على الإرهابيين الذين يرتدون عباءة الإسلام، وأنهم المتحدث الوحيد باسمه، فيقتلون هذا ويكفرون ذاك، فالإسلام بريء من هؤلاء لأنهم في الحقيقة يَدعون الانتساب إلى الإسلام وهم أبعد ما يكونون عن أخلاقه ومبادئه، والإرهاب عادة ما يبدأ فِكراً ثم يتم الخلط بين صحيح الدِّين الممثل بالقرآن والسنة وبين الاجتهادات التي هي آراء قابلة للصواب والخطأ، ثم مُحاولة فَرض هذه الآراء على أنه الدِّين ذاته، ويتميز أعضاء الجماعات الإرهابية بأنهم محترفون، أي أن كل واحد منهم موظف بدرجة إرهابي، يحاول فرض رأيه بالقوة تحت مفاهيم ومسميات مغلوطة، مثل "جماعة المسلمين" و"أهل الحل والعقد"، مع أنهم أبعد ما يَكونون عن جماعة المسلمين الحقيقية التي تَتميز بفهم سماحة دينها دون تعصب.

كما يجب أن لا ننسى بأن أهم مصادر الإرهاب أيضاً

"الانتقاء والتفسير"، أي محاولة تبرير تصرفات تخدم أهدافاً معينة، عن طريق استخدام آيات قرآنية أو أحاديث نبوية، لهذا قال الإمام علي ﷺ: "**القرآن لا ينطق بنفسه وهو مكتوب، ولكن ينطق به البشر، وهو حمال أوجه**"، والخطأ هنا يتم عندما يحاول البعض تأويل الآيات وتفسيرها وفق أهوائهم ومصالحهم، وتكفر كل ما يخالفها في ذلك، مع أن أئمة الفقه الإسلامي اجتهدوا واحترموا اجتهادات بعضهم ولم يكفر بعضهم بعضاً، بل أن من عظمة الإسلام أن ترك بعض الأمور ليطبق فيها المسلمون ما يرونه يصلح لحياتهم، مثل نظام الحكم وكيفية اختيار الحاكم.

المطلب الأول: الإخوان ومنظومة الفتاوى الدموية الشاذة

منذ أن عَلَت رايات الجماعات الإسلاموية في هذا العصر الحالك راحت ترد علينا أخبار "الفتاوى الشرعية !!" الذي يصدرها هذا الزعيم أو ذاك في حق البشر وأفعالهم والمجتمعات وأحوالها والمؤسسات ومدى إسلاميتها إلخ، وكل هذا دون أن يستفتيهم أحد في أي من الأمور العامة أو الخاصة التي طفق سدنة الجماعات الإسلاموية على إصدارها في محاولة لرفض رؤاهم وفهمهم الأحادي للإسلام على الآخرين بالقوة، وغالباً ما تكون الفتوى جواز مرور للفتك بالخصوم أو لإضفاء شرعية على ما يقوم به أعضاء الجماعات من غرائب الأفعال.

رُوي عن أحد زعماء الجماعات في مصر ويدعى "**شوقي الشيخ**" - **مؤسس تنظيم الجهاد الجديد** عام ١٩٨٨م، وهو تنظيم منشق عن تنظيم الجهاد الأصلي - أنه تَسَمَّى بأمير المؤمنين، وأصدر ثلاث فتاوى:

أعلن في الأولى أن جميع مَن في مصر يُعتبرون من المشركين بمن في ذلك علماء الأزهر.

وفي الثانية **كَفَّرَ كُلَّ مَن لا يُوافق على مُحتوى فتواه الأولى.**

أما في الثالثة فقد أفتى بأن كل إثم يَرتكبه المؤمنون في مَعرض حَربهم على المشركين يُعتبر عَملاً صالحاً.

وبالطبع واضح من السياق ما المقصود بالمؤمنين بعد أن اتسعت دائرة المشركين لتشمل كل من لم يتبع الأمير.

تفاقم هذا الضرب من الفتاوى في مصر في الثمانينات والتسعينات، وبرزت فيه أسماء لعل أشهرها "**عمر عبد الرحمن**" **مفتي الجهاد**، وإن كان بإمكان الأخير ادعاء المعرفة الفقهية بحكم تأصيله، فهذا لا يَجعل فتاواه صائبة تلقائياً، على أن العلامة البارزة هي أن السواد الأعظم من مفتي الجماعات ممن لا تتعدى درايتهم بأحكام الفقه دراية عامة للناس، ومع ذلك ما انفكوا يُوزعون الفتاوى يمنة ويسرة، فمنهم من حَرَّم السياحة، ومنهم من أفتى ببطلان جميع الزيجات.

أما فتاوى الردة والكفر فهذه توزع بسخاء بالغ، وكان من ثمارها اغتيال العديد من قادة الفكر والعمل العام، ولعل من أبرز القوائم في هذا السياق اغتيال الكاتب "فرج فوده" وما تعرض

ويتعرض له العديد من العلماء والدعاة أصحاب الفكر المعتدل.

والغريب في فتاوى أهل الجماعات أنها بقدر ما تقسو وتتشدد مع الآخرين - حكاماً ومحكومين - وتسارع في إخراجهم من ملة الإسلام توطئة للفتك بهم، تترخص لأعضائها ترخصاً مذهلاً، فهم قد أباحوا لأفراد جماعتهم التصرف في أموال الآخرين ودمائهم وأعراضهم باعتبارها غنيمة للمجاهدين، وحللوا لهم السرقة، بل أفتوا بإعادة تزويج المرأة - فيما بينهم - دون عِدَّة، إلى غير ذلك من العجائب.

فقد وجهت الجماعة الإسلامية المسلحة بياناً لمصلحة الضرائب تحذرها فيه من جباية أي ضرائب من المواطنين، لأن الإسلام لا يَعترف بأي ضريبة عدا الزكاة، وكأنهم اطلعوا على سنن الخلفاء الراشدين، والنظم الضرائبية لما تَبعهم من خلافات، وكتاب "الخراج" لأبي يوسف.

ووجهت الجماعة نفسها إنذاراً للقصابين تُطالبهم فيه ببيع اللحوم للجمهور بربع قيمتها الراهنة، لأن الأسعار الحالية ليست من الإسلام في شيء، والويل لم لا يستجيب لهذه الفتوى.

ولعل أكثر الفتاوى بَشَاعة تلك الصادرة بحق الكاتب الجزائري المرموق "رشيد بوجدرة" حيث أفتوا بأن من قتله يتعشى مع الرسول ﷺ، ولا ندري بَعدُ مِن أين تَحصل صاحب الفتوى المعنية على بطاقات العشاء هذه.

والفتوى لغة: هي أخبارٌ بالحكم الشرعي، والحكم الشرعي المعني قد يتعلق بالشعائر التعبدية، أوفقه الأحوال الشخصية، أوفقه المعاملات.

وحين كان الفقه أَصلياً ونتاج لعقل المجتهدين أو حتى المقلدين، كان الناس يَتوجهون لمن يتوسمون فيه المعرفة لإعانتهم على فَهم ما غَمِضَ عليهم من فرائض وشعائر، أوحَلِّ ما أشكل عليهم من معاملاتهم الشخصية والاجتماعية. وقد كان فقهاء العصر الإسلامي الأول يتمهلون في إصدار الأحكام والفتاوى قبل إمعان النظر في مختلف جوانبها، وإعمال الفكر والاجتهاد في مكان حُكمها وأدلته، واشتهر بينهم التحرج عن إبداء الرأي في وجود مَن هو أعلم، كما تلخص ذلك العبارة الذائعة الصيت "لا يُفتَى ومالك في المدينة".

ومع كل ذلك لم تَكن الفتوى في يوم من الأيام مُلزمة واجبة التنفيذ كالحكم القضائي، فالفتوى هي مشورة خَبير لا يَملك إلا سُلطة إبداء الرأي، لا على سبيل الإلزام ولكن على سبيل النصح لمن طلبه.

هكذا كان الأمر في عهود الإسلام المتقدمة التي شهدت نمو وازدهار الفقه بمختلف مدارسه، وتطور النظم التفصيلية للشعائر التعبدية، وفق الأحوال الشخصية والمعاملات، كما ظل كذلك في عصور التقليد اللاحقة، إذ ظَلَّ الناس يَتوجهون للفقهاء وأهل العلم مُستفتين مُستنصحين فيما أشكل عليهم مِن أمور دينية ودنيوية، حتى استقرت نظم الإفتاء تقليداً وممارسة وضوابط.

وحين ولجت المجتمعات الإسلامية مرحلة الحداثة الراهنة، طرأت عليها مُتغيرات مُهمة لعل من أبرزها فيما يتصل بموضوعنا هذا انتشار التعليم والكتابة والطباعة ووسائل الاتصال الجماهيرية، وقد أدت هذه – ضمن ما أدت – إلى إقامة الفرصة لعدد مُتزايد من الناس للاطلاع على تفاصيل الشعائر الدينية

والمسائل الفقهية، وتزامن هذا مع استقرار فِقه الشعائر التعبدية واكتمال أساسياته، بفضل اتساع النشر والكتابة. .. إلخ.

من كل ما تقدم تتضح قضيتان:

الأولى: ضرورة ارتباط الفتاوى بالاجتهاد والتبحر في علوم الدين، والمقدرة على استخراج الأحكام ومعرفة ضوابطها.

والثانية: تقلص دائرة الفتاوى في عصرنا الراهن، لما تقدم من انتشار التعليم ووسائل الاتصال وانتشار الكتب، وبالتالي اتساع دائرة المعرفة.

كل هذا أدى إلى تضييق دائرة المفتي وانحصارها في جزئيات المسائل الفقهية.

ولما كان مُعظم فُقهاء اليوم مُقلدين، كان بإمكان كل من له إلمام بالقراءة والكتابة البحث عن حل لمشكلته في بطون الكتب.

المشكل الأساسي في هذا الوضع هو أن المجتمعات الإسلامية الراهنة وجدت نفسها تواجه عالماً جديداً متجدداً بفقه أُنتج في عصور لَبَّت حاجة تلك العصور وبأدوات معرفتها.

وقد أدرك زعماء وقادة الحركات الإسلاموية المعاصرة هذه

المفارقة باكراً، وجعلوها ركيزة شريعتهم ومحور نشاطهم ودعوتهم التي تمحورت حول تجديد الدين وفق مُتطلبات العصر، بل أضافوا أن الفقه القديم على إنجازاته كان يُعاني من نقطة عمياء في ميدان السياسة لاهتزاز شرعية الحكام ووقوع العلماء فريسة التبرير والبراغماتية، كما طعنوا في مؤسسة الإفتاء الراهنة التي أصبحت ترتبط بحكام اليوم وأحد أركان دولتهم، تحلل ما يشاؤون وتحرم ما يكرهون.

هذه الادعاءات في مجملها صحيحة، ولكن التحدي لمن نذر نفسه للإصلاح ليس فقط في تبيان المعضلة وتشخيص الداء، وإنما في تقديم البديل، وبالتالي كان واجب الجماعات المعنية العمل على تقديم فقه بديل يُلبي حاجة اليوم وفق اجتهاد مسؤول وتشاور واسع، واستعداد لمواجهة المعارضين بالحجة والمنطق دون ادعاء بأن ثمار اجتهادهم هو الحقيقة المطلقة والنهائية.

دون كل هذا طريق طويل وشائك ليس عدته الشعارات وديماغوجية السياسة، وإنما كدح العلماء وصبرهم وتقواهم.

وحتى الآن لم يظهر مِن بين صفوف الجماعات من يَتصدى

لهذا الدور بِتَحَرٍّ وأمانة، ولعل أسباب هذا القصور كامنة في طبيعة هذه الجماعات نفسها.

فالجماعات الإسلاموية - على اختلاف مشاربها - لا تَعدو إحدى فرقتين:

الأولى: غرقت حتى آذانها في مستنقع السياسة، وأصبح الفقه عندها - في المحصلة النهائية - تسويقاً لنهجها السياسي وليس العكس، وأصبحت "الضرورة" لديهم هي ضرورة العمل السياسي، و"المصلحة" مصلحة التنظيم، وربما قادته فقط، و"الاستحسان" هو ما يستحسنه هؤلاء حسب هو اهم، وليس جلباً لمنفعة عامة ودرءاً لمفسدة، و"الاستصحاب" هو ما استصحبه هؤلاء من منظومات الغرب المرفوض ومؤسساته ومعداته لزيادة فعالية التنظيم وتوسيع قادته، وقس على ذلك.

الثانية: الجناح الإرهابي التكفيري، فقد اختارت طريقاً مختصراً يقضي بتكفير المجتمع كافة - حكاماً ومحكومين ورجال دين - ومِن ثَمَّ إعلان حرب شعواء عليه، والويل لمن تُسَوِّل له نفسه الوقوف في طريق هذه الفرقة ناقداً أو متسائلاً

أو متشككاً، و"الفتوى" عند هؤلاء تعني في المقام الأول انتزاع صفة العلم والمعارف الفقهية مِن مراكزها الأصلية، وحصرها في دائرة الجماعة الضيقة، وهي في المقام الثاني إضفاء شرعية على أفعالهم مهما كانت شاذة أو غريبة أو حتى لو كانت إثماً ظاهراً، مثل السرقة والقتل.

ولأنهم اختاروا العنف وسيلة تعبيرهم الأساسية فقد أصبحت الفتاوى عندهم تشريعاً للإرهاب، ولأنهم لا يمتلكون أي أهلية للاجتهاد ولا شرعية قبول من بقية المسلمين، أصبح الإرهاب وأعمال القتل والخطف والترويع والتهديد. ..إلخ، شعارهم المعاصر لتحقيق غاياتهم.

المطلب الثاني: الإخوان ـ ضد الوحدة الوطنية في البلاد

تحاول الجماعة أن تنسى أن مجمل تاريخها يدينها، وأن مجمل تصرفاتها تدينها، وكل ما هناك أن الجماعة اعتادت دوماً على ممارسة الجريمة والتنصل منها في آن واحد، اعتادت أن تقتل القتيل وتمشي في جنازته.

وللإخوان تاريخ حافل ضد الوحدة الوطنية، ففي شهر أيار ١٩٤٧م، أقامت جماعة الإخوان المسلمين حفلاً اختارت له مكاناً ملائماً لأهدافها في إثارة الفتنة، أمام كنيسة "مارجرجس"، وكان خطيب الإخوان يَصيح بأعلى صوته، وكأنما يريد أن يُسمع الموجودين في الكنيسة "**غداً تؤول شركة المياه إلينا فلا نترك فيها قبطياً واحداً، وغداً يُسيطر المسلمون على جميع الشركات فلا يبقى فيها قبطي واحد**".

كيف لا وسيد التطرف ومفكره "سيد قطب" الذي لم تزل جماعة الإخوان تعتبره شهيدها ومفكرها، فإنه يحذر من دور المسيحيين في العملية التعليمية، فالإسلام عند "سيد قطب" لا يتسامح في أن يتلقى المسلم منهج تاريخه، وتفسير نشاطه،

ولا مذهب مجتمعه، ولا نظام حكمه، ولا منهج سياسته من مصادر غير إسلامية، ولا أن يتلقى عن غير مسلم يثق في دينه وتقواه في شيء من هذا كله.

ويرفض وأتباعه سيد قطب فكرة الوطن القائمة على أساس الأرض والحدود، فهو يقول في كتابه معالم في الطريق: (فعقيدة المؤمن هي وطنه، وهي قومه، وهي أهله، ومِن ثم يتجمع البشر عليها وحدها، لا على أمثال ما تتجمع عليه البهائم مِن كلأ ومرعى أرض الوطن، وقطيع شعبه، وسياج حدوده)[1].

وهكذا نمسك بخيوط الموقف من بداياتها الأولى، فالإخوان لم يأتوا بجديد، فموقف الجماعة كان دائماً ضد الوحدة الوطنية وضد أقباط مصر، لكن الجماعة اعتادت أن تخفي وجهها القبيح، وأن تحاول أن تقدم نفسها على غير حقيقتها، وإن كانت لا تكف عن أن تتسلل ببعض المواقف، تصرح بها أو تثبتها على الورق، فإن مرت دون أن تثير ضجة كان

(١) معالم في الطريق، سيد قطب، وسيأتي الحديث عن تفاصيل رؤية الإخوان حول الوطن في فصل مستقل من هذا الكتاب .

بها، وبقيت ضمن التراث الفكري وضمن مواقف الجماعة، وإن أثارت ضجة أو ضجيجاً تراجعت عنها واعتصمت بالتقية التقليدية.

ولم تكن تصريحات قادة الإخوان زلة لسان، ولا كانت سهو اً، ولا حتى عملاً عفوياً، بل كانت جريمة مبيتة، أي كما يقول القانونيون: "مع سبق الإصرار والترصد"، ففي الوقت الذي حَوَّلَ فيه الإرهابيون المتأسلمون سهامهم المجرمة ضد المسيحيين في بعض قرى الصعيد، وفي الوقت الذي يحاولون أن يجبروهم على دفع الجزية ليستخدموها لتمويل نشاطهم الإرهابي وشراء الأسلحة والمتفجرات، في هذا الوقت تحديداً يأتي زعماء الإخوان ليقدم للإرهابيين الفتوى والمبرر كي يواصلوا إرهابهم الإجرامي ضد الإخوة المسيحيين، هذا هو الهدف الحقيقي وهذه هي الجريمة، وهذا ما يؤكد لنا أن هذه الجماعة كانت على الدوام ضد الوطن وضد الوحدة الوطنية.

المطلب الثالث: الإخوان المسلمون - طلاق الديمقراطية

تعيش جماعة الإخوان المسلمين اليوم أسوء أيامها، بعد أن أصبحت مكشوفة لكل أحد، وهي مع ذلك تدعي أنها مع الديمقراطية، ومع التعددية الحزبية، وأنها تريد لنفسها مكاناً في ساحة "الديمقراطية". فهل هذا صحيح؟ أم أنها مناورة من تلك التي اعتادت عليها جماعة الإخوان، إذ تتلون حسب ما تقتضيه مصلحتها.

إن تاريخهم الأسود، ووثائقهم التي يعترفون بها تؤكد أنهم كانوا دَوماً ضد الديمقراطية، ضد التعددية الحزبية، ضد الدستور، ضد قبول الآخر.

ولنقرأ: (في الثامن عشر من ربيع الأول ١٣٧٥هـ، تقدم وفد من الإخوان المسلمين بخطاب إلى الملك، يَلتمس العمل على إدماج الأحزاب المصرية في هيئة واحدة ذات برنامج إصلاحي إنشائي، يرتكز على قواعد الإسلام وتعاليمه، وحسبنا ما لقينا من بلاء الحزبية وعناء الانقسام السياسي)[1].

---

(١) صحيفة "النذير" ٣٠ ربيع الأول ١٣٥٧هـ.

ولكن الجماعة لا تَكتفي بهذه الرسالة بل تُشفعها بتهديد تقول فيه:

(إن الإخوان سيجدون أنفسهم مضطرين - إن لم تفد النصيحة وحدها ولم يفد الأدب والهدوء - إلى أن يسلكوا كل سبيل إلى غايتهم، وأن يُناضلوا في سبيل فكرتهم بكل سلاح).

ثم يوجه حسن البنا خطاباً إلى الملك يُحرضه فيه ضد الأحزاب قائلاً: (إن الحزبية السياسية التي تفشت بين الناس فَرَّقت الكلمة، ومزقت الوحدة وأفسدت الأعمال وعطلت كل النواحي).

ثم يقول: (إن الضرورات التي أوجدت التعددية الحزبية قد انتهت ولم يبق منها شيء، فلا مَعنى لبقاء هذه الأحزاب).

بل يَدعو الملك إلى الاقتداء بالنازية الهتلرية قائلاً:

(إن الأمم الغربية التي ليس فيها كتاب قيم ككتابنا، وليست له شرعية مطهرة كشريعتنا، أدركت بحكم مَصلحتها القوية ضَرر الخصومة، فقضت عليه من أساسها واستأصلتها من ديارها).

ثم يُؤكد في ختام رسالته: (إن الإسلام يُحرم هذه العصبية

الحزبية)[1]، وعندما وقع خلاف بين الوفد والملك رددت دوائر القصر الملكي شائعة تقول: إن الملك يُفكر في إلغاء الدستور وحل الأحزاب، ويسرع "حسن البنا" ليؤيد ذلك فينشر مقالاً في صحيفة "النذير" السياسية، فهذا ما نادى به الإخوان المسلمون من زمن غير قصير، وقد سجلته مؤتمراتهم ومذكراتهم التي رفعوها إلى جلالة الملك الصالح. فإذا فكرت الجهات العلية في حل الأحزاب السياسية جميعاً، فإن هذا التفكير صحيح ومنطق سليم، وتحقيق لرغبات الأمة.

الإخوان والتعددية السياسية والحزبية:

لقد كتب حسن البنا في "النذير" قائلاً: (إن الحائل دون النهضة، والمانع من تقدم الأمة، والمعول الذي يَهدم كل خير فيها ويحطم كل عنصر سليم، شيء واحد فقط هو الحزبية البغيضة)[2].

والمشكلة عند حسن البنا أنه كان يعتقد – أو هكذا كان

---

(١) صحيفة "النذير" ٧ ربيع ثاني ١٣٥٧هـ.

(٢) نقلاً عن السيد يوسف ، "الإخوان المسلمون": ص٥-٢٧.

يقول - أن الدستور والتعددية الحزبية والديمقراطية هي مجرد بلاء ورد إلينا من الغرب، فقد أكد أكثر من مرة على ضرورة أن نتخلص من هذا البلاء الداهم الذي وقعنا فيه من جراء تقليد الغرب من غير تبصر ولا تقدير لعواقب الأمور[1].

ثم هو يكتب في "نظام الأسرة ورسالة التعاليم": (لا ندري ما الذي يفرض على هذا الشعب الطيب المجاهد المناضل هذه الشيع والطوائف من الناس التي تُسمي نفسها الأحزاب السياسية، إن الأمر جد خطير، ولم يعد يحتمل أنصاف الحلول، ولا مناص بعد الآن مِن أن تحل هذه الأحزاب جميعاً).

ولعل النموذج الأمثل الذي استند إليه الإخوان دفاعاً عن فكرة حل الأحزاب وإلغاء التعددية الحزبية هو النموذج الفاشي، والغريب أنهم لم يخفوا ذلك، بل قالوه صراحة، فإذ تهاجم جريدة "المصري" موقف الإخوان من الأحزاب، ويرد عليها واحد من قادة الجماعة "حلمي نور الدين" قائلاً:

(ألا تتذكرون ألمانيا وقد أُحيط بها وضيق عليها الخناق

---

(١) "الإخوان المسلمون": ص ٢٨ .

ومزقت شر ممزق؟

ألا تتذكرون إيطاليا وقد كانت مفككة تهددها الشيوعية؟

حدثوني بربكم من فك عن ألمانيا الأغلال؟

ومَن أنقذها من هاوية الاضمحلال؟

واذكروا لي بربكم مَن أنقذ إيطاليا مِن خطر كان مُحيطاً بها؟

هل كان ذلك مِن تَعدد الأحزاب، وكثرة البرامج وتنوع الأغراض؟

أم أن ذلك كان لوجود حزب واحد في كل دولة منها؟)[1].

ولم يكن ذلك كله في الزمن القديم، بل امتد هذا الموقف المعادي للحزبية حتى السنوات الأخيرة، فالمرشد العام "عمر التلمساني – المرشد العام الثالث للجماعة" يقول:

(مؤكد أن الأحزاب ما هي إلا لعبة استعمارية، كما أن الدستور فِكرة استعمارية).

ويقول: (استقر رأيي أخيراً على أن فِكرة قيام دستور وإنشاء أحزاب أصلاً كانت فكرة استعمارية قُصد منها الوقيعة بين أبناء

(١) صحيفة "النذير" ١١ ذي القعدة ١٣٧٥هـ .

الوطن الواحد)[1].

والتلمساني يكتب ذلك في نهاية السبعينيات، وبعد كل ما جره نظام الحزب الواحد وعدم الإعمال الصحيح للدستور من بلايا ومصائب، فهو ما يكاد يخرج من "المحنة" - هكذا كانوا يسمون فترة عبد الناصر - هو وإخوانه، ويفرج عنهم السادات، ويعطيهم ما لم يكن أحد يتوقعه من حرية الفعل والحركة والوجود، ما أن استرد التلمساني أنفاسه حتى يُهاجم التعددية الحزبية من جديد، ويهاجم الدستور من جديد، بل ويعتبرهما مؤامرة استعمارية.

أما "مصطفى مشهور - المرشد الخامس للجماعة"، فقد كشف الأوراق جميعاً، فطالما هم خارج الحكم لا بأس بالتعددية الحزبية من أجل العودة إلى الحياة السياسية بأي وسيلة- أليس المجتمع كافر، أو كما يقولون هم تعلوه رايات الكفر، فلا بأس من أن تعلوه أساليب كافرة - أما عندما يصل الإخوان إلى الحكم فلا مجال للتعددية الحزبية.

---

(١) "عمر التلمساني - شاهد على العصر" ، إبراهيم قاعود ، ص٢٦ .

وهكذا فقد عاشت الجماعة واستمرت متمسكة بالمراوغة والتلوُّن والكذب، ومن شبَّ على شيء شاب عليه.

الإخوان والسياسة - نظرية التناقض والإلغاء:

أكد الإخوان دوماً ضرورة الاشتغال بالسياسة، أكدوا ذلك نثراً وشعراً:

الدين شيءٌ والسياسة غيره دعوى نحاربها بغير سلاح

بل إن حسن البنا يتورط معلناً:

(أتحسب أن المسلم الذي يَرضى بحياتنا اليوم ويتفرغ للعبادة، ويترك الدنيا والسياسة للعجزة والآثمين، يَسمى مسلم؟ كلا إنه ليس بمسلم)[1].

لكن حسن البنا يريد أن يحتكر السياسة لحزبه وحده، فهو يعتبر نفسه حزب الله المختار، والآخرين جميعاً حزب الشيطان، ويُعلم أتباعه فيقول: (ستخاصمون هؤلاء جميعاً في الحكم وخارجه خصومة شديدة لديدة إلى أن يستجيبوا لكم)[2].

---

(١) الإخوان المسلمون، ٤/ ٣/ ١٩٤٥.

(٢) صحيفة "النذير"، مايو ١٩٣٨م .

وهو يرفض التعددية الحزبية، (فالوحدة جزء أساسي في حياة المجتمع الإسلامي، لا يتساهل فيها بحال، والإسلام يعتبر الخلاف فرقة، والفرقة قرينة الكفر، ومِن ثَمَّ فيجب أن تُحَلَّ هذه الأحزاب جميعاً، وتجمع قوى الأمة في حزب واحد)[١].

وهو يعتبر أن حزبه وحده حزب الحق، لكنه يردف فيقول: (القوة أضمن طريق لإحقاق الحق ، وما أجمل أن تسير القوة والحق جنباً إلى جنب)[٢].

إذاً، نحن الآن أمام دعوة غريبة، أبرز دعائمها ما يلي:

- تسييس الدين أو تدين السياسة.
- من لم يعمل بالسياسة ليس بمسلم.
- مخاصمة الآخرين جميعاً.
- رفض الاختلاف في الرأي، فالخلاف فرقة، والفرقة قرين الكفر.
- الحق يجب أن يَقترن بالقوة لتستخدم ضد خصوم دعوته.

---

(١) كتاب "مشكلاتنا في ضوء النظام الإسلامي"، حسن زيادة، ص٣٧٣ .

(٢) كتاب "إلى أي شيء ندعو الناس"، حسن البنا .

هو إذاً يـرفض التعدديـة الحزبيـة، بـل هـو يعتبـر أن رفـض التعددية هو المبدأ والأساس، وهو مستعد لقبول النظام البرلماني شريطة ألا يكـون معترفـاً بالتعدديـة، فيقـول: (بـزوال الحزبيـة لا يُصبح النظام النيابي بَعيداً عن النظام الإسلامي ولا غريباً عنه)[1]، لكن رفض التعددية ليس الشرط الوحيد، بل هنـاك شـرط طبقـي حاسـم، فـلا مـانع مـن انتخـاب أهـل الشـورى بشـرط (أن أهـل الشورى يكونون إما من رجال الدين، أومـن الرجـال المتمرسـين علـى القيـادة، مثـل رؤسـاء العـائلات والقبائـل، ولا تَكـون الانتخابات مقبولة إلا إذا أسـفرت عـن اختيـار أُنـاس مِـن هـذين الصنفين)[2]، وهو إذاً يختزل السياسة في حزبه، ثـم يختزلهـا فـي طبقة، ثم بعد ذلك يختزلها في نفسه وحده، (فالشورى غير مُلزمة لفضيلة المرشد)[3]، بل إن حسن البنـا يُؤكـد أن طاعتـه شخصـياً (من طاعة الرسول، وطاعـة الرسـول مـن طاعـة الله، ومـن أطـاع

(١) كتاب "مشكلاتنا في ضوء النظام الإسلامي"، حسن زيادة ، ص٣٦٥ .

(٢) المرجع السابق: ص ٦٠ .

(٣) صالح عشماوي ، الدعوة ، ١٢/ ١٢/ ١٩٥٢م.

الله أفلح)[1].

وكان المرشد يتشبه بالرسول ﷺ، إذ يَستند إلى الآية الكريمة مُحتجاً بها في مواجهة خصومه أو الرافضين لسلطته، ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴾[النساء: ٦٥]، بل هو يُؤكد بلا تردد: (إن القائد جزء من الدعوة، ولا دعوة بدون قائد، وإن قوة الجماعة في الثقة بالقائد، وللقيادة في دعوة الإخوان حق الوالد بالرابطة القبلية، والأستاذ بالإفادة العلمية).

نحن إذاً أمام دعوة أو ادعاء يَستهدف تسييس الدين أو تديين السياسة، ثم يَختزل السلطة كلها في يد فرد واحد، ثم يكون ما هو أخطر عندما تُؤكد الجماعة في صراحةٍ غَريبة بل ومُريبة (أن أي اضطهاد للإخوان هو اضطهاد للدين)[2].

وإذا كانت الجماعة والدعوة كلها تُختزل في إرادة فرد واحد، فمن الطبيعي أن يَعتبر هذا الفرد أن الوقوف ضده أو ضد

---

(١) الإخوان المسلمون ، مجموعة ١٩٣٦م .

(٢) صلاح عشماوي، الدعوة، ٢٤/ ٤/ ١٩٥١م.

آرائه ومواقفه هو وقوف ضد الدين، فأي فَرق بين هذا التفكير وهذه المواقف، وبين ما يُعلنه أمراء الإرهابيين؟ بل وبين ما يمارسونه، إذ يلعبون هم أيضاً لعبة تسييس الدين؟

بل أي فرق بين هذا وبين ما يقوله المتأسلمون في الجماعات الإسلامية، إذ يَفرضون حكمهم الإرهابي الديكتاتوري؟ لا فرق، ومن وجد فرق فَليُفِدنا به وإنا لمنتظرون.

الإخوان - الفشل السريع والمتوقع – تجربة حكم الإخوان في مصر

لقد أُتيحت للإخوان فرصة ذهبية لتبيض صحيفتهم، ولتقديم وعودهم الخلبية على أرض الواقع، وذلك بعد نجاحهم في الانتخابات المصرية سنة ٢٠١٢م، ووصول مرشحهم محمد مرسي لرئاسة الجمهورية، ولكن الفشل كان حليفهم كما هو متوقع.

هذا الفشل جاء أسرع مما كان في الحسبان، في مُختلف مَناحي الحياة، فشل منقطع النظير، دستور مختلف عليه، رئيس يُناصب المعارضة العداء، مُظاهرات واعتصامات وإضرابات، لم

يَشأ النظام أن يَتعامل معها إلا من خلال الاعتقالات. هذا على المستوى السياسي، فإذا نظرت إلى الاقتصاد، هَالَكَ ما ترى، نقص في الوقود يَشُلُّ كل عجلات الإنتاج، تَضخم متزايد يَلتَهم دخل الغالبية العظمى من المواطنين، وأخيراً الاستدانة، التي يَبدو أن النظام قد قرر اعتبارها خياراً استراتيجياً.

هل - لما سبق - فشل الإخوان؟ وهل كان فشلهم حتمياً؟ لا شك أن الإخوان قد تولوا الحكم والبلاد تمر بفترة عصيبة، وأن هُناك تحديات غير مسبوقة، كان لا بد أن تُؤثر على أداء النظام أيا ما كان توجهه أو رموزه، ولكن مِن الواضح للعيان أنَّ تَعَامُل النظام الحاكم مع تلك التحديات كان مذهلاً بكل المقاييس، فَبِدَايَة لم يضع النظام نُصب عينيه أنه قد أتى إلى السلطة بنسبة حرجة "٥١ ٪"، وبعد تفاهمات، وبشروط ووعود يرتهن بقاءه بتنفيذها، ومِن ثَمَّ فإنه بمجرد تنحيته جانباً لتلك الوعود الواردة - باتفاق فيرمونت - خسر قطاعاً لا يُستهان به من المواطنين، وهو القطاع الأكثر سِلمية أو براجماتية داخل معسكر الثورة، والذي كان يُمكنه أن يستند إليه في أكثر الأوقات صعوبة،

فيضمن له قدراً مِن الاستقرار يُعينه على مواجهة التحديات على الأقل الاقتصادية.

لم يَهتم النظام كذلك بطمأنة نصف الناخبين الذين لم يُعطوه أصواتهم "٤٩٪" من المصوتين، ولم يتعامل مع الأسباب الواضحة التي دفعتهم للتصويت ضد مرشح الإخوان، بل على العكس جاءت كل ممارسات النظام لِتدفع نحو تنفير هذا القطاع العريض واستثارته.

فقد النظام أيضاً – خلال مسيرته التي لم تتجاوز عدة أشهر – قطاعاً يُعتَدُّ به من المواطنين الذين صوتوا له بالفعل أو رَحَّبُوا بقدومه، نتيجة استعانته بكوادر الحزب الوطني المنحل تارة، وهو ما عكس – فضلاً عن نقص الخبرات والكوادر الإخوانية – براجماتية مفرطة، أودت بآمال كل من اعتبره ممثل الثورة، أو بديلاً حقيقياً للنظام السابق، ومحاولات الأخونة، وتقديم أهل الثقة على أهل الخبرة تارة أخرى، الأمر الذي تجلى في التعديلات الوزارية الأخيرة والكثيرة.

أضف لما سبق أن النظام الإخواني ليس له أيديولوجية

أو انحياز اجتماعي للفقراء أو للعدالة الاجتماعية، أو حتى لمكافحة الفساد، ومِن ثَمَّ فَهو لا يستند إلى مشروع له مؤيدوه الذين يُوفرون له الدعم لِيظل مُحتفظاً برضا الجماهير، وتتضح أهمية ذلك عند مقارنته بالنظام الناصري الذي جاء أيضاً بعد ثورة، وواجه تحديات مشابهة.

وأخيراً فإن فشل النظام الإخواني يُعزَى إلى حدٍّ كَبير إلى مُخاصمته لما يُعرف "بالحكم الرشيد" الذي يَستند إلى ثلاثة مقومات أساسية: الشفافية، والمحاسبة، وحكم القانون، وجميعنا يَعلم أين يَقفُ الإخوان من تلك المقومات الثلاثة.

ما حدث في مصر ليس حُكماً باسم الإسلام بل إرهاباً:

ما حدث في مِصر بعد اعتلاء الإخوان سُدة الحكم يُعيدنا إلى البداية، حين أطلقوا الشعار الشهير "الإسلام هو الحل"، يُريدون به مداعبة عواطف العامة والبسطاء، واستغلال احترام الناس للدين والمتدينين، ولكن ماذا حصل؟

"الإسلام هو الحل" شعار انطلقوا به مِن أجل النفاق السياسي أولاً، والاقتصادي ثانياً، حيث: أقاموا شركات إسلامية لتوظيف

الأموال ، نَهبوا مُدخرات الفقراء وسرقوا أموال اليتامى، وضحكوا على الناس في أكبر عملية نَصب شَهدها القرن العشرين، عِندما جمعوا الملايين باسم الإسلام، وعاثوا في الأرض فساداً، ولم يَتركوا جَريمة إلا ارتكبوها، ولا موبقاً إلا كانوا سَبَّاقِين إليه، واستعانوا بكل أنواع الفساد، من رِشوة ومُخدر وجِنس، وزَيَّنُوا جرائمهم بفتاوى من علماء كنا نعتقد أنهم لا يرتشون ولا يبدلون القول، وكذلك مناطق كاملة - قرى وأحياء - استولوا عليها، وأقاموا فيها النموذج الذي يُريدونه الطَبَّالون والسباكون، كانوا الأمراء والمحافظين والوزراء، جَلدوا الناس في الشوارع، وفرضوا الإتاوات، وسرقوا المحلات، ونهبوا الأموال، تزوجوا بلا أوراق، وارتكبوا الرذائل ما ظهر منها وما بطن.

فهل يُعقل أن يَحكم مِصر مجموعة من الطبالين والسمكرية تحت شعار الجهل المدفوع والمركب؟ يَرتكبون أفظع الجرائم وهم بذلك يُمهدون الطريق أمام الذين يُعلنون استنكارهم للقتل على استحياء، ويُدلُون بالأحاديث إلى الصحف، ويَحتلون المواقع في النقابات وفي غيرها.

لقد عَوَّدَنَا الإخوان دائماً أن تكون لهم تنظيمات سرية يُنكرونها ثم يُعلنون عنها بعد سنوات، إنه توزيعٌ مَرسومٌ للأدوار، فِئة تكسب على السطح بالاعتدال، وفئة تكسب تحت الأرض بالسلام.

وهكذا فالمتطرفون والأصوليون هم وحدهم فقهاء الإسلام ودارسوه والعالمون به، وما عداهم زنديق كافر جاهل بأصل الدين.

المبحث الثالث: الإخوان والعنف

المطلب الأول: (مصر نموذجاً)

العنف هو النتيجة المفترضة للخلط المتعمد بين الدين والفكر الديني، وبذرته الخبيثة موجودة منذ البدايات الأولى للجماعة.

فعندما أصدرت جماعة الإخوان مجلتها "النذير"، تعجل عبد الرحمن الساعاتي "والد المرشد العام حسن البنا" في أن يَجعلها نذيراً للجميع، فكتب في عددها الأول مقالاً عنوانه: "استعدوا يا جُنود"، يقول فيه: "**استعدوا يا جنود، وليأخذ كل منكم أُهبته، ويُعد سلاحه، ولا يلتفت منكم أحد، امضوا إلى حيث تؤمرون**".

ثم يقول: "خُذوا هذه الأمة في رفق، فما أحوجها إلى العناية والتدليل، وصفوا لها الدواء، فكم على ضفاف النيل من قلب يُعاني وجسم عَليل، اعكفوا على إعداده في صيدليتكم، ولتقم على إعطائه فرقة الإنقاذ منكم، فإذا الأمة أبت فأوثقوا يديها بالقيود، وأثقلوا ظهرها بالحديد، وجرعوها الدواء بالقوة، وإن

وجدتم في جسمها عَضواً خبيثاً فاقطعوه، أوسرطاناً خطيراً فأزيلوه. استعدوا يا جنود، فكثير من أبناء هذا الشعب في آذانهم وقر، وفي عيونهم عمى"[1].

والعنف هنا مقصود لذاته بل هو السبيل الوحيد، فحسن البنا يقول: "وما كانت القوة إلا كالدواء المُر الذي تحمل عليه الإنسانية العابثة المتهالكة حملاً ليرد جماحها ويكسر جبروتها وطغيانها، هكذا كانت نظرية السيف في الإسلام. لم يكن السيف في يد المسلم إلا كالمشرط في يد الجراح لحسم الداء الاجتماعي"[2].

بل إنهم يعتبرون - وحتى أكثرهم اعتدالاً - أن القتل سلاح في العمل السياسي يمكن لآحاد الناس أن يوقعه متى اعتقد أنه يقيم الحد.

وما من مجال لسرد كل الدعاوى الإخوانية التي تقرر أن العنف والإرهاب هو أساس الدعوة وجوهرها، فلقد يحتاج الأمر

---

(١) "الإخوان المسلمون كبرى الحركات الإسلامية - شبهات وردود" - د. توفيق الواعي - الشبكة الدعوية .

(٢) "مجموع رسائل حسن البنا" - الشبكة الدعوية - ص ٨٩ .

إلى مجلدات. فقط أدعو القارئ إلى قراءة الكتب الآتية التي أصدرها قادة بارزون من الجماعة، بل لعلهم كانوا أبرز القادة الفعليين، فهم قادة الجهاز السري الذي كرس الإرهاب المتأسلم في مصر.

* **أحمد عادل كمال** "النقط فوق الحروف" ويقول فيه: **(جماعة دون عنف يحميها. . تهريج !)**.

* **صلاح شادي** "حصاد العمر" ويورد مئات الوقائع عن ارتكاب أعمال إرهابية.

* **عبد المنعم عبد الرؤوف** " أرغمت فاروق على التنازل عن العرش" وفيه يؤكد أن الإخوان هم الذين حاولوا اغتيال عبد الناصر في حادث المنشية، ويورد تفاصيل الترتيبات.

* **محمود عبد الحليم** "الإخوان المسلمون - أحداث صنعت التاريخ" وفيه يؤكد أن رئيس الجهاز السري للإخوان **عبد الرحمن السندي** هو الذي دبر قتل نائبه **سيد فايز**، ويقول: "وقد ثبت ثبوتاً قاطعاً أن هذه الجريمة الأثيمة كانت بتدبير السندي".

وإذ يطالع القارئ هذه الكتب أو حتى واحداً منها سيجد

فيضاً من المعلومات والأدلة والاعترافات والاتهامات المتبادلة التي تكفي وتزيد لإقناعه بأن جماعة الإخوان كانت المصدر الأساسي للإرهاب المتأسلم في العصر الحديث.

ولكن لنتوقف أمام كاتب إخواني من قادة الجهاز السري، نتوقف أمامه لأنه الأصرح والأوضح، وربما الأفدح، إنه **محمود الصباغ**، ونقرأ: يبدأ عضوا لجهاز الخاص بالبيعة يدخل إلى حجرة مطفأة الأنوار، ويجلس على بساط في مواجهة أخ في الإسلام مغطى جسده تماماً من قمة رأسه إلى أخمص قدمه برداء أبيض، ثم يخرج من جانبه مسدساً ويطلب من المبايع أن يتحسسه، وأن يتحسس المصحف الشريف، ثم يقول له: فإن خنت العهد أو أفشيت السر، فسوف يؤدي ذلك إلى إخلاء سبيل الجماعة منك، ويكون مأواك جهنم وبئس المصير".

ما معنى "إخلاء سبيل الجماعة منك ؟"

تأتي الإجابة في صفحة أخرى عندما يورد الصباغ نصوص لائحة الجهاز الخاص – الجهاز السري لجماعة الإخوان – م ١٣: "**إن أية خيانة أو إفشاء سر بحسن قصد أوبسوء قصد يعرض صاحبه**

للإعدام، وإخلاء سبيل الجماعة منه، مهما كانت منزلته، ومهما تحصن بالوسائل، واعتصم بالأسباب التي يراها كفيلة له بالحياة".

بل إنه يعطي لنفسه ولزملائه الحق في القتل المباشر دون إذن من القيادة، "إن أعضاء الجهاز يمتلكون - دون إذن أحد - الحق في اغتيال من يشاؤون من خصومهم السياسيين، فكلهم قارئ لسنة رسول الله ﷺ في إباحة اغتيال أعداء الله". فقط نلاحظ أن "خصومهم السياسيين" هم أعداء الله ويباح اغتيالهم.

بل إن الصباغ يُغالي فيقول: "إن قتل أعداء الله - أي الخصوم السياسيين للجماعة - هو من شرائع الإسلام، ومِن خِدَعِ الحرب فيها أن يَسُب المجاهد المسلمين وأن يضلل عدو الله بالكلام حتى يتمكن منه فيقتله"[1].

يبقى أن نشير إلى أن "مصطفى مشهور" مرشد الجماعة بعد حسن البنا يقول: "وإن من سياساتنا أن الإسلام يتجاوز عن قتل المسلمين إذا كان في ذلك مصلحة"، ويقول: "إن من السياسيين

---

(١) "الجهاز السري لجماعة الإخوان المسلمين" محمود الصباغ - دار النذير - القاهرة - ١٩٧٦م - ص٢١١ .

من يجب استئصاله وتطهير البلاد منه، فإن لم توجد سلطة شرعية تصدهم فليتول ذلك من وضعوا أنفسهم للإسلام جنوداً، وأن الإسلام يتجاوز عن احتمال قتل المسلمين إذا كان في ذلك مصلحة"[1].

ومن أشكال العنف "الفتوى"، فالمفتي من أعضاء الجماعة يضع السم في الشراب ويترك الآخرين ليتجرعوه، وكمثال على ذلك الفتوى التي كانت سبباً في موجة للاعتداء على الكنائس وإحراقها، في مجلة الدعوة "لسان حال الجماعة".

هذا هو الفكر الإخواني، ولسنا نريد الخوض في تفنيد هذا الرأي وتخطئته شرعياً، وعبر الممارسات الإسلامية على مدى التاريخ من عمر بن الخطاب وعمرو بن العاص رضي الله عنهما وحتى الآن، **وإنما فقط نشير إلى أن فتوى كهذه كانت أساساً لأن يقوم بعض الصبية الذين صدقوها والتزموا بها بالتعدي على الكنائس ومحاولة إحراقها. ولعل هذا يقودنا إلى فكرة طالما نادينا بها وهي: أن الإرهاب يبدأ فكراً.**

---

(١) "الإخوان المسلمون – أوراق تاريخية" إبراهيم زهمول – دار الشروق – القاهرة – ط٢ – ١٩٩٧م – ص ٥٨ .

المطلب الثاني: (النموذج السوري)

لم يكن أسلوب الإخوان المسلمين في سورية يختلف عن حالهم في مصر، فقد كان يتأرجح بين التقية السياسية والأخطاء القاتلة، وكانوا يمارسون البراغماتية، ويتلونون حسب الطقس السياسي، وذلك بدءاً من الانتخابات البرلمانية عام ١٩٤٧م حيث مارست هذه الجماعة العمل السياسي العلني، ولم تتراجع في ظل دكتاتورية حسني الزعيم، وسامي الحناوي، واستمروا على ذلك في حكومة خالد العظم عام ١٩٤٩م حيث أسندت إليهم حقيبة وزارة الأشغال.

ثم جاء أديب الشيشكلي فقام بإغلاق مقارّ الإخوان المسلمين بسبب سياساتهم الإقصائية، ومكائدهم، وتحالفهم مع القوى الخارجية.

ثم أفرج عنهم الرئيس هاشم الأتاسي، عام ١٩٥٤م، وكان المتوقع منهم أن يتعلموا من تجربتهم السابقة، ولكنهم ساروا في منهجهم الإقصائي نفسه، ولم يكتفوا بالبراغماتية السياسية، بل بثوا الفتن في المجتمع الواحد.

ولما وجدوا النفور منهم في المجتمع الديني متمثلاً في المدارس الدينية التي ورثت المنهج الشامي الأصيل عن كبار العلماء في دمشق وغيرها من أمثال العلامة المحدث الأكبر الشيخ محمد بدر الدين في دمشق، والعلامة الشيخ نجيب سراج الدين في حلب، والعلامة الشيخ طاهر الأتاسي في حمص، بدؤوا ببث الشائعات ضد العلماء، واستهداف الرموز الدينية لإسقاط مرجعيتها، وانفردهم بالمرجعية الدينية الساحة، ولكن الشارع المتدين بفطرته كشفهم ولفظهم.

وأكبر مثال على ذلك خسارتهم في الانتخابات النيابية سنة (١٩٥٧م) حيث ترشح المرشد العام للجماعة في سورية الدكتور مصطفى السباعي في مواجهة الأستاذ رياض المالكي.

ولم يستطع السباعي الفوز بالمقعد النيابي على الرغم من الحرب الإعلامية غير الشريفة التي شنها الإخوان على منافسه، والتي وصلت إلى اتهامه بالكفر !

وكان هذا الاختبار، وهذه الهزيمة قاسية جداً على السباعي والإخوان لأنها كشفت عدم جماهيريتهم التي كانوا يراهنون

عليها، وأدى ذلك لإصابة السباعي بالشلل، ثم موته.

وعندما جاء حزب البعث حلّ جميع الأحزاب، ثم ظهرت محطات سياسية هامة في حياتهم منذ بداية السبعينيات، بعد الحركة التصحيحية التي قادها القائد الخالد حافظ الأسد حيث عادوا إلى النشاط شبه العلني، واستغلوا التغاضي عنهم بسبب انشغال القيادة بالقضايا الكبرى كحرب تشرين، والتدخل العسكري في لبنان بغطاء الشرعية العربية لحمايتها من الطائفية، ومن الاحتلال الإسرائيلي.

وفي خضم ذلك ارتكب الإخوان المسلمون أخطاء قاتلة، وعادوا إلى برنامجهم التخريبي، ورفعوا السلاح في وجه الدولة، ولم يقتصر قتلهم واغتيالهم للشخصيات العسكرية والأمنية بل اغتالوا أساتذة جامعات ومفكرين ومثقفين، ولم تسلم مدينة في سورية من لظى تلك الأعمال.

وكانت أبرز نتائج المواجهات توجيه ضربة قاصمة للإخوان المسلمين، وتصفية جناحها العسكري، وفرار رموزه خارج البلاد.

وعلى إثر ذلك تمّ تجريم الحركة والجامعة وحظرها بموجب القانون ٤٩ الذي نصت مادته الأولى: على أنه (**يعتبر مجرماً ويعاقب بالإعدام كل منتسب لجماعة الإخوان المسلمين**). ومنذ ذلك الحين لم تقم لهم في سورية قائمة، ولجؤوا إلى العراق ولم تهدأ محاولاتهم، وتحالفاتهم لإسقاط الشرعية في سورية.

وقد تنكر الإخوان المسلمون لماضيهم حين دعاهم رياض الترك ليكونوا جزءاً من مكونات المعارضة الوطنية، ودخولهم في اتفاق ربيع دمشق سنة (٢٠٠٥م)، ووضع أمامهم جملة من الشروط ليتجاوزوا ماضيهم، منها إدانة الإرهاب، وقبول التعددية السياسية، وعلى هذا دخلوا (إعلان دمشق)، وعلى هذا الأساس تم إطلاق ما يسمى (بيان الوحدة)، ولكنهم وجدوا أنفسهم أمام أحزاب قادرة على إدارة رؤيتها، والوصول إلى جماهير الشارع أكثر منهم، وشعروا بضعفهم التنظيمي، وعدم قدرتهم على العمل المشترك فانسحبوا من (إعلان دمشق) ليبحثوا عن شريك أكثر قبولاً لتسلطهم، ونزعتهم التفردية.

وأبت نزعتهم البراغماتية البعيدة عن المبادئ إلا أن تظهر بوضوح من خلال تحالفهم المشبوه مع الخائن المنشق عبد الحليم خدام عام (٢٠٠٦م) وكان ذلك بمثابة الضربة القاضية عليهم، حيث ظنوا أنّه مهيّأ للقيادة في سورية، وقد كان سابقاً أحد أكبر أعدائهم، وكان يعدونه أحد الكفار الذين يجب التخلص منهم، ولكن آمالهم خابت، وأبى الله إلا أن يخذلهم، وتبين لهم أنهم كانوا في سراب، وأن التماسك الداخلي في سورية بين القيادة والجماهير في سورية لا يمكن أن يخترق بهكذا تحالفات مشبوهة، ثم انسحبوا من جبهة خدام (جبهة الخلاص) التي تم تشكيلها مع الخائن عبد الحليم خدام، عام (٢٠٠٩م)!!

ونتساءل هنا عن الأهداف النبيلة، والمشروع الإسلامي، و.... و.... التي كان الإخوان المسلمون يأملون تحقيقها من خلال التحالف مع عبد الحليم خدام ذي التاريخ الأسود في الفساد والخيانة!!

المطلب الثالث: اعترافات أحد قادة الإخوان المسلمين في سورية بالجرائم البشعة التي ارتكبتها الجماعة في السبعينيات والثمانينات

وهكذا فإن تاريخ هذه الجماعة يظهر أنهم كانوا يلهثون خلف السلطة بأي وسيلة، سياسية أو عسكرية، ومن خلال أي تحالف حتى لو كان مع أعدائهم، ويغلفون جرائمهم وأفكارهم بالشرعية مع خلال تشويه وتحريف النصوص.

وأنهم كانوا دائماً يتعجلون قطف الثمار قبل نضوجها مع التخبط في الأساليب، مما جعلهم منعزلين عن المجتمع.

ولذلك لم يجدوا وسيلة لتحقيق أهدافهم إلا ارتكاب المجازر، واتباع سياسة إباحة دماء المخالفين، واغتيالهم بدم بارد، ولذلك قاموا بالتفجيرات الإرهابية ولم يسلم منهم حتى بعض عمال النظافة.

وقد ذكر قائد الطليعة المقاتلة، الجناح العسكري للإخوان في سورية أيمن الشربجي نفسه في مذكراته (**مذكرات الطليعة**

المجاهـدة) [1] بعـض الجـرائم **(الإنجـازات !!)** التـي قـام بهـا الإخوان المسلمون من القتل والتفجيـرات والتخريـب والسـطو، وإليك ما اعترف به في ذلك:

- اغتيال الدكتور محمد الفاضل: وهو رئيس جامعة دمشق، وعضو القيادة القومية لحزب البعث، ومستشار رئيس الجمهورية للشؤون القانونية، وهو أكبر مشرّع قانوني بالشرق الأوسط، وقـد اغتيل بتاريخ ١١/ ٧/ ١٩٧٦م في الجامعة

- تفجيـر مبـاني الصـحف: بعـد شـهر تقريبـاً مـن اغتيـال الفاضل، تمّت عمليّة تفجيـر الصـحف الثلاثـة (تشـرين والبعـث والثورة) في الساعة ٦.٣٠ صباحاً.

- حرق مؤسسات البيع بالمفرّق: وكانت الغاية منهـا إربـاك الدولة.

وسارت أمور التنظيم في دمشق وحلب وحماه

وفي هذه الفترة نفّذ الإخـوان المسـلمين فـي حلـب ثـلاث

---

(١) لتوثيق هذه الجرائم والأعمال الإرهابيـة، انظـر: (مـذكرات الطليعـة المجاهـدة)، و(علـى ثـرى دمشـق) لأيمـن أحمـد الشـربجي، القيـادي الإرهـابي فـي إخـوان الشياطين.

عمليّات اغتيال:

منها اغتيال الدكتور علي عابد العلي رئيس جامعة حلب، والدكتور علي بدّور.

ونفّذت أول عمليّة مشتركة بتاريخ ٨ شباط عام ١٩٧٧م بمناسبة إعادة انتخاب الرئيس حافظ الأسد وكانت هذه العمليّة وضع عبوات ناسفة في الأماكن الآتية:

- مركز حزب البعث فرع الجامعة.
- مركز حزب البعث فرع الميدان.
- مركز حزب البعث الأساسي.
- مركز حزب البعث فرع المهاجرين.
- مركز الجبهة الوطنية التقدمية.
- مجلس الشعب.

اغتيال الدكتور إبراهيم النعامة: وذلك بعد شهر على تنفيذ العمليات السابقة

إحراق بيع الأقمشة بالمفرّق: وتمّ التنفيذ بكلّ من المؤسسات الآتية:

- مؤسسة بيع الأقمشة، فرع الصالحيّة.

- مؤسسة بيع الأقمشة- شارع ٢٩ أيار

- مؤسسة بيع الأقمشة- الحريقة.

- مؤسسة بيع السجاد- الحريقة.

وقد استخدموا عبوات حارقة تمّ صنعها يدويّاً.

وتمّ في نفس اليوم الساعة ٤.٣٠ مساءً حرق لمؤسّسات مشابهة في حمص وحماه وحلب.

إحراق مستودعات الأخشاب:

تم تنفيذ هذه العملية بالأماكن الآتية:

- إحراق مستودعات الزبلطاني الضخمة.

- حرق مستودع الأخشاب الواقع قرب سوق الهال قرب الزبلطاني.

- إحراق مستودعات الأخشاب الضخمة في الكسوة.

وقد تمّت العمليّة الساعة السابعة مساءً.

اغتيال المقدّم أحمد خليل السلمان مع مرافقيه: وذلك بعد شهر من عمليات حرق الأخشاب، يوم الخميس أوائل عام

١٩٧٨م في منزله في الميسات، وتمّ القتل برشاشات عيار ٧ ملم.

اغتيال عادل ميني: وذلك في حيّ المهاجرين بالشمسيّة.

اغتيال المدرّس يحيى بكّور: وهو نقيب المهندسين الزراعيّين وأستاذ في جامعة دمشق، يدرّس مادّة الثقافة الاشتراكيّة، ويمثّل الجمهورية العربية السورية لدى منظّمة اليونسكو للأغذية، وتمّ اغتياله قرب بيته في حيّ الطلياني بدمشق.

مهاجمة الدوريّات السيّارة لوزارة الداخلية: لعدم التمكّن من مهاجمة الفروع.

تنفيذ مجزرة مدرسة المدفعيّة في حلب ١٦/ حزيران/ ١٩٧٩م:

وقد وقعت هذه المجزرة بعد أن شهدت المرحلة تطوّراً خطيراً في ساحة الصراع في سورية، فقد قام الإخوان المسلمون في حلب بضرب عدد من الأهداف التابعة للمخابرات، وقُتِل منهم اثنان وليد العطار، وعصام مواصلي.

وبعد ذلك قاموا بالتخطيط لمجزرة كبيرة في مدرسة المدفعية في حلب وكان العقل المدبر لها النقيب إبراهيم اليوسف ضابط أمن المدرسة، والموجّه الحزبي فيها، وقد كان يخفي انتماءه للإخوان المسلمين، وأسفرت هذه المجزرة عن مقتل وجرح ما يزيد على مئتي ضابط.

حيث قام إبراهيم اليوسف بدعوة الطلاب جميعاً إلى قاعة الطعام بصفته الموجه الحزبي للمدرسة، ثم قام بفرزهم طائفياً، ثم إطلاق النار على الطلاب الذين ينتمون إلى غير طائفة الإخوان.

دوريّة العمارة: وقد قام بها ثلاثة من الإخوان المسلمين لمهاجمة دوريّة تابعة للمخابرات الجويّة فهاجموها بالرشاشات وألقوا إليها قنبلتين يدويّتين، فاحترقت السيارة (رانج روفر) وقُتِل من فيها وكانوا خمسة عناصر.

زرع عبوات ناسفة في مركزي الحزب والشبيبة بمنطقة الإطفائيّة: وكانت هذه العملية مع توقيت دوريّة العمارة، وبينما كانت سيارات شرطة النجدة والمخابرات تسرع لتطويق منطقة

العمارة انفجرت العبوتان وأسفرتا عن سقوط ١٥ عنصراً بين قتيل وجريح، مع وقوع خسائر ماديّة فادحة.

تفجير مراكز حزب البعث: فقد قام الإخوان المسلمون باستطلاع دقيق ورأوا أنّ أنسب وقت للعمليّة الساعة ١١ صباحاً، وتجهزت خمس مجموعات وزرعوا عبوات ناسفة في المراكز الآتية:

- مركز حزب البعث في منطقة الجسر الأبيض.
- مركز حزب البعث في منطقة الإطفائيّة.
- مركز حزب البعث في منطقة الحجاز.
- مركز حزب البعث في منطقة السبع بحرات بجانب البنك المركزي.
- مركز حزب البعث في منطقة الميدان.

أدّى ذلك إلى تخريب كبير، وتفجير هائل، وأسفر عن سقوط ١٥ عنصراً بين قتيل وجريح.

عمليّات إلقاء القنابل: قام اثنان من الإخوان المسلمين بإلقاء قنبلتين على فرعي الحزب والشبيبة في منطقة الإطفائيّة،

أصيب على أثرها عدد من عناصر الحرس.

اغتيال الدكتور محمود شحادة خليل: وهو رئيس قسم العصبيّة في مشفى حرستا العسكري، وأحد أطبّاء الرئيس، حيث قاموا بنصب كمين له تحت جسر شارع الثورة، وقد تم قتله قبل المغرب بنصف ساعة في السابع من شهر رمضان.

مهاجمة دوريّتين في الحريقة: وقد كان عناصر الدوريّة الأولي يستقلّون سيّارة (شفروليه) فألقى الإخوان المسلمون إليهم قنبلتين يدويّتين داخل السيّارة، وقتل على إثرها ٤ عناصر، وألقوا قنبلة يدويّة على الدوريّة الثانية، وأسفر هذا الاشتباك عن مقتل عشرين شخصاً وجرح آخرين.

تفجيرات وكمائن:

- زرع عبوة ناسفة في مركز حزب البعث في الحجاز في الساعة التاسعة ليلاً، أدّى ذلك إلى تخريب كبير ولم تُعرَف الخسائر.

- زرع عبوة ناسفة في شركة الطيران السوريّة في شارع النصر، وأدّى الانفجار إلى خراب هائل وقتل عدد من العاملين.

- إلقاء قنبلة يدويّة على مركز حزب البعث، وذلك عند عودتهم من تفجير شركة الطيران، ولم تُعرَف الخسائر.

- إلقاء قنبلة على مركز حزب البعث قرب القصر العدلي، وقُتِل عنصر.

- نصب كمين لسيّارة تابعة للمخابرات العسكريّة نوع (شفروليه) تقلّ عشرة عناصر في شارع ابن عساكر حوالي الساعة السادسة والنصف صباحاً وعندما مرّت السيّارة أطلقوا عليها النار من الرشاشات ثمّ ألقوا إليها قنبلتين يدويّتين.

- اشتباك مع شرطة النجدة: عند عودتهم من العمليّة اعترضتهم دوريّة لشرطة النجدة، تضمّ ثمانية عناصر، فباغتوها بالرشاش والمسدّس وتمّ تبادل إطلاق النار، وأصيب أحد أفراد الدوريّة بجروح وانسحبوا مسرعين.

اغتيال العقيد جمال ندة: رئيس تخريج دورات الأركان، فقد نصبوا كميناً له أمام منزله بمنطقة المنصور، وأطلقوا عليه النار وأردوه قتيلاً، وذلك في الساعة السابعة صباحاً عند خروجه من منزله.

إطلاق النار على العقيد خضر إبراهيم: الذي كان يشغل عدّة مناصب، وكانت هذه العمليّة بعد اغتيال ندة بأربعة أيّام، حيث نصبوا له كميناً في الفحامة قرب جامع زيد بن ثابت، وبينما يستقلّ سيارته أطلقوا عليه النار وأصيب بجروح بالغة أدّت إلى شلله.

تفجيرات في بعض مراكز الدولة:

قاموا بزرع بعض العبوات الناسفة بتاريخ ١٤/ ٤/ ١٩٨٠م في الساعة السابعة مساءً في الأماكن الآتية:

- مركز لشبيبة الثورة.
- مركز لطلائع البعث في أبي رمانة.
- مركز البريد في ساحة شمدين.

كما قاموا في الوقت ذاته بمهاجمة فرعَي شبيبة الثورة والحزب في منطقة الإطفائيّة بالقنابل اليدويّة، فسقط أربعة من العاملين بين قتيل وجريح.

اغتيال الخبير العسكري الروسي فولنتينو سازولا: وكان بتاريخ ٢٤/ ٤/ ١٩٨٠م الذي كان يعمل في الأكاديميّة

العسكريّة، وقد تمّت العمليّة في سوق الخيّاطين.

محاولة اغتيال الرئيس حافظ الأسد: قامت مجموعة من الإخوان المسلمين بتاريخ ٢٦/ حزيران/ ١٩٨٠م، بمحاولة اغتيال الرئيس الراحل حافظ الأسد وذلك بإلقاء قنبلتين على الرئيس حافظ الأسد على باب قصر الضيافة، أثناء إجراء مراسم توديع رئيس النيجر، فانفجرت إحدى القنبلتين، وأصابت الرئيس حافظ الأسد بجروح طفيفة في ساقه، وإصابة أحد ضباط الحراسة إصابات بالغة، ثم تمّ نقل الرئيس الإفريقي إلى المطار مباشرة ليرجع إلى بلاده سالماً.

كمين لميكرو باص تابع لدار البعث للنشر والإعلام:

في تاريخ ٢٦/ ٧/ ١٩٨٠م قام الإخوان المسلمون بنصب الكمين قرب دوّار باب مصلّى، وعندما مرّ الميكرو باص أطلقوا عليه الرصاص، وأصيب بعض الركاب بجروح طفيفة وقام السائق بزيادة السرعة وتمكّن من النجاة بركّابه.

عبوة ناسفة في باص الخبراء الروس: وذلك بتاريخ ٥/ ٨/ ١٩٨٠م ، فقد قام الإخوان المسلمون بتثبيت عبوة ناسفة

تزن ٧ كغ في أسفل الباص، وقد انفجر عند مروره بساحة العبّاسيّين، فأحدث الانفجار دويّاً هائلاً، وأدّى إلى تدمير الباص بالكامل وقتل جميع الركاب، وعددهم ٢٠ شخصاً من الخبراء، ومعهم الحرّاس المرافقون.

اغتيال المساعد أول يونس أنيس: وهو يعمل محاسباً في فرع فلسطين، وتم اغتياله قرب منزله خلف مشفى المجتهد.

العمليّات التي نفّذها التنظيم الجديد:

١- قتل المستخدم محمود الترياقي، سائق اللواء رياض محمود الصباغ رئيس إدارة المركبات.

٢- قتل الدكتور أديب اللحام في حيّ الميدان.

٣- قتل سائد وائلي طالب في كلية الطب بجامعة حلب.

٤- قتل النقيب صالح نمر وهو من الوحدات الخاصة.

٥- إلقاء قنبلتين يدويّتين على سيارة زيل تابعة لسرايا الدفاع في شارع الثورة، لكنها انفجرت في الخارج.

٦- ضرب دورية تابعة للمخابرات العسكرية في منطقة الشويكة، لكنّ العمليّة كانت فاشلة.

وقد قررت قيادة الإخوان المسلمين زرع عبوات ناسفة في بيوت بعض أبناء الطائفة العلويّة لزرع بذور الفتنة، ومحاولة إطلاق حرب أهلية يمكن الاستفادة منها في الانقلاب على الحكم، منهم بيت الرائد علي إسماعيل، والرائد آصف عيسى، والعقيد حسن مريشة، والعقيد حكمت بدر، ويحيى بكور، والنقيب سليم جبور، والمساعد سليمان حسن، والرقيب عارف وإبراهيم، وخليل إبراهيم، ومقدم طيار من آل خير بك، ومنزل الرائد شوكت المودي، وغيرهم كثير.

وقد نفّذت هذه العمليات على عدة مراحل بين ٢٠/ ٩/ - ١٨/ ١٠ / ١٩٨٠م وملأت أصوات الانفجارات كلّ مكان في مدينة دمشق حيث كان المواطنون يعيشون الرعب في كل مكان في دمشق.

ومن الشخصيات التي اغتالوها في هذه الفترة: المقدم محمد سيفو، المحامي حسن علي الخيّر، أديب الكردي، النقيب أديب حيدر، العالِم عدنان لاذقاني، الدكتور جوزيف صايغ، المحامي درويش الزوني، هيثم الشمعة، محمد الحوراني،

الدكتور زيد الشريطي، والمحامي نايف الشريطي.

وغيرهم كثير.

عمليات السطو الماليّة :

وفي مرحلة متقدمة للجرائم التي ارتكبها الإخوان المسلمون، ومع شعور التنظيم بحاجته للتمويل لجذب عناصر جديدة، وشراء الأسلحة قررت قيادة الإخوان المسلمين مهاجمة الأهداف الماليّة لحاجتها لتمويل التنظيم، وقامت بالآتي:

- مهاجمة مصرف التسليف الشعبي بمنطقة الميدان في ١٩/ ١١/ ١٩٨٠م، فاعتقلوا موظفيه وحصلوا على مبالغ مالية.

- الهجوم على مقرّ نقابة اللحامين في الفحامة بتاريخ ٢٧/ ١١/ ١٩٨٠م ونهبوا المبالغ الموجودة فيها.

- السطو على مديرية التموين في باب الجابية، ونهب مليون ومئتي ألف ليرة سوريّة.

ومن عمليات عام ١٩٨١م:

- تفجير مجلس الوزراء بتاريخ ١٧/ ٨/ ١٩٨١م قام بها عبد الستار الزعيم، بوضع كمية كبيرة من المتفجرات والموادّ

المشتعلة و١٠ جرّات من الغاز، وقد وقع انفجار هائل هز دمشق واحترق المبنى، ووقع حريق ليس له مثيل، وأدّى إلى مقتل العشرات، وحوصر الناس بين النيران.

- تفجير آمرية الطيران، بتاريخ ٣/ ٩/ ١٩٨١م قام بها يوسف أحمد عبيد، وذلك لاستهداف فرع المخابرات الجوية، واستهداف أكبر عدد من الضباط والعناصر في الآمرية، وقاموا باستهدافها بعبوة ناسفة تزن ٤٠٠ كغ وانفجرت السيارة الملغومة، وأحدثت انفجاراً هائلاً أحدث كتلة من اللهب غطت المبنى بأكمله، وتطايرت الجثث في كل مكان، ودُمّر المبنى دماراً شبه تامّ، كما تمت إصابة عدد كبير من المدنين في الطريق، والمنازل المجاورة.

وقد تجاوز عدد القتلى والجرحى ١١٠٠ شخص.

هذا بعض ما قاموا به من جرائم في فترة الثمانينيات بكتاباتهم واعترافاتهم.

المبحث الرابع:
الإخوان المسلمون والانخراط في الخريف العربي، والمؤامرة الصهيونية الكبرى عام ٢٠١١م

وكان واضحاً لكل متابع لنشاط هذه الجماعة مع بداية الحراك في سوريا في العام ٢٠١١ كيف بادرت إلى جس النبض، وسبر الواقع السياسي والشعبي لتستجلي الثقل الحقيقي لها، وما اذا كانت تستطيع لعب دور فاعل في المجريات، ومدى حدود ذلك الدور، ومن هنا كانت تدأب الدائرة السياسية والإعلامية لتلك الجماعة والمكاتب المنبثقة عنها وهي المكتب السياسي ومكتب العلاقات الخارجية خلال الفترة الممتدة بين عامي ٢٠١١ – ٢٠١٤ على رسم خطة التحرك الإعلامي والسياسي، والمضي بتنفيذها، عبر رفع الشعارات البراقة، التي تمكنها من التسلل و ركوب الموجة تمهيداً لاختراق الحراك، والسيطرة عليه.. حيث حرصت هذه الجماعة مع بداية الأحداث على الساحة السورية على الاكتفاء بمراقبة تطورات الحراك، والاحتمالات المرتقبة لهذه التطورات، وتفعيل العمل الإعلامي

بناءً على ما كان قائماً لا سيما على ساحة الأردن من خلال :

أ- تشكيل لجانٍ إعلاميةٍ، لإدارة العمل الإعلاميّ والتواصل مع وسائل الإعلام المختلفة، ومَدّها بالأخبار السورية على مدار الساعة، مع الصور وأشرطة الفيديو واليوتيوب، وذلك وفق المسارات التالية : شبكة الإنترنت (الفيس بوك والتويتر. والمواقع الإخبارية الكبرى: الجزيرة نت والعربية نت وإيلاف، والجزيرة توك،.. وغيرها. ومواقع الجماعة المختلفة. والمواقع الإسلامية المختلفة). والفضائيات المختلفة الممكنة، لاسيما : العربية، والجزيرة، والـ bbc، ووصال، وصفا، وأورينت، والفرنسية ٢٤ والحرّة،.. وغيرها. ونشر (يوميات الساحة السورية) من خلال البريد الإلكتروني ومواقع الجماعة. فضلاً عن إطلاق قناة الفيديو الثابتة الخاصة، والتغذية المستمرة بالمعلومات والأخبار من قبل قسم المعلومات في المكتب السياسي للجماعة.

ب- الإيعاز إلى عناصر الجماعة لا سيما المقيمين في الدول الغربية بضرورة تفعيل نشاطهم على صعيد إجراء

المقابلات الصحفية والتلفزيونية لدى وسائل الإعلام المختلفة.

ج- تفعيل كتّاب الجماعة، لحثّهم على الكتابة والنشر حول الحراك في سوريا وتطوّراته ، وذلك بإحصاء أسمائهم وعددهم، وتبادل الأفكار معهم، والتنسيق فيما بينهم للتصدّي للوقائع والتطوّرات السورية.

د- رَفْعُ سويّة الأداء الإعلاميّ، وتطويرُه، وذلك باعتماد آلياتٍ حديثةٍ للنشاط الإعلاميّ، بالاستفادة من (خطّة الإعلام الجديد).. وتنفيذُ هذه الآليات.

* وعلى الصعيد السياسي فقد كان التكتيك المعتمد مقتصراً على إحياء عمليات التواصل مع الشخصيات التي تصدرت الصف الذي صنَّف نفسه كـ (معارضة) ودراسة التحالفات المستقبلية المحتملة، وتحديد موقع الجماعة في المرحلة اللاحقة في عملية الاصطفاف، وعلى ضوء ما تقدم فقد كرَّس الإخوان المسلمون نشاطهم السياسي في بداية الحراك باتجاه:

أ- إجراء عملية مسحٍ شاملةٍ للقوى والشخصيات السياسية

السورية. والاتصال بها، والتواصل معها، وتنسيق ما يمكن من خطواتٍ عملية (كعقد مؤتمرٍ للمعارضة) للوصول إلى اتفاقٍ على مشروعٍ توافقيٍّ للتغيير.

ب- إعداد مشروعٍ للتغيير في سورية، بحروفه الأولى، لعرضه على القوى والشخصيات السياسية المعارِضة في الداخل والخارج.

ج- وضع دراسةٍ عاجلةٍ حول سيناريوهات الحراك والتغيير في سورية، مع تحديد موقف الجماعة من كلٍ من هذه السناريوهات.

د- وضع ورقةٍ خاصةٍ لموقف الجماعة السياسيّ، الذي ينبغي اعتماده، وذلك في كل مرحلةٍ من مراحل تطوّر الحراك، وتحديد المطالب العامة (إلغاء حالة الطوارئ، إلغاء الأحكام العُرفية والقوانين الاستثنائية ومحاكمها، تبييض السجون، كفّ أيدي الأجهزة الأمنية، تغيير الدستور، انتخابات نزيهة بإشراف دولي).

هـ- إعدادُ ورقةٍ خاصةٍ حول ضبط خطاب الجماعة

وسياساتها المعلنة في الحراك السوريّ، وتعميمها على كل فعاليات الجماعة للالتزام بها خلال الممارسة العملية.. (سلمية، غير حزبية، غير طائفية، خطاب وطني جامع، حماية الممتلكات العامة).

و- التحرّك الرسمي باتجاه ما يمكن من: الدول العربية والعالمية، وجامعة الدول العربية، والقوى والأحزاب والشخصيات العربية والدولية والإسلامية، وهيئة الأمم المتحدة، ومنظمة المؤتمر الإسلامي.. لاطلاعهم على قضية الشعب السوريّ وتطوّرات حراكه، ولتلقّي الدعم المعنويّ والسياسيّ.

ز- التحرّك باتجاه روابط علماء المسلمين المختلفة، والأحزاب والقوى السياسية الإسلامية المختلفة، لتلقّي الدعم الإسلاميّ والمعنويّ.

ح- بناءُ هيكليةٍ مرنةٍ قادرةٍ على استيعاب الجوانب العديدة للنشاطات السياسية، مثل: تشكيل لجنةٍ للعلاقات السياسية الخارجية، ولجنةٍ للعلاقات والنشاطات مع منظمّات حقوق الإنسان السورية والعربية والأجنبية، والاهتمام بالعلاقات مع

شباب الثورة في مصر ..

* في هذه الفترة كانت الجماعة تخطط في الخفاء وتعمل على موضوع ترتيب الأوراق ، وتدرس الاحتمالات المتوقعة لوجهة الحراك ومآله، والتحضير التنظيمي، واختيار القناع المناسب للانخراط في فوضى الحراك ..

* وهذا ما كان ثابتاً في محضر اجتماع المكتب السياسي للجماعة، والمقدَّم بتاريخ ٢١-٥-٢٠١١م من المدعو محمد شيخ ديب عضو المكتب السياسي إلى المدعو علي عيسى (أبو أنس البيانوني) الرئيس الجديد آنذاك للدائرة السياسية وأعضاء المكتب السياسي:

١. محمد فاروق طيفور (أبو بشير) رئيس المكتب السياسي.

٢. محمد وليد حكمت (أبو حسان).

٣. محمد بسام يوسف (أبو معاوية).

٤. محمد صالح الجاسم (أبو الوفاء).

٥. عصام حرستاني (أبو عمار).

٦. عامر معاذ فارس (أبو الخير).

٧. حسان مبيض (أبو سعيد).

٨. هيثم السباعي (أبو محمد).

٩. محمد صادق الشيخ ديب (أبو أسامه).

ولعلَّه من المهم الإتيان على كلمة المراقب العام للجماعة في ذلك الاجتماع للوقوف على النوايا المبطنة لها، واستجلاء حجم النفاق السياسي، وامتهان الاستثمار في الفوضى ..

كلمة المراقب العام :

"الثورة جاءت بقدر الله أولاً وقبل كل شيء، والشعب السوري بكل أطيافه تحرك، ونحن لا يمكن الا ان نكون داعمين لهذه الثورة، ولا يمكن ان نتقدمها، وهناك والحمد لله تطور في مواقف بعض الدول الخليجية ولو بشكل غير مباشر، وبالنسبة لدول الخليج فهم في الأصل يتحركون بشكل غير مباشر حتى لا يثبتوا على انفسهم تلك المواقف وخاصة حين لا يكون هناك وضوح في مواقف امريكا والغرب ، ومن دلالات تحركهم هو تحرك العشائر السورية التي تربطها علاقات وقرابات وأواصر

عشائرية مع العشائر الخليجية.

مهمتنا إعلامية ومطلوب منا ان نتحرك على كل الأصعدة لدعم هذه الثورة من الدعم اللوجستي وأدوات الاتصال وأشكال الدعم الأخرى، وعندنا ثلاثة ثوابت في موقفنا الحالي:

- لا نظهر بشكل علني في الأحداث حتى لا نبرر للنظام قمع الشعب.

- لا نخوض في القضية الطائفية ، بالرغم من أن النظام يحاول إدخالها .

- التأكيد على سلمية الثورة بالرغم من حصول بعض الأعمال الفردية من الشعب نتيجة تعرضهم لضغوط كبيرة من النظام من قتل وانتهاك للحرمات وتعذيب.

أمامنا مشوار طويل ونحن بحاجة الى خطط طموحة أكثر والتحرك بفاعلية أكبر وتحليلنا للموضوع أن الأمور ستنتهي الى سقوط النظام بإذن الله".

وقد توالت تأكيدات الجماعة على اعتماد هذه الآلية في اجتماع المكتب السياسي المنعقد في يوم الجمعة الواقع في

١٧-٦-٢٠١١م في إسطنبول، واجتماع مجلس العلاقات الخارجية المنعقد بتاريخ ١٧/ ٧/ ٢٠١١، واجتماع مجلس العلاقات الخارجية المنعقد بتاريخ ٩ – ١٠ ديسمبر عام ٢٠١١، واجتماع مجلس العلاقات المنعقد في تركيا بتاريخ ١٢/ ٢/ ٢٠١٢، و اجتماع الدائرة السياسية والإعلامية والمنعقد في٢٩ -٣٠/ مايو/ ٢٠١٢م بتركيا، وما تلاها من اجتماعات أخرى ..

* بتاريخ ٢٥/ ٧/ ٢٠١٣ كان اجتماع الدائرة السياسية والإعلامية لهذه الجماعة، بحضور كل من رياض الشقفة (أبو حازم) – زهير سالم – ملهم الدروبي – حسام الغضبان – عمر مشوح – محمد صالح الجاسم (أبو الوفا) ... **وهنا كانت أولى بذور فكرة التحول إلى العمل العسكري في الحراك، وطرح الملف التكفيري والملف الكردي.**

- وهنا يمكن طرق نشاط حركة الإخوان المسلمين على الساحة العربية إبان الخريف العربي وتحديداً في تونس وليبيا ومصر:

حيث سارع الإخوان المسلمون في تونس منذ اللحظة الأولى للحراك التونسي ضد حكم زين العابدين بن علي في كانون الأول ٢٠١٠ إلى تنظيم صفوفهم، ومحاولة تصدر المشهد الثوري، وتمكنوا بالفعل من بلوغ هذا الهدف مع عودة القيادي الإخواني راشد الغنوشي إلى تونس قادماً من منفاه في بريطانيا، حيث تمكن من إعادة تنظيم صفوف حركة النهضة الإخوانية ، وخاض المعترك السياسي الذي شهدته تونس عقب سقوط حكم بن علي وتمكن من قيادة النشاط السياسي لحركته إلى أن وصل لرئاسة مجلس النواب في عام ٢٠١٩. وبالرغم من هذا الإنجاز كله لم يستطع الغنوشي وجماعته الخروج من مبادئ راسخة لديهم منذ نشأتهم، حيث أنشأ الغنوشي جهازه السري متيمناً بملهمه حسن البنا، والذي أثيرت بخصوصه اتهامات بعدة قضايا منها قضية جمعية النماء، والضلوع بتنسيق إرسال مقاتلين (جهاديين) من منطقة بنقردان ومناطق أخرى في تونس إلى ساحات القتال خارج تونس ، بالإضافة إلى قضية شبهة التعاملات المالية المعروفة بـ أنستالينغو .

- ولـم يكـن الشـيطان الإخـواني أقـل تخريبـاً وفتكـاً علـى الساحة الليبية أيضاً ، حيـث أتـت المـؤامرات الإخوانيـة الدوليـة أكلها، بُعيد فترة قصيرة من اندلاع الحـراك فـي ليبيـا علـى حكـم الرئيس الليبي الراحل معمر القذافي في شـباط عـام ٢٠١١، مـن خلال التوالي السريع للانشقاقات في جسم النسـق الأول للنظـام الحاكم، ولعل الأخطر فيها كـان المـدعو مصـطفى عبـد الجليـل (وزير العدل آنذاك) ليتبين لاحقاً أنه كان علـى تنسـيق مسـبق مـع القيادي الإخواني إسماعيل الصـلابي (الـذي كـان يقـود العمـل المسلح في منطقة درنة) والذي أقر عبد الجليـل لاحقـاً بانقلابـه عليه، وأنه طيلة فترة التنسيق القائم بينهما كان يعمل على ضوء ما تقتضيه مصلحة التنظيم العالمي للإخوان المسلمين ..

لم يتوانَ قادة هذه الجماعـة الإجراميـة فـي أي مرحلـة مـن مراحل الأزمة الليبية عن التفكيـر بمصـالحها الضـيقة المشـبوهة، ابتداءً بتسعير الحراك ضـد القـذافي وصـولاً إلـى إيصـال الدميـة الأردوغانية فائز السراج إلى رئاسـة الحكومـة المسـماة بحكومـة الوفاق الـوطني فـي العـام ٢٠١٥، فقـد أظهـر قـادة هـذه الزمـرة

الإجرامية تسابقاً في الاستجابة للرغبة التركية في دعم السراج، من أمثال عبد الرزاق العرادي – ومحمد الصوان والصلابي وغيرهم ، وقد تقاطع هذا الدعم مع مساندة أمريكية وأوروبية، ودعم من دول عربية معروفة .. وهذا لم يكن بلا مقابل إذ كان السراج الحليف الوفي الذي قدم باسم الشعب الليبي مناصب مالية مرموقة ووضعها في تصرف الجماعة الإخوانية ..

– أما في مصر فلم تكن القاعدة الإخوانية بحاجة إلى استجماع أو إعادة تنظيم أو هيكلة بل كان المشهد واضحاً منذ اللحظة الأولى لبدء حراك ٢٥ كانون الثاني عام ٢٠١١ بأن الجماعة الإخوانية كانت على موعدٍ مدروس مسبقاً للانقضاض على حكم مصر ولم يكن تكتيك الجماعة مختلفاً كثيراً عما انتهجته في سوريا، لجهة ضرورة المحافظة على الهدوء والظهور الناعم، وتجنب إثارة حفيظة المؤسسة العسكرية، والحرص على عدم إظهار أي تناغم مع الجماعات التكفيرية، ولعلنا لا نجد أسباباً لذلك سوى أن :

١– النظام المصري ممثلاً بالرئيس حسني مبارك، كان

واضحاً منذ البداية في الجنوح نحو استبعاد المواجهة العسكرية مع الحراك، من سلة خيارات المعالجة ..

٢- التزام المؤسسة العسكرية الحياد، وإعلانها الإمتثال لخيار الشعب المصري ..

٣- الأجواء الدولية التي كانت توحي بالسير في ركب الأخوان المسلمين إلى سدة الحكم في مصر ..

الأمر الذي أكسب الجماعة الإخوانية، دفعاً معنوياً كبيراً جعلهم يشعرون بالارتياح لمسار الأحداث، بالتزامن مع النتائج التي أفرزتها الأحداث الدائرة في تونس وليبيا من تصدر الإخوان للمشهد السياسي .. إلى أن أفلحوا في إيصال محمد مرسي إلى سدة الرئاسة المصرية، ولم يستغرق الأمر زمناً طويلاً حتى تنتهي مسرحية الحكم الديمقراطي وشعارات العدالة والبناء، ويعود قادة الجماعة إلى فطرتهم الإقصائية والاستبدادية، ولعل القيادي الإخواني خيرت الشاطر كان الأسبق إلى إسدال الستار على الوجه المستعار، من خلال تحدي المؤسسة العسكرية، والتهديد المبطن باستدعاء الحركات المتطرفة إلى الساحة المصرية،

والمجاهرة في إبـراز دوره الفاعـل فـي تحريـك وتوجيـه مرسـي والقرار الإخواني معاً .. فضلاً عن المسـارعة بمحـاولات فاشـلة إلى تطويق الحصن الأزهري، لتكريس السيطرة علـى المرجعيـة، والاستثمار في الموقع العالمي لهذه المؤسسة ..وبطبيعـة الحـال فإن هذه المحاولات ما كانت إلا تحقيقاً لإحدى الأماني القطبيـة التي تزامنت مع ولادة الجماعة الإخوانية.

* وعلى ضوء هذا كله فإن السقوط المتتـالي لعـدة عـروش عربية في قبضة الإخوان لم يكن إلا ترجمةً عمليـةً لمـا ورد علـى لسـان الـرئيس السـابق لوكالـة الاسـتخبارات الأمريكيـة جـيمس وولسي james woolsey في الفيديو المسرب لـه فـي العـام ٢٠٠٦ وما جاء فيه:

"سنضع لهم إسلاماً يناسبنا ثم نجعلهـم يقومـون بـالثورات فيتم انقسامهم على بعض لنعـرات تعصـبية ومـن بعـدها قـادمون للزحف وسوف ننتصر...".

عندما وقع الحراك في سورية عـام ٢٠١١م كـان الإخـوان المسلمون أول من بادر إلى مواكبـة الحركـة الاحتجاجيـة داخـل

سورية، وقد ظهر في الإعلام منذ الأسبوع الأول من اشتداد المواجهات في درعا شخصيتان من الإخوان المسلمين، هما: المراقب العام المهندس محمد رياض الشقفة من إسطنبول، والناطق الرسمي زهير سالم، ليقول المراقب العام: إنّ جماعة الإخوان المسلمين تدير المظاهرات، وتشارك فيها بشكل فعّال، وقد تقاطع هذا مع اتهامات سورية للإخوان المسلمين في هذا الحراك آنذاك.

وعند ذلك أرادت تركيا أن تتدارك الأمر فقالت: إنها لن تسمح بأي مبادرة من الإخوان المسلمين في سورية يمكن أن تضرّ بالرغبة في إجراء الإصلاحات بالطرق السلمية.

ثم تنصل سالم من تصريحات المراقب العام محمد رياض الشقفة، وأنكر الدعوة إلى التظاهر، لثلاثة أسباب:

الأول: أدرك الإخوان المسلمون بعد شهرين من الحركة الاحتجاجية في سورية حجمهم الفعلي ودورهم المتواضع، فإن مركز ثقلهم حماه وحلب، ولم تستجب لهم هاتان المحافظتان، واعترف سالم بذلك فقال: (لا نملك قواعد تنظيمية

بالمعنى الاصطلاحي..).

السبب الثاني: تعرض الإخوان المسلمين للانتقاد من الداخل والخارج، فقد عاب عليهم أطراف الحراك الداخلي أن ينسبوا إلى أنفسهم تسيير التظاهرات، وأنهم شذوا عن خط المعارضة العام، وأما في الخارج فقد نبهتهم تركيا إلى مخاطر سلوكهم السياسي الذي يثير الحرج ويخلق أزمة دبلوماسية.

السبب الثالث: التنصل من ممارسات الحراك الداخلي التخريبي في سورية.

مع هذا فقد كان لهم دور في توجيه الاحتجاجات وتأجيج الأزمة، فقاموا بتحويل الاحتجاجات إلى عصيان مسلّح، كما أفاد الصحفي البريطاني روبرت فيس.

وتأكيداً لذلك نشرت صحيفة bbc news وغيرها الكثير من المصادر الإعلامية المقربة من الإخوان: بأنّ الإخوان المسلمين طالبوا الغرب بتسليح المعارضة، لتحويل المظاهرات إلى أعمال قتل وتفجير وعنف، جاء فيها: (دعت جماعة الإخوان المسلمين في سورية الولايات المتحدة وأوربا إلى إمداد

المعارضة المسلحة في سورية بالدعم العسكري).

كما طالبت الجماعة عام (٢٠١٢م) بالتدخل العسكري المباشر للقوى الغربية، وذلك عقب بادرة خير ومصالحة أطلقها السيد الرئيس بشار الأسد بالعفو عن المعارضين غير المتورطين بالدم بتاريخ .....

فكان الجواب على لسان ملهم الدروبي أحد قيادات إخوان الشياطين بالدعوة صراحة إلى التدخل العسكري الأجنبي، وإرسال قوات أجنبية إلى سورية بشكل مباشر لتحقيق أحلام الإخوان التي لم يستطيعوا تحقيقها.

الفصل الخامس:
الجهاد في الإسلام حقائق علمية نقض أوهام العصابات التكفيرية[1]

مقدمة: تعريف الجهاد، وأنواعه

هو بَذلُ الجُهدِ في سبيل إعلاء كلمة الله، والتعريفِ بالحق الذي ابتَعثَ اللهُ به الرُّسُلَ والأنبياء، والدّعوةِ إلى التّمسك بهذا الحق.

أنواع الجهاد:

الساحة الجهادية الأولى: هي ساحة الدعوة إلى الله، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ويتمُّ هذا الواجب من خلال التعريف بالإسلام ومبادئه، وإزالة الشبهات التي قد تتسلل إلى طريق فهمه والاقتناع به، والثّباتُ على الصَّدعِ بكلمة الحقّ مهما جرّ ذلك من أنواع الشِّدَّة والإيذاء، فهذا هو الأساس الأول في شرائع الجهاد وأحكامه، وهو الركن الركين فيه.

وقد استقرّ في أذهان الناس أن الجهاد إنما شُرِع بعد هجرة

---

(١) هذا البحث مأخوذ بتصرف واختصار من كتاب (الجهاد كيف نفهمه، وكيف نمارسه؟) للإمام الشهيد محمد سعيد رمضان البوطي.

رسول الله ﷺ إلى المدينة، غير أن الحقيقة ليست كذلك، فالعهد المكِّيُّ من حياة رسول الله ﷺ حَفَلَ بالجهاد كما حَفَلَ به العهد المدنيّ، والقرآن المكِّيُّ تحدّث عن الجهاد وأمر به كالقرآن المدنيّ تماماً.

إننا نقرأ في سورة الفرقان -وهي مكّيّة كلُّها- قوله عزّ وجلّ: ﴿فَلا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا﴾ [الفرقان: ٥٢] أي: جاهدهم بالقرآن وحُجَجِه.

وسبب هذا الذي استقرّ في أذهان كثير من الناس أنهم حصروا الجهاد في معناه القتالي الذي شُرِعَ بعد الهجرة، ولقد أدّى هذا التصوّر إلى إزالة سِمَة الجهاد عن أهم أنواعه، وهو الجهاد باللسان والفكر والمال.

والحقيقة هي أنّ الجهاد القتالي في الشريعة الإسلامية ليس أكثر من العين الساهرة التي تحرس حقوق الأمة، وآية ذلك أن المسلمين عاشوا في مكة مع رسول الله ﷺ ثلاثة عشر عاماً يَتعرَّضون لأصناف من الاستهانة والإيذاء، دون أن يُؤذَن لهم بالقتال، فلم يُقابل رسول الله ﷺ إيذاء المشركين له ولأصحابه بأي مقاومةٍ قتالية، بل كان جهاده ﷺ محصوراً في الثبات على الدعوة والصبر على الأذى، فحياةُ المصطفى ﷺ في مكة بعد البعثة -والتي

دامت ثلاثة عشر عاماً- كانت مقرونةً بهذا النوع الذي هو أساسُ الجهاد في حياة المسلمين وفي الشريعة الإسلامية.

ثمّ شُرِع بعد ذلك الجهادُ القتالي نتيجةً لعوارض الظروف والأحوال، فهو بمثابةِ الدّواء الذي يُلجَأ إليه فراراً من الأوجاع والأمراض.

المبحث الأول: الجهاد الدّعَوي، حكمته وساحاته الواسعة

• يُفتتح باب الجهاد في كتب الفقه عادة ببيان هذا الركن الأساس منه، حتى يتبين لكلِّ دارسٍ ومُستَبْصِرٍ أن الدعوة إلى الله هي الساحة الجهادية الأولى ؛ ثم يأتي دور الجهاد القتالي بأنواعه المختلفة، لكونه فرعاً عنها وحصناً لها، وهذا ما نص عليه فقهاء المسلمين في كتبهم.

• وإن جهاد النبي ﷺ منذ البعثة وحتى الهجرة كان بدعوته للمشركين باللسان، وإقامة الحجج والبراهين ورد الشبهات.

فعدم وجود نوع ثانٍ في ذلك الوقت دليلٌ على أن هذا الجهاد هو الجهاد الأساس، والنوع الثاني وُجِدَ بَعد أن ثار الكافرون على تلك الدعوة بالصدّ وتهديد القائمين بها.

يقول الله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾ [فصلت: ٣٣]، فقوله تعالى: (وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً) استفهامٌ تَعَجُّبِيٌّ لبيان أهمية هذا الجهاد، أي وهل يُوجد من هو أحسن شأناً وفعلاً وقولاً ممن دعا إلى الله وعمل صالحاً وقال إنني من المسلمين ؟ فهذا هو أفضل أنواع الجهاد.

ما هي الحكمة من مشروعيّة الجهاد الدّعوي:

إن الله تعالى شرّفَنا بمعرفته ومن ثمّ فقد عَرَّفَنا على أنفسنا عباداً له، وضريبة هذه المعرفة التي هي مِن أَجَلِّ النِّعَم التي أكرمنا الله بها أن نتوجَّهَ إلى إخواننا في الإنسانية، فنحاولَ جاهدين أن يَنعَموا بمثل هذه المَكرُمَة التي أكرمنا الله سبحانه وتعالى بها.

ضريبةُ محبّة الله عزّ وجلَّ لنا إِذْ فَتَح عُقولَنا لمعرفة ذاتِه وفتح أفئدتَنا لمحبَّته وتعظيمِه، أن نغارَ على إخواننا في الإنسانية، فنهديَهم إلى مثل ما هُدِينا إليه.

والسبيل إلى ذلك يتمثَّل في قائمة من الوظائف هي الجهاد، وأول بندٍ فيها هو الدعوة إلى الله بمُحاورة الآخرين ابتغاءَ شَدِّهم عن طريق العلم إلى معرفة الله والإيمان به، وفتح أفئدتهم لمحبّته ومَهابته.

فالدّعوة إلى الله هي نوع من أهم أنواع العبادة التي يُتَقرّبُ بها إلى الله سبحانه وتعالى، وهي من نوع المهمة التي بُعِث بها رسول الله ﷺ، مع فارقٍ واحدٍ هو أن محمداً ﷺ كُلِّف أن يَنهض بهذه المهمة طبقاً للوحي الذي يُواكِبُه في دعوته باستمرار، أما أصحابُه والذين سيأتون من بعدهم ؛ فَمُهِمَّتُهم أن يَسلُكوا السبيلَ ذاتَه بالانضباط بالآداب التي سيتركها لهم، فهو ﷺ أُرسِل مُبلِّغاً،

ونحن كُلِّفْنا أن نسير على قدمه، ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾ [الأحزاب: ٢١]. ولذلك يقول ﷺ: (بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَة)[1].

حكم الجهاد بالدعوة إلى الله:

الجهاد بالدعوة حُكم تبليغي يَشمل المسلمين عامة، خاطب الله تعالى به عِبَادَهُ فَرداً فَرداً، وأمر كُلاً مِنهم بالنهوض بِه دُونَ وِسَاطَةِ الأئمة والحكام، لكنه يَقِفُ عِندَ حُدود الوجوب أو الفرض الكفائي، قال تعالى: ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ ﴾ [آل عمران: ١٠٤].

وقد يَكون بِبَذلِ المال أو بالسفر لتعريف الناس بدين الله، أو بإزالة الاتهامات والشُّبُهات التي تُلصَق بالإسلام والرّدّ عليها بالطرق الموضوعية السليمة.

وأقلُّ مَسَاحَاتِ حَرَكَةِ المسلم ضِمنَ هَذِهِ الدَّعوَة هي أسرته، فعليه أن يَدعوَهم إلى الله عزَّ وجلّ، فإن تَأَتَّى له المزيدُ يَزيدُ المساحة شيئاً فشيئاً قدْرَ ثقافته وإمكاناته.

---

(١) أخرجه البخاري في أحاديث الأنبياء، باب ما ذكر عن بني إسرائيل، برقم (٣٢٩٢)، عن عبد الله بن عمرو ﷺ.

آداب الجهاد الدّعوي وشروطه:

● **العلم**: فالشريعة الإسلامية لا تُجيزُ لإنسانٍ أن يَعِظَ الناسَ مَوعظةً عاطفيةً وجدانيةً فارغةً من العِلم، ولا يُشتَرَطُ أن يكون مُطَّلِعاً على كلّ علوم الإسلام، بل يَكفيه أن يكونَ خَبيراً في الأمر الذي يُريد أن يُحاور الناس فيه.

● **أن يَكون الداعي بصيراً بسُلَّم الأولويّات**: فَلَرُبَّمَا أراد أن يَنهى عن مُنكرٍ فَتَسَبَّبَ نَهيُه في وُقوعِ مُنكرٍ أَخطر منه، فيعلم أن عليه السكوت عن هذا المنكر ابتعاداً عما هو أخطر منه.

● **أن لا تَنبعث أعمال الدعوة الإسلامية إلا مِن شُعورٍ غَامِرٍ بِالشفقة والرحمةِ لعباد الله جميعاً**: فعلى كُلِّ مَن جَنَّدَ نَفسهُ داعياً إلى الله أن يَجعلَ مِن قَلبِهِ وِعَاءً يَفيضُ بِالرحمةِ لِعبادِ اللهِ كُلهم، على اختلافِ نِحَلِهِم وَمِلَلِهِم وَمَشَارِبِهِم واتجاهاتهم.

ولا يتحقق ذلك إلا بأن يُضَحِّي الداعي بحظوظه الشخصية ومصالحه الدنيوية في سبيل تحقيق الخير لهم جميعاً، وهيهات أن تَكون الدعوة هي المنطلق الجهادي الأول لو لم تَكن قائمة على هذا الشرط والأساس، أوليسَ هو القائل عن رسوله محمَّد ﷺ: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴾ [الأنبياء: ١٠٧].

فإن بقيت في نفسكَ شائبةُ رَيب، فارجع إلى حياةِ سيدنا

محمدٍ ﷺ -وأنت تعلم أنه سيد الدعاة إلى الإسلام وإمامهم في ذلك- فتأَمَّل مَدى رحمته بالناسِ كلهم. ألم تسمع قولَه ﷺ: **«الرَّاحِمونَ يَرْحَمُهُمُ الرَّحْمَن، ارْحَموا مَنْ فِي الأَرْضِ يَرْحَمْكُمْ مَنْ فِي السَّماء»**[1]. أولم تعلم أنَّ بعضَ أصحابه قالَ لهُ: يا رَسولَ الله، ادْعُ عَلى الْمُشْرِكين، فَقالَ ﷺ: **«إِنِّي لَمْ أُبْعَثْ لَعَّانًا، وَإِنَّمَا بُعِثْتُ رَحْمَةً»**[2]. وقد صحَّ عنهُ ﷺ أنهُ لم يُطلَب مِنهُ الدعاء على أحدٍ من الناس، مسلماً كانَ أو كافراً، عموماً أو خصوصاً، إلا وعدَل عن الدعاء عليه إلى الدعاء له بالرحمة والمغفرة والهداية: **«اللَّهُمَّ اهْدِ ثَقِيفًا، وائْتِ بِهِمْ»**[3]. وقَدِمَ طُفَيْلُ بْنُ عَمْرٍو الدَّوْسِيُّ وَأَصْحابُهُ عَلى النَّبيِّ ﷺ، فَقالُوا: يا رَسولَ الله، إِنَّ دَوْساً عَصَتْ وَأَبَتْ، فادْعُ اللهَ عَلَيْهَا، فَقيلَ: هَلَكَتْ دَوْس، قَالَ: **«اللَّهُمَّ اهْدِ**

---

(١) أخرجه أبو داود في الأدب، باب في الرحمة، عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، برقم (٤٩٤١). وأخرجه الترمذي في البر والصلة، باب ما جاء في رحمة المسلمين، عن عبد الله بن عمرٍو رضي الله عنهما، برقم (١٩٢٤).

(٢) أخرجه مسلم في البر والصلة، باب النهي عن لعن الدواب وغيرها، عن أبي هريرة ﷺ، برقم (٢٥٩٩).

(٣) أخرجه الترمذي في المناقب، باب مناقب في ثقيف وبني حنيفة، عَنْ جابِرٍ رضي الله عنه قال: قالُوا: يا رَسولَ اللهِ أَخْرَقَتْنا نِبالُ ثَقِيفٍ فادْعُ اللهَ عَلَيْهِم. قالَ: «اللَّهُمَّ اهْدِ ثَقِيفًا» وقال الترمذي: «هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ».

دَوْسَاً وَأْتِ بِهِمْ»[1].

فهيهات أن يكون الإنسان ناصحاً إذا كان مُبغضاً لمن يَنصح، وهذا لا يتعارض مع ما هو مُقَرَّرٌ من ضرورة البُغض في الله، لأنه لا يَعني أن تَكون في نَفس المسلم أيّ كراهية للشخص بالذّات، بل يتّجه البُغض إلى المعصية التي تَلبَّس بها أو الكفر الذي أصرّ عليه، وهذا في حقيقته ليس إلا معنىً من معاني الشفقة على شخص العاصي، وهذا ما عَنَاهُ سيدنا لوط -على نبيّنا وعليه الصلاة والسلام- عندما قال لقومه فيما رواه ربُّه عنه: ﴿قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُم مِّنَ ٱلْقَالِينَ﴾ [الشعراء: ١٦٨]. فالداعي طبيب والْمَدعوّ مريض، والطبيب لا يكون طبيباً ناجحاً إلا إذا اندفع إلى تطبيب مريضه بدافع من الشفقة والرحمة.

إن معنى البغض في الله أن يبغضَ المسلم من الشخص تلبسه بالمعاصي، بحيث لا تكون في نفسه أي كراهية لشخصه بالذات، ولا ريب أن مبعث هذا البغض إنما هو الغيرة عليه والمبالغة في حب الخير له.

---

(١) أخرجه البخاري في الجهاد والسير، باب الدعاء للمشركين بالهدى ليتألفهم، عن أبي هريرة ﷺ، برقم (٢٨٠٠). وأخرجه مسلم في فضائل الصحابة رضي الله تعالى عنهم، باب من فضائل غفار، عن أبي هريرة ﷺ، برقم (٢٥٢٤).

ولا يتأتّى الوصول إلى هذه الدرجة إلا لمن طهر قلبه من السخائم والأحقاد بكَثرة الذكر والالتجاءِ إلى الله في جوف الليل، أن يأخذه من نفسه ويجعله لا يرى إلا الْمُكوِّن، عندئذٍ يأتيه التجلي الرباني ويزول غَبَش الكراهية مما بينه وبين الناس، فيَنفذ كلامه إلى قلوبهم.

وصفوة القول أن الدعوة إلى الله عبادة بل عبودية ضارعة لله، يتجه بها الداعي إلى عقول الناس وقلوبهم، لإقناع الأولى بالحق، وتطهير الثانية من الأدران والآفات، وإنما يَنهض المجتمع الإسلامي على عقول تُؤمن بالحق وتذعن له، وقلوب اتجهت إلى الله بالخوف منه والحب له.

• **الدعوة إلى الله تقوم على النصيحة الطوعية لا على الأمر القسري:**

فيجب أن تقف عند حدود التعريف والتذكير والنصح، فلا يجوز للداعي أن يتجاوز بها إلى درجة الإكراه والإلزام، وكم أكَّدَ البيان الإلهي هذه الحقيقة لرسول الله ﷺ، وكررها بأساليب شتى، من ذلك قولُ الله عزَّ وجلّ: ﴿ فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ﴿٢٢﴾ إِلَّا مَن تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ ﴿٢٣﴾ فَيُعَذِّبُهُ ٱللَّهُ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَكْبَرَ ﴾ [الغاشية: ٢١ - ٢٤]. ومن ذلكَ قوله تعالى: ﴿ فَإِنْ أَعْرَضُوا۟ فَمَآ

﴿أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ﴾ [الشورى: ٤٨]. ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَإِنْ مَا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ﴾ [الرعد: ٤٠]. ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ [يونس: ٩٩].

ولاحظ أن في هذه الآيات ما هو مدني، أي نزل بعد مشروعية الجهاد القتالي، ومعنى هذا أن الدعوة لم تتحول -في عهدٍ ما- من نصحٍ اختياري إلى أمرٍ قسريّ. فالإسلام مُعتقد يَسري إلى العقل عن طريق العلم، ثم هو حُبٌّ يَسري إلى الفؤاد تعظيماً لحرمات الله وحباً له ومخافة ومهابة منه، والداعي إلى الله يستطيع أن يُرغم اللسان، ولكنه لا يستطيع أن يدخل إلى قلب المَدعوّ فيُرغمه على الإيمان، ولو أنه خوَّفه بالسلاح فنطق بالشهادة فالله تعالى لا يقبل منه ذلك، يقول رسول الله ﷺ: **(إِنَّ اللهَ لا يَنْظُرُ إِلى أَجْسادِكُمْ وَلا إِلى صوَرِكُمْ، وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلوبِكُمْ)**[1].

وهذا هو معنى قوله تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ فـ (لا) هنا

---

(١) أخرجه مسلم في البر والصلة والآداب، باب تحريم ظلم المسلم، برقم (٢٥٦٤) عن أَبي هُرَيْرَةَ ﷺ.

ليست ناهية، بل هي نافية لجنس الإكراه، أي حتى ولو أردتم إكراه الناس على الدِّين لا يتَأتّى لكم ذلك لأن قلوبهم بيد الله، والجملة هنا خَبريّةٌ وليست إنشائية.

وقد سارتِ الدعوة إلى الله في عهد رسول الله ﷺ، وفي عهد الصحابة والخلافة الراشدة من بعده على هذا المنوال، واتسمت بهذه الطبيعة، ونُسِجَ من ذلك تاريخ مشهود ومقروء ليس فيه أي غموض أو لَبس.

فعندما دخل رسول الله ﷺ مكة يوم الفتح لم يُجبر أياً من أهلها على الإسلام، بل خطب فيهم قائلاً: (**ما ترون أني صانع بكم(قالوا: خيراً، أخٌ كريم وابنُ أخٍ كريم، قال: (اذهبوا فأنتم الطلقاء)**[1]. ولم يستقبل من المبايعين له إلا من سَاقَتْه إليه قدماه طوعاً...، وغادر رسول الله ﷺ مكة وفيها عدد كبير من المشركين.

فلو كانت الدعوة إلى الله تكون بالجَبْر لكان هذا خَيرُ وَقتٍ له، فرسول الله ﷺ دخل مكة من أعلى قِمَمِ النصر، ومع ذلك لم

---

(١) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى، كتاب السِّيَر، باب فتح مكة حرسها الله تعالى، برقم (١٨٠٥٥). وفي معرفة السنن والآثار، كتاب السِّيَر، المسلم يدخل دار الحرب فيشتري دارًا أو غيرها برقم (٥٦٧٤).

يحمل أهلها على الإسلام، بل تركهم وفيهم مُشركون.

ولما توجّه رسول الله ﷺ بعد فتح مكة إلى غزوةِ حُنين ذُكِر لِرَسولِ اللهِ ﷺ أَنَّ عِنْدَ صَفوانَ بنِ أُمَيةَ دُروعاً وأَسْلِحَة، فأَرْسَلَ إِلَيْهِ -وَهُو يومَئذٍ مُشْرِك- فَطَلَبَ مِنهُ الدُّروعَ والأَسْلِحَة، فَقالَ صَفوان: **أَغَصْباً يا مُحَمَّد ؟ قالَ: (بَلْ عَارِيةٌ مَضْمونَة)**[1].

وقد رُوي عَنْ غُلامٍ لِعُمَرَ بنِ الخَطابِ ﷺ اسمهُ وَسْقٍ كانَ نَصْرانيّاً، قالَ: كُنْتُ مَمْلوكاً لِعُمَرَ بْنِ الْخَطّاب، فَكانَ يَقولُ لي: (أَسْلِمْ، فَإِنَّكَ إِنْ أَسْلَمْتَ اسْتَعَنْتُ بِكَ عَلَى أَمانَةِ الْمُسْلِمين، فَإِنَّهُ لا يَنْبَغي لي أَنْ أَسْتَعينَ عَلَى أَمانِتِهِمْ بِمَنْ لَيْسَ مِنْهُم (قالَ: فَأَبَيْتُ ، فَقالَ: ﴿ **لَآ إِكْرَاهَ فِي ٱلدِّينِ** ﴾ [البقرة: ٢٥٦]، فَلَمَّا حَضَرَتْهُ الْوَفاةُ أَعْتَقَني، فَقالَ: (اذْهَبْ حَيْثُ شِئْت)[2].

---

(١) ينظر: مسند أحمد (٢٧٦٣٦)، سنن أبي داود في البيوع، باب في تضمين العارية، (٣٥٦٢) ، السنن الكبرى للنسائي، في العارية والوديعة، باب تضمين العارية (٥٧٧٩).

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم، سورة البقرة، قوله (لا إِكْراهَ في الدِّينِ) (٢٦٥٠). وأبو نعيم في الحلية (٩/ ٣٤) وغيرهما، وهو في مصنَّف ابن أبي شيبة في الأَيمان والنذور والكفارات، في عتق اليهودي (١٤١٠٧)، ولفظه: (عَنْ وَسْقٍ، قالَ: كُنْتُ مَمْلوكًا لِعُمَرَ، فَكانَ يَعْرِضُ عَلَيَّ الإِسْلامَ، وَيَقولُ: «لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ»، فَلَمَّا حُضِرَ أَعْتَقَنِي). وقد وقع اسمه في بعض المصادر (أسبق) وفي بعضها (أسَّق).

فإذا قام المسلمون بواجب الدعوة إلى الإسلام فقوبلوا بالاستهزاء والسخرية، فليس لهم أن يقاتلوا هؤلاء الذين سخروا منهم، وإنما يُخاطبونهم كما خاطب وفدُ نصارى الحبشة كفارَ قريش: ﴿ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡ لَا نَبۡتَغِي ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴾ [القصص: ٥٥].

● الإخلاص لله عز وجل بحيث لا تمتزج هذه الغاية بأي غاية أخرى:

فلا يَجعل الدّاعي من دعوته إلى الله وسيلةً لبلوغ منصبٍ أو للوصول إلى الحُكم، لأن الإنسان الذي يُمارس الدعوة إلى الله وهو يتأبّط مصلحةً مادية أو سياسية أو غيرها لن يُستجاب له، لأن دعوتَه تكون عبارةً عن لسانٍ يتحدّثُ بينما قلبُه يتأمّل في الأهداف التي يحلُم بها، وبمقدار ما يكون مُتَحرِّقاً على دين الله عزّ وجلّ وعلى الذي يدعوه ألا يكون غداً وقوداً لنار جهنّم، يَلقى كلامُه تأثيراً في النفوس.

أين تظهر ثمرة الجهاد الدّعَوي:

من المعلوم أن الإسلام أعطى الحرية لكل صاحب مذهب أو رأي أو اجتهاد أن يُعلن عن رأيه واجتهاده، وأن ينافح عنه بما يرى أنه الحق من الأدلة والحجج، فإن كان ذلك الرأي في حقيقته باطلاً مخالفاً لنصوص القرآن والسنة الصحيحة، فإن على

أئمة الدِّين وعلمائه أن يَدحضوا الباطل بالحق، ويكشفوا عن الزغَل بالحوار والنقاش. وهذا هو النهج الذي سار عليه المسلمون في العصور الذهبية للإسلام، وفي عصر السلف الصالح رضوان الله عليهم، فقد تكاثرت فيه الفرق الجانحة، كالمعتزلة والمرجئة والحشوية والخوارج وغيرهم...، فلم تُغلق في وجه أي منهم أبواب حرية البحث والنقاش وإعلان المذهب والرأي، بل كان مسجد البصرة والكوفة يَعج كل منهما بحلقات علمية تنتمي إلى كل هذه المذاهب وغيرها.

وعندما ذابت تلك المذاهب والفرق، وانطوت في تيار السواد الأعظم للأمة، لم يَكن ذلك نتيجة أي قَمع أو خَنق لأصوات تلك المذاهب أن تُعبر عن رأيها أو أن تُدلي بحجتها، وإنما كان نتيجة التلاقي المستمر في حلقات المناقشة والحوار، وها هو ذا سجل كثير من تلك المناقشات باقٍ ومتداول إلى هذا اليوم.

ولو جاز في الإسلام قَمعُ المذهب المخالف، لما تأتى الأمر بمجادلة قومه في قوله عزَّ وجلّ: ﴿**وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ**﴾ [النحل: ١٢٥]، إذ كيف تتم مجادلة من لا يَملك أن يُعَبر آمناً مطمئناً عن رأيه.

ولكن لا بدَّ من ملاحظة نأخـذها بعـين الاعتبـار: أن الحريـة الذاتية النابعة من قناعة صاحبها، دون التي يكون مدفوعاً إليها من جهةٍ أجنبية، كما هو الشأن اليوم بالنسبة لكثير مـن الأنشـطة التـي تتسرب إلينا من الخارج، ثم تستقر فيما بيننا تحت سلطان الحرية والحق الديمقراطي.

المبحث الثاني: الفرق بين الحركية الإسلامية وجهاد الدعوة إلى الله

إن كلمة "الدعوة" تدلُّ على معنىً لا يَتحقَّقُ إلا من خلال طرفين اثنين:

- داعٍ يُرشد ويبيّن ويدعو.

- مَدعوّ يَنطق واقعه بالحاجة إلى مَن يُرشده ويُبين له الحق، ويأخذ بيده لِيُنهِضَهُ مِن عثراته الفكرية، ويُحرره مما عَلِقَ بِه مِن شُبهات وأوهام.

إن الدعوة التي يَفهمها ويُمارسها أكثر الجماعات الإسلامية اليوم، ليست أكثر من أنشطة تدورُ حصراً بين أفرادها أنفسهم ! وتتمثل هذه الأنشطة -كما هو معروف- في مناقشات تدور بينهم حول المستجد من أوضاع المسلمين، والمشكلات التي تطوف بهم أو يعانون منها، وفي تحليل وتقويم واقع الحكومات والأنظمة القائمة في بلادهم خاصّة، أو في البلاد الإسلامية عامة، ثم في رسم الخطط التي تتكفَّل بترسيخ وجود أفضل وأكثر قوة لهم، على طريق السعي للوصول إلى مناطق الحكم والنفوذ، ثم في التحرك التعاوني المنظم لتنفيذ هذه الخطط بالسبل المتنوعة الممكنة.

فهل هذه هي الدعوة التي أمر الله عزَّ وجلّ بها في قوله:

﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ ﴾ [النحل: ١٢٥]، إنك لتنظر، فترى أن برزخاً كبيراً يفصل بين تلك الجماعات التي تنشَط نشاطها الحركي الذي أوضحناه، وهذا الخليط من التائهين والجانحين والجاهلين.

كلُّ هذا، في حين أن الإسلاميين أو الجماعات الإسلامية منصرفون إلى أنشطتهم الحركية الخاصة بهم والدائرة فيما بينهم، والهمّ الذي ينامون عليه ويستيقظون عليه هو كيفية وصولهم إلى الحكم، ومع ذلك فهم عند أنفسهم وقناعاتهم يُمثلون طليعةَ الدعاةِ إلى الله، من خلال هذا العمل الحركي !.

فمجتمعاتنا العربية والإسلامية بمقدار ما تفور بأنشطة الجماعات الإسلامية المتكاثرة، تعاني من الفقرِ الشديد والركود الخطير في مجال أعمال الدعوة إلى الله!

الداعي إلى الله بحق، يجيشُ وقودُ الدعوة بين جوانحه، في ضرام الحقيقة النبوية القائلة: «**لأَنْ يَهْدِيَ اللهُ بِكَ رَجُلاً خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَكَ حُمْرُ النَّعَم**»[1]، فهو يتجه بأمل الهداية إلى

(١) أخرجه البخاري في الجهاد والسير، باب فضل من أسلم على يديه رجل، برقم (٣٠٠٩) عن سهل ابن سعد ﷺ. وأخرجه مسلم في الفضائل، باب من فضائل=

الأفئدة والعقول، ويتعلق منهُ الطمع بعد ذلك برضا علام الغيوب، وينتظر من حصاد دعوته تربيةً قويمةً تَشيعُ بينَ الأفراد، واستقامةً على الخُلُق السليم والسلوك الرشيد في علاقة ما بينهم على كل المستويات.

أما الْمُتحرِّك سعياً إلى نصرة جماعته أو حزبه، فهو إنما يتجه بهم في حركة تكتيكية إلى مقاليد الحكم، ومن ثمَّ فهو أبعد ما يكون عن الاهتمام بإصلاح القلوب وإقناع العقول وتهذيب النفوس، وإنما همّه -بل كلُّ همّه- محصورٌ في أن يَقتنع الناس بضرورة إبلاغه إلى سدة الحكم والقيادة، ليُريَهم كيف يُفجّر لهم من نظامه الذي ينادي به جنة تزخر بأمواج السعادة للجميع، -حسب زعمه- بعد وصوله للحكم.

=علي ﷺ، برقم (٢٤٠٦) عن سهل بن سعد ﷺ.

المبحث الثالث: الجهاد القتالي، أهدافه، وآدابه

إن الجهاد الذي شرّف الله به هذه الأمة منذ فجر حضارتها لا يقوم على شيءٍ من دوافع العصبية أو العنصرية أيّاً كان نوعه، فلم يكن الجهاد يوماً بقصد القتل والاقتتال الذي تدور رحاه على البرآء الآمنين، بل إن هذه الصورة المشوهة للجهاد يُراد مِنها خنق الجهاد باسم الجهاد.

لماذا شرع الله تعالى للمسلمين الجهاد القتالي:

لم يكن للمسلمين في مكة وراء العقيدة التي يدعون إليها ويُحاورون في سبيلها أي حق ثابت ينهضون لحراسته ويقاتلون في سبيله إن اقتضى الأمر، ومن ثم لم يكن للجهاد القتالي أي موجب، ومن ثم لم يكن له أي وجود آنذاك، بل لقد علمنا أن النبي ﷺ ما كان يَستقبل عدوان المشركين له إلا بمزيد من الشفقة عليهم والرحمة لهم ! فما حَرَّك لِسانه بكلام قاسٍ لهم أو بدعاءٍ عليهم، حتى في أحلَكِ الساعات وأقسى الظروف التي مرت به وبالمسلمين في تلك السنوات الطوال التي أمضوها في مكة.

فلما هاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة وقد أسلم أكثر أهلها، نشأت أول دولة إسلامية بعد أن توفرت لها العناصر الثلاثة اللازمة لقيام أي دولة:

١- الأرض: حيث أصبح للمسلمين أرض تحميهم من أعدائهم، ويقدرون فيها على إظهار دينهم.

٢- الأمة الواحدة.

٣- النظام السُّلْطَويّ: الذي يَجمع الأمة الواحدة، وينظم العلاقة بين أفرادها ؛ مُكوّناً من أحكام الدين وتعاليمه.

فكان على المسلمين أن يَتحمّلوا مسؤولية حفظ هذه المَكرمة التي أكرمهم الله بها، ويدفعوا غائلةَ الْمُعتدين الذين بَدؤوا يتحرَّكون خوفاً من اتساع سلطة الدولة الإسلامية، فشَرَعَ اللهُ تعالى لهم القتال حِفاظاً على هذه الدولة ودفاعاً عنها، ونزلت أول آية بشأنه وهي قوله عز وجلّ: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾﴾ [الحج: ٣٩].

فرسول الله ﷺ لم يُقاتل في سبيل الحصول على دار الإسلام، ولم يُقاتل في سبيل بناء دولة إسلامية، أو إيجاد حشد من المسلمين تتألف منهم تلك الدولة ويتحقق بهم نظامها، وإنما قاتل بعد أن منحه الله ذلك كلَّه، حِراسةً له ودفاعاً عنه. فالجهاد القتالي إنما شرعه الله تعالى حِمايةً لموجود لا في سبيل إيجاد شيء معدوم.

وهذا هو سبب ارتباط مشروعية الجهاد القتالي بالهجرة إلى

المدينة، وليس السبب -كما يتوهم البعض- أنّ المسلمين كانوا في مكة قلة ضعفاء، إذ إن المسلمين كانوا في الكثير من المعارك التي خاضوها أقلّ من أعدائهم عدداً وأضعف عُدة، وقد غرس البيان الإلهي في قلوب المسلمين وعقولهم أن قِلَّتَهم لن تكون سبباً لِتغلُّبِ الأعداء عليهم، قال تعالى: ﴿كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٤٩].

هل الجهاد القتالي لدرء الحرابة أم للقضاء على الكفر؟

مفهوم الحِرابة: يُطلق عندما تَظهر وتَتجلى لنا أدلّة واضحة ثابتة على تَبييت نية العدوان، أو ثبوت التخطيط للعدوان، أو الْمُباغتة العدوانية. وهو المعنى المتداول حتى بين الدول بعضها مع بعض.

وتدلّ الآيات الصريحة في كتاب الله تعالى على أنّ مُوجب قتال المسلمين لغيرهم إنما هو العدوان الصادر منهم، وهي آيات كثيرة نزلت في سور متفرقة، ومنها ما نزل قبل وفاة رسول الله ﷺ بأشهر.

منها قول الله سبحانه وتعالى: ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾ [الممتحنة: ٨].

كما تَدلُّ أحاديث رسول الله ﷺ على النَّهي عن مُقاتلة غير الذي يُواجه المسلمين بالقتال والعدوان وإن كانوا كفاراً، فلو كان الباعث على القتال كفراً لاستوى في موجب القتل هؤلاء وغيرهم.

كما يدل على ذلك وصية سيدنا أبي بكر لجيش أسامة رضي الله عنهم أجمعين، فقد جاء فيها: (**إِنَّكَ سَتَجِدُ قَوْماً زَعَموا أَنَّهُمْ حَبَّسوا أَنْفُسَهُمْ لِلَّهِ، فَذَرْهُمْ وَما زَعَموا أَنَّهُمْ حَبَّسوا أَنْفُسَهُمْ لَهُ،... وَإِنّي موصيكَ بِعَشْرٍ: لاَ تَقْتُلَنَّ امْرَأَةً، وَلاَ صَبياً، وَلاَ كَبيراً هَرِماً، وَلاَ تَقْطَعَنَّ شَجَراً مُثْمِراً، وَلاَ تُخَرِّبَنَّ عامِراً، وَلاَ تَعْقِرَنَّ شاةً وَلاَ بَعيراً، إِلاَّ لِمَأْكُلَةٍ، وَلاَ تَحْرِقَنَّ نَخْلاً، وَلاَ تُفَرِّقَنَّهُ، وَلاَ تَغْلُلْ، وَلاَ تَجْبُنْ**)[1].

تفيدنا الأدلة السابقة -وغيرها كثير- أن الكفر يُعالج بالدعوة والتبليغ والحوار، وأن الحرابة "العدوان" تُعالج بالقتال، وما من آية نزلت في الجهاد القتالي إلا ونرى فيها أو في الآيات التي تحيط بها ما يُبرز أنَّ علَّة القتال هي الحرابة، أو نية العدوان والقتال، سواء في ذلك ما نزل مباشرة بعد الهجرة أو في آخر حياة النبي ﷺ.

---

(١) أخرجه الإمام مالك في الموطأ، كتاب الجهاد، باب النهي عن قتل النساء والولدان في الغزو.

فالجهاد القتالي لم يُشرَع لـجَبر الناس علـى الإسـلام -كمـا يحلو لبعض المفتئتين مـن محترفـي الغـزو الفكـري أن يقولـوا- ومتى كان الإسلام الذي يُساق الإنسان إليه كرهاً إسـلاماً مقبـولاً عند الله ؟! إذن لاسْتَوى المنافق والمؤمن في ميزان الله عز وجل، وأنى يكون ذلك ؟! وإنما شُرِع لحالةٍ طارئـةٍ وهـي العـداوة التـي استشْرَت لدى القبائـل العربيـة ضـد الدولـة الإسـلامية، وكـذلك العداوة التي ظهرت من الحضارة الرومانية والساسانية وغيـرهم، والدليل على ذلك ما ذكرنا مـن القـرآن والسُّـنَّة وعمـل الصـحابة ومَن بعدَهم.

شُبُهاتٌ حول نصوص

● هل يتعارض حديث (أمرتُ أن أقاتلَ الناسَ حتّى يشـهدوا أن لا إله إلا الله) مع ما سبق؟

غير أن شيئاً واحداً يُشكلُ على فَهـم هـذا الـذي أوضـحناه، ويمدُّ غَاشيةً من الغموض والاضطراب عليه، وهو الحديث الذي رواه ابنُ عُمَرَ رضي الله عنهما، أَنَّ رَسولَ اللهِ ﷺ قـالَ: (**أُمِـرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدوا أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّداً رَسولُ اللهِ، وَيُقيموا الصَّلاةَ، وَيُؤْتـوا الزَّكـاةَ، فَـإِذا فَعَلـوا ذَلِـكَ عَصَـموا مِنِّـي**

دِماءَهُمْ وَأَمْوالَهُمْ إِلاَّ بِحَقِّ الإِسْلامِ، وَحِسابُهُمْ عَلى الله»[1]. لقد كان الحديثُ مُشكِلاً حَقّاً لو كان نصهُ هكذا: "أُمِرتُ أن أَقتُلَ الناس...".

أما التعبير "أقاتل" وهي الكلمة التي عبَّرَ بها رسولُ الله ﷺ فيما أجمعَ عليه الرواة، فليسَ فيها لدى التحقيق ما يُناقض النصوص والدلائل التي أطلنا في بيانها، ومن ثمَّ فليسَ في فهم الكلمة أي إشكال.

وبيان ذلكَ أن كلمة "أقاتل" على وزن "أفاعل" تدلُّ على المشاركة، فهي لا تصدق إلا تعبيراً عن مقاومة من الطرفين، بل هي لا تَصدّق إلا تعبيراً عن مقاومةٍ لبادئٍ سبق إلى قَصدِ قَتْلٍ، فالمُقاوم للبادئ هو الذي يسمى مُقاتِلاً، أما البادئ فهو أبعد ما يكون عن أن يُسمّى مُقَاتِلاً، بل هو في الحقيقة يسمى قاتِلاً بالتوجّه والهجوم أو بالفعل والتنفيذ، إذ لا ينشأ معنى الاشتراك إلا لدى نهوض الثاني للمقاومة والدفاع.

إذاً فما هو معنى الحديث على ضوء هذا الذي أوضحناه ؟

---

(١) أخرجه البخاري في الإيمان، باب: ﴿فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم﴾ برقم (٢٥). وأخرجه مسلم في الإيمان، باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله، برقم (٥٤).

معناه: أُمرتُ أن أَصُدَّ أيَّ عدوان على دعوتي الناسَ إلى الإيمان بوحدانية الله، ولو لم يتحقق صدُّ العدوان على هذه الدعوة إلا بقتال المعادين والمعتدين فذلكَ واجبٌ أمرني اللهُ به ولا محيصَ عنه.

فإذا وَجد المسلمون من يحاول أن يُكمِّم أفواههم ويمنعهم من الإنفاذ بكلمة الدعوة إلى الله عزّ وجلّ وأصرّ على ذلك، فهذا نوعٌ من الاعتداء، ولهم عندئذٍ أن يواجهوا ذلك بالقوة إذا وُجدَت لدى المسلمين المُكنة اللازمة، ولا يُشترط بعد ذلك استجابة الناس لهذه الدّعوة، فمهمّة المسلمين تبليغ الدعوة إلى الناس، وتعبيد السّبُل إلى ذلك، **ثمّ عليهم أن يتركوا للناس حرّيّتهم في الاستجابة أو عَدَمِها.**

- **معنى حديث (بعثت بالسيف حتى يُعبد الله لا شريك له):**

الحديث الذي رواه ابن عمر رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: **(بُعْثْتُ بالسيف حتى يُعْبَدَ الله لا شريك له، وجُعل رِزقي تحت ظل رُمْحِي)**[1] حَديثٌ مُجمَلٌ -كما قال كثيرٌ من العلماء- وجملة (بعثت بالسيف) تحتمل معنَيَيْن:

(١) أخرجه أحمد، مسند عبد الله بن عمر رضي الله عنهما (٤٩٦٤).

١- إكـراهُ النـاس علـى الإسـلام حتـى يُعبَـد الله وحـده لا شريك له.

٢- حَمْلُ السلاح في وجه كل من يُعارض الدَّعوة إلـى الله، ويمنع من إبلاغ كلمة الله عزّ وجلّ إلى الناس.

فأيُّ المعنَيَيْن هو الصحيح ؟

من قواعد أصول الفقه أنه **لا يجوز أن يُفسَّر القرآن إلا على ضوء القـرآن والسّـنّة، ولا يجـوز أن تُفسَّـر السُّـنّة إلا على ضـوء القرآن والسّنّة**، فلا يَجوز لنا أن نَلتقط حـديثاً ونسـجنَ أنفسـنا فيـه وحده، ثم نحاولَ تفسيره لأننا سنخطئ.

إذا عرضـنا هـذا الحـديث علـى سُـنَّة رسـول الله ﷺ القوليّـة والفعليّة، نجد أنه ﷺ لم يُجبر أحداً على الدخول في الإسلام كما أوضحنا سابقاً، بل إنه ﷺ دافع عن قبيلة خُزاعة رَغم شركها، ومـا كان فـتح مكـة إلا لـذلك، كمـا أنـه ﷺ تَكفّـل بـدفع دِيَـةِ رَجلَـين مُشركَين قتلهما عمرو بن أمية الضَّمري خطأً، كمـا قـال ﷺ: «ألا لا يُفْتَـنـنَّ نَصـراني عـن نصـرانيته، ولا يُفْتَـنـنَّ يهـودي عـن يهوديته»[1].

(١) ينظر: معرفة الصحابة لأبي نعيم الأصبهاني (٢٧٢٢) السنن الكبرى للبيهقـي فـي الجزية، باب كم الجزية (١٧٣٦٤)، الأموال للقاسم بن سلام في سـنن الفـيء،=

فعلى ضوء كل ما سبق لا يمكن أن يكون معنى (بعثت بالسيف) إجبارُ الناس على الإسلام، لأننا لو فسرناه بهذا المعنى فإننا نمزّق كل أحاديث رسول الله ﷺ المخالفة لمعنى الإكراه على الدخول في الإسلام.

إذن فمعنى قوله ﷺ: (بُعِثتُ بالسيف حتى يُعبَد اللهُ لا شريك له(أي: **كُلِّفتُ أن أقاتلَ كُلَّ مَن أرادَ أن يَصدَّني عن الدعوة إلى الله، ويغلقَ عليَّ سَبيلها ويَكُفَّ لساني عنها**، وهذا ما أجمع عليه الفقهاء.

أما قوله ﷺ: (**وجُعِل رزقي تحت ظل رمحي**) فهو كقوله: (**أُعْطيتُ خَمْسَاً لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ قَبْلي، كانَ كُلُّ نَبي يُبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ خاصَّةً، وَبُعِثْتُ إِلَى كُلِّ أَحْمَرَ وَأَسْوَدَ، وَأُحِلَّتْ لي الْغَنائِمُ، وَلَمْ تُحَلَّ لأَحَدٍ قَبْلي، وَجُعِلَتْ لي الأَرْضُ طَيِّبَةً طَهوراً وَمَسْجِداً، فَأَيُّما رَجُلٍ أَدْرَكَتْهُ الصَّلاةُ صَلَّى حَيْثُ كانَ، وَنُصِرْتُ بِالرُّعْبِ بَيْنَ يَدَيْ مَسيرَةِ شَهْرٍ، وَأُعْطيتُ الشَّفاعَة**)[1] أي إذا انجلى القتال بين المسلمين وأعدائهم عن غنائمَ تركها الأعداء، فإن الله قد أحلّها

=باب الجزية (٤٥، ٥٧).

(١) أخرجه البخاري في التيمم (٣٣٥) ومسلم في أول كتاب المساجد ومواضع الصلاة (٥٢١) عن جابر ﷺ.

للمسلمين، وهذا المعنى صريح واضح في قوله ﷺ: (**وأحلت لي الغنائم، وحرمت على من كان قبلي**) وعلى ضوئه نفسر (**وجُعِل رزقي تحت ظل رُمحي**) فكلمة (ظل رمحي) هنا كناية عن الحرب، والمعنى: جعل الله لي هذه الغنائم رزقاً حلالاً، فالغنائم التي يَتركها الأعداء تُصبح ملكاً للدولة الإسلامية، وتوزّعها طبقاً لنظامٍ شرعي معروف في الفقه الإسلامي.

فالقاعدة إذن أننا إذا استشكَلنا آية في كتاب الله تعالى أو حديثاً للنبي ﷺ، فينبغي تفسيره على ضوء بقية الآيات والأحاديث المُتعلقة بالموضوع نفسِه، ولن نَجدَ عِندئذٍ تَناقضاً أو تعارضاً، وهذا معنى قول علماء الأصول: "يُفسَّر العامّ من كتاب الله عزّ وجلَّ على ضوء الخاصّ، ويُفسَّر المُطْلَق على ضوء المُقَيَّد".

المبحث الرابع: متى يَملك المسلمون حَقّ الجهاد القتالي؟

إن المقاومة المشروعة للحرابة لا تَكون مَحصورة في وقوع العدوان فقط، بل يَحقُّ للمسلمين التصدي، بل البدء بالهجوم على من بيّتوا في أنفسهم هذا القصد، شريطة أن تستبين دلائله، وذلك حسب ما يراه خليفة المسلمين أو رئيس الدولة في كل عصر.

وهذا ما كان رسول الله ﷺ يفعله في كثير من الأحيان، يُسابق بذلك كيدَ المشركين ومَن معهم، كي يُفوّت عليهم الفرصة، إذ إن السرعة الخاطفة هي عَصب النصر في الحرب، وإنما يَمتلك النصر فيها من امتلك فيها زِمام المبادرة، ومن هنا انقسم الجهاد القتالي في حياة سيدنا رسول الله ﷺ إلى قسمين:

١- **حرب دفاعية**: كما في غزوة بدر وأحد.

٢- **حرب هجومية**: كما في غزوة خيبر، حيث عَلِم رسول الله ﷺ أن حِلفاً خَفياً قد تمَّ بين يهود خيبر وقبيلة غطفان، لاتخاذ موقف موحد ضد المسلمين، وكانت غطفان تُؤيد اليهود في أي عمل عدواني يواجهون به المسلمين، فكان أنْ أسرع رسول الله ﷺ فقطع الطريق بينهم وبين غطفان، وبَيَّتَهم بغارة مُباغتة.

وكما في غزوة مُؤتة التي جاءت بعد عدوانٍ وَحشيٍّ من

ملك بصرى، عندما أخذته العزَّة، فعَدا على رسول رسول الله ﷺ إليه (الحارث بن عمير الأزدي(فقتله، وقد كان الرسل –ولا يزالون– في عُرْفِ العالم كلِّه، فوق مُستوى التعرض لأي خطرٍ أو إيذاء.

لقد شهد تاريخُ الفتوحات الإسلامية التي كانت بقيادة رسول الله ﷺ، ثم التي كانت بقيادة الخلفاء من بعده، أنه ما من غزوة عُقِد لواؤها إلا وكانت رداً على عدوان واقع أو مُتَوقَّع، أي عدوان خفي يُخَطَّط له، والقاعدة العسكرية تقضي بالإمساك بزمام المبادرة وتفويت الفرصة على الأعداء في الهجوم على ديار المسلمين.

آداب الجهاد القتالي:

• **لا يجوز مقاتلة الذين لا يواجهون المسلمين بالقتال والعدوان وإن كانوا كفاراً:** فلا يجوز مقاتَلة الرهبان الذين نذروا أنفسهم للعبادة، ولا الرجال غيرِ المقاتِلين، ولا مقاتلة النساء ولا الشيوخ، ولا الأُجراء الذين أُرغموا على الخروج للقتال، عَنْ رَباحِ بْنِ رَبيعٍ رضي الله عنه قالَ: كُنّا مَعَ رَسولِ اللهِ ﷺ في غَزْوَة، فَرَأَى النَّاسَ مُجْتَمِعينَ عَلَى شَيْءٍ، فَبَعَثَ رَجُلاً فَقالَ: (انْظُرْ عَلامَ اجْتَمَعَ هَؤُلاءِ؟) فَجاءَ فَقالَ: عَلَى امْرَأَةٍ قَتيلٍ. فَقالَ: (ما كانَتْ هَذِهِ

لِتُقاتِل) قالَ: وَعَلَى الْمُقَدِّمَةِ خالِدُ بْنُ الْوَليدِ، فَبَعَثَ رَجُلاً فَقالَ: (قُلْ لِخالِدٍ لا يَقْتُلَنَّ امْرَأَةً وَلا عَسيفاً)[1].

كما يَدل على ذلك وصية سيدنا أبي بكر لجيش أسامة رضي الله عنهم أجمعين التي ذكرناها سابقاً.

أما مُهَاجَمة الناس الآمنين في بيوتهم فجريمةٌ شنعاء جاء الإسلام ليقضي عليها لا ليُبرِّرَها.

فالجهاد القتالي لا ينتقم من الأعداء وإنما يَدفع العدوان، والشريعة الإسلامية تُذكّرنا ألا نلقي الإنسانية دَبْرَ آذانِنا حتى في حالة الحرب، يقول الله تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ ۝٦﴾ [التوبة: ٦]

● **لا يجوز أن يَتطلّع المسلمون إلى اقتناص شيء من أموال أعدائهم**: عَنْ رَجُلٍ مِنَ الْأَنْصارِ قالَ: خَرَجْنا مَعَ رَسولِ اللهِ ﷺ في سَفَرٍ فَأَصابَ النّاسَ حَاجَةٌ شَديدَةٌ وَجَهْدٌ، وَأَصابوا غَنَماً

(١) أخرجه أبو داود في الجهاد، باب في قتل النساء، برقم (٢٦٦٩). وأخرجه الترمذي في السير، باب في النهي عن قتل النساء، برقم (١٥٦٩). وأخرجه ابن ماجه في الجهاد، باب الغارة والبيات وقتل النساء، برقم (٢٨٤٢). وقال الترمذي: حديث حسن صحيح. والعسيف: الأجير.

فانْتَهَبوها، فَإِنَّ قُدورَنا لَتَغْلي إِذْ جاءَ رَسولُ اللهِ ﷺ يَمْشي عَلَى قَوْسِهِ، فَأَكْفَأَ قُدورَنا بِقَوْسِهِ، ثُمَّ جَعَلَ يُرَمِّلُ اللَّحْمَ بِالتُّرابِ، ثُمَّ قالَ: (إِنَّ النُّهْبَةَ لَيْسَتْ بِأَحَلَّ مِنَ الْمَيْتَة) أَوْ (إِنَّ الْمَيْتَةَ لَيْسَتْ بِأَحَلَّ مِنَ النُّهْبَة)[1].

• **لا يَجوز أن يُقاتِل المسلمون المسلمين بحُجَّة أنهم أعوان للظَّلَمة**: والدليل على ذلك قصة حاطب بن أبي بلتعة رضي الله عنه الذي أرسل كتاباً لقريش يُحذّرهم فيه أن رسول الله ﷺ عازمٌ على القدوم إلى مكة فاتحاً[2]، ومع ذلك فإن رسول الله ﷺ -وقد علم بالذي فعله حاطب- لم ينزع عنه صفة الإسلام، ولم يَحكم عليه بقتلٍ ولا إيذاء، ولم يَزِد على أن نصحه واستتابه مع أن الذي قدَّمه لقريش -وهم كفار حربيون- من المساعدة والعَونِ لا يُقدِّم مِثلَه جُلُّ مَن يُسمَّون اليوم بأعوان الظَّلَمة.

---

(١) أخرجه أبو داود في الجهاد، باب في النهي عن النهبة إذا كان في الطعام قلة، برقم (٢٧٠٥).

(٢) تنظر القصة عند البخاري في الجهاد والسير، باب الجاسوس، برقم (٣٠٠٧) وأخرجه مسلم في فضائل الصحابة، باب من فضائل أهل بدر رضي الله عنهم، برقم (٢٤٩٤).

المبحث الخامس: الفرق بين الجهاد والهرج (الفوضى)

لقد فرَّق الله سبحانه وتعالى في مُحكم تبيانه وبيَّنَ رسول الله ﷺ في سنته الثابتة الفرق جلياً بين الجهاد المبرور الماضية شرعته إلى يوم القيامة، والهرج الذي حَذَّر منه رسول الله ﷺ وحذر منه كتاب الله سبحانه وتعالى، بَيَّنَ الله وبيَّنَ رسول الله ﷺ الفرق بينهما جلياً كبيراً لا يَترك بينهما مجالاً لِلَبْسٍ.

أنبأنا المصطفى ﷺ أن الجهاد إنما هو مقاتلة الأعداء الذين أعلنوا الكيد للإسلام والمسلمين، واستمرؤوا السير إلى اغتصاب حقوقهم والنيل من مبادئهم وقيمهم، وهو ما قَد بَيَّنَه كتاب الله بعبارة صريحةٍ واضحة، لا تَقبل تأويلاً ولا التباساً، عندما قال:

﴿ إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ وَظَٰهَرُوا۟ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٩﴾ ﴾ [الممتحنة: ٩].

هذا هو الجهاد، وهؤلاء هم المجاهدون، بَيَّن ذلك كتاب الله بِنَصٍّ صريح قاطع، وبيَّنه لنا رسول الله ﷺ بعبارات شارحة لا تَدع مَجالاً لِلَبْس.

ثم إنه ﷺ بيَّنَ لنا الهرج، وميز بينه وبين الجهاد، وأوضح لنا أن الهرج هو أن يَتصادم المسلمون فيما بينهم بقتال انتصاراً

لعصبة أو غضباً لعصبة أو سيراً تحت رايةٍ عُمِّيَّة -أي سيراً تحت رايةٍ لا تعلم من يحملها وإلى أي غايةٍ يسير بها- هذا هو الهرج الذي بَيَّنَه لنا رسول الله ﷺ، ثم حَذر منه أيما تحذير ؛ فقال: **(مَنْ خَرَجَ عَلَى أُمَّتي، يَضْرِبُ بَرَّها وَفاجِرَها، وَلا يَتَحاشَى مِنْ مُؤْمِنِها، وَلا يَفي لِذي عَهْدٍ عَهْدَهُ، فَلَيْسَ مِنّي وَلَسْتُ مِنْه)**[1].

إذاً قد أوضح الكتاب المبين -كتاب ربنا جل جلاله- ومن ثم شَرَحَ لنا رسولنا محمد ﷺ الفرق بين الجهاد المبرور الماضي إلى يوم القيامة، وبين الهرج الذي هو علامة من علامات قيام الساعة، والذي هو أخطر بابٍ وأوسع بابٍ إلى الفتنة الدهماء، ومع ذلك فإننا لنسمع ونرى ما لا يصدقه العقل، نرى أناساً يزعمون أن الجهاد قد التبس عليهم بالهرج، يَدعون إلى الهرج ويرفعون لواءه، ويزعمون أنه الجهاد في سبيل الله، يأمرون بما نهى رسول الله ﷺ عنه، يأمرون بما حذر منه كتاب الله عز وجل، ويقولون إنه الجهاد، ويعرضون عن الجهاد الذي أمر به رسول الله ﷺ ويخذِّلون منه.

---

(١) أخرجه مسلم في الإمارة، باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين عند ظهور الفتن وفي كل حال وتحريم الخروج على الطاعة ومفارقة الجماعة، برقم (١٨٤٨).

ثم إننا ينبغي أن نتساءل عن النتيجة التي يُحقِّقها الجهاد الذي أمر به الله عز وجل، والنتيجة التي يستثمرها الهرج الذي نهى عنه رسول الله ﷺ، بل نهى عنه كتاب الله عز وجل:

- أما الجهاد المبرور الذي أعلن عنه بيان الله قائلاً: ﴿ وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْ ﴾[البقرة: ١٩٠].

تنفيذ هذا الأمر الإلهي والسير إلى ما أمر الله به بالجهاد يرفع رأس الأمة عالياً، يجعلها تتفيأ ظلال الأمن والسلم الحقيقيين، يجعلها تمتلك حقوقها المادية والمعنوية، يَجعلها عزيزة في نفسها منيعة في أعين أعدائها، هذه هي ثمرة الجهاد الذي أمر به كتاب الله عز وجل وأمر به رسول الله ﷺ، الجهاد الذي يخذِّل منه الذين يصرون على الدعوة إلى الهرج.

- أما الهرج -وهي تسمية اختارها رسول الله ﷺ- فما هي عاقبة الهرج، ما هي عاقبة تصادم المسلمين بالقتال ؟ لا يدري - كما قال رسول الله ﷺ- القاتل فيما قَتَل، ولا يدري المقتول فيما قُتِل.

عاقبة ذلك أن تتسع دائرة الأحقاد السائرة بين المسلمين بعضهم مع بعض، وأن تتحول الأحقاد إلى ثأر يهيمن على

النفوس والقلوب، ومن ثم فإن الوطن يَهلك ويتمزَّق تحت سنابك هؤلاء المتقاتلين، الأغنياء يتحولون إلى فقراء مُدقِعين، والفقراء يتحولون إلى جائعين، يهلكهم الجوع ويشيع فيما بينهم البؤس والهلاك، يتحوَّل الوطن الواحد إلى قطع مُبَضَّعَةٍ، ويتحول إلى فئات مُتقاتلة متخاصمة، فئات تغرق في بحار من الدماء فيما بينها، والإصلاح الذي يتحدث عنه المسلم أين مكانه ؟ ليس له مكان إطلاقاً أمام هذا البلاء الماحق، أمام هذا الهلاك الذي يَحيق بالأمة وبالوطن، الديار تتهاوى والقتل يستحر، والدماء تتحول إلى أنهر، ومتى يُمكن لهذه الأمة أن تنهض من كبوتها ؟ لَسوف يَمر العقد والعقدان وثلاثة عقود، ولا تستطيع هذه الأمة أن تستيقظ من البلاء الماحق الذي أحاط بها، لا يُمكن للخراب أن يتحوَّل إلى عمران خِلال هذه المدة، وما السبب ؟ السبب هو الهرج.

أرأيتم إلى النتيجة التي يُحقِّقها الجهاد بالمعنى الذي شرعه الله، وبالمعنى الذي بيَّنَه لنا رسول الله ﷺ ؟

أرأيتم إلى الأثر المهلك المرعب الذي يُثمره الهرج الذي هو علامة -كما قال رسول الله ﷺ- مِن أقسى وأخطر العلامات الدالة على قرب قيام الساعة ؟

لا شَك أن احتلال العدو المشترك لأرض إسلامية من أكبر المصائب التي تحيق بالمسلمين، ولكن هذه المصيبة لا يُمكن أن تَتسرب إلى أرضٍ مِن بلاد الإسلام إلا من خلال بوابة واحدة لا ثاني لها، هذه البوابة هي الفتنة التي حَذر منها رسول الله ﷺ. فمن خلال هذه البوابة يَتسرب العدو إلى أرض المسلمين، ويبسط يده عليهم، ويغتصب حقوقهم.

وما هو المعنى الملخص للفتنة التي تحدث عنها رسول الله ﷺ حديثاً ضَافِياً ؟

هي **تتلخص في عدوان المسلمين بعضهم على بعض،** كُل مَا حدثنا عنه رسول الله ﷺ من الفتن وأنواعها يتلخص في هذا الشيء، عُدوان المسلمين بعضهم على بعض، وأحاديث الفتنة كثيرة جداً، وكلها يدور على هذا المعنى.

تأمَّلوا مثلاً في قوله ﷺ، فيما يرويه سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: (**لا تقوم الساعة حتى تقتلوا أئمتكم، وتعتلجوا بسيوفكم -أي تتقاتلوا أنتم المسلمين بأسلحتكم- ويرث دنياكم شراركم**).

انظروا إلى قول رسول الله ﷺ، فيما يرويه حذيفة بن اليمان رضي الله عنه -بَيت سرّ رسول الله ﷺ- أنَّه ﷺ قال: «**أما والذي نفسي بيده**

ستكون فِتَنٌ القاعد فيها خير من القائم، والقائم فيها خير من الماشي، والماشي فيها خير من الساعي(قال حذيفة: أرأيتَ يا رسول الله إن دَخل دَاري وشهر سيفَهُ عَليَّ وبسط يديه ليقتلني ؟ قال: (كُن كخير ابْنَيْ آدم(. أي كُن كما قال خَير ابْنَيْ آدم: ﴿ لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَۖ ﴾ [المائدة: ٢٨].

وسائر أحاديث الفتن تدور على هذا المحور ! إنها تتمثل في عدوان المسلمين بعضهم على بعض بذرائع مُختلفة يُبرِّرها الشيطان، ويحذر مِنها الرحمن سبحانه وتعالى.

وإني لأَذْكُر -ولعلكم جميعاً تذكرون- يوم كانت تنثر بذور هذه الفتنة التي نشهد ثمارها اليوم، يوم كانت تنتثر بذورها متمثِّلة في كُتُبٍ تُوزَّع مجاناً في مشارق الأرض ومغاربها، تنطوي على تكفير المسلمين، على تبديع المسلمين، على تحليل دماء المسلمين.

وكنا نقول: أيها الناس ! إنها بذور لفتن، وإن هذه البذور إذا استنبتت لن تُنبت إلا الحناظل، وإنها ستتفجر بالفتن التي حَذَّرَ مِنها رَسول الله ﷺ، ولكن لم يَكن الذين يَنثرون وينشرون هذه البذور، لم يكونوا يسمعون هذا التحذير قط، كانت هُنالك قِوىً ولا شك تدعم هذا العمل، تدعم هذا النثر والنشر ؛ مِن أجل أن

تتفتح بوابة الفتنة، فيتسرَّب العدوان من خلال هذه البوابة.

ما المبرر ؟ ارجعوا إلى بذور الفتن، البذور التي كانت تتمثل في الكتب المكفرة: إنهم أعوان سلطة، إذن فهم كفرة، إذن ينبغي أن يقتلوا.

أي دين قالها ؟

أي آية قالها الله عز وجل نصت على حكم بإطلاقه ؟

أي حديث نبوي صحيح عن رسول الله ﷺ تضمَّن هذا ؟

الذي يَعرفه المسلمون أن الإسلام يَتضمن نقيض ذلك، لا نعلم أن هنالك مَن كان عوناً لأعداء المسلمين، مثل حاطب بن أبي بلتعة، هذا الرجل المسلم الذي أرسل كتاباً سرّاً إلى أهل مكة المشركين، يُنبئهم بأن محمداً ﷺ قد جهز جيشاً ؛ وهو يَوشك أن يتجه إليهم لفتح مكة، فخذوا حذركم.

ومع ذلك فهل أهدر رسول الله ﷺ دمه ؟ هل قتله ؟ جاء من يُفكر في ذلك، فقال المصطفى ﷺ: **«وَما يُدْرِيكَ لَعَلَّ اللهَ اطَّلَعَ عَلَى أَهْلِ بَدْرٍ فَقَالَ: اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ، فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ»**[1].

---

(١) أخرج قصته: البخاري في الجهاد والسير، باب الجاسوس، برقم (٣٠٠٧). وأخرجه مسلم في فضائل الصحابة، باب من فضائل أهل بدر رضي الله عنهم،= =برقم (٢٤٩٤).

ولا مُبرر لهذا الذي يَجري اليوم مُتحدياً تَحذير رسول الله ﷺ، مُعرضاً عن أخباره المتكررة المنذرة المحذرة: «**والَّذي نَفْسي بيدِهِ، لا تَقومُ السّاعَةُ حَتَّى تَقْتُلوا إِمامَكُمْ، وَتَجْتَلِدوا بِأَسْيافِكُم**»[1]. أي تتقاتلون -أنتم المسلمين- بأسلحتكم، والسيوفُ كناية عن السلاح الموجود لكل عصر.

رسول الله ﷺ يقول هذا، ولكنا نسمع ما يَجري في كل يوم من دوران رحى القتل على مسلمين أمثالكم، وننظر إلى العدو الجاثم على الصدر، ننظر إلى العدو المستحل للأرض، الغاصب للحقوق، وإذا هو يَصفق ! وإذا هو لا يَبيع فرحته لأحد، أأنتم مجاهدون؟

أهذا هو الجهاد الذي تزرعون به الفرحة في قلوب أعدائكم؟

ومهما تاه مُسلم عن مبادئ دين الله، ومهما تاه مسلم عن كلام رسول الله ﷺ، فما ينبغي أن يغيب عن بيان الله سبحانه وتعالى المخبر والمحذر والمنذر: ﴿ **قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ**

---

(١) أخرجه الترمذي في الفتن، باب ما جاء في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، برقم (٢١٧٠). وأخرجه ابن ماجه في الفتن، باب أشراط الساعة، برقم (٤٠٤٣)، عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنهما، وقال الترمذي: حديث حسن.

عَلَيۡكُمۡ عَذَابٗا مِّن فَوۡقِكُمۡ أَوۡ مِن تَحۡتِ أَرۡجُلِكُمۡ أَوۡ يَلۡبِسَكُمۡ شِيَعٗا وَيُذِيقَ بَعۡضَكُم بَأۡسَ بَعۡضٍۗ ٱنظُرۡ كَيۡفَ نُصَرِّفُ ٱلۡأٓيَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَفۡقَهُونَ ٦٥ وَكَذَّبَ بِهِۦ قَوۡمُكَ وَهُوَ ٱلۡحَقُّۚ قُل لَّسۡتُ عَلَيۡكُم بِوَكِيلٖ ﴾ [الأنعام: ٦٥- ٦٦].

ها هو ذا: ﴿أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعاً وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْض﴾.

نراه بسبب التصرفات الرعناء التي يقوم بها المأجورون التكفيريون اليوم.

الخاتمة

إن هذا الاستعراض السريع على ما فيه من تفصيل لا يفي بيان عمق الاستهداف الذي عاشته الأمة من خلال الاختراق الكبير الذي تمثل في جماعات الإسلام السياسي، وفي مقدمتها الإخوان المسلمين، إخوان الشياطين والذي تطور بعد ذلك من خلال مشروع الحركات الإسلاموية الجهادية التي ولدت من رحم الإسلام السياسي.

لقد استخدمت هذه الجماعات شعارات إسلامية براقة، اختطفتها من العقيدة الإسلامية، أو من الشعائر التي تعلقت بها قلوب المسلمين، وزجت بها في أتون الإرهاب الذي عاد على الإسلام ومشروعه الحضاري بالويلات الكبرى.

لقد تراجع مشروع الأمة الإسلامية الدعوي، وأصبح الإسلام سُلَّماً للمصالح الشخصية والحزبية، وأريقت الدماء، وتفرقت جماعة الأمة بسبب طريقة التفكير والتشخيص الذي انطلقت منها هذه الجماعة من مبدأ احتكار الحق، والوعد الإلهي للأمة.

بل اصبحت تلك الجماعات، وفي مقدمتها إخوان الشياطين أداة في يد أعداء الأمة والوطن لتفتيتها وتمزيقه، وتخريب

الاقتصاد الوطني، واستعداء الأخ على أخيه.

وليس بعيداً عن الأذهان أحداث الخريف العربي الذي عصفت عواصفه التخريبية بالأمة، وعادت عليها بالويلات، ثم اكتشفت تلك الجماعات أنها كانت تجري خلف سراب خادع.

ولذلك كانت وزارة الأوقاف في الجمهورية العربية السورية، وكانت المؤسسات الدينية في سورية عبر عقود طويلة تخوض صراعاً فكرياً مع هذه الجماعة ورموزها، وتجتهد في فضح أوهامها، وضلالاتها، وكان هذا الكتاب ثمرة طيبة لذلك الجهد العلمي والفكري الطويل.

إنه الإسلام دين الله الخالد رحمة، ومحبة، وحضارة، لا يمكن أن يختصر في طائفة، أو مذهب، ولا يمكن أن يحتكره حزب أو زعيم، فضلاً عن أن يكون سبباً في التفرقة بدلاً عن الجمع.

أو أن يكون سلاح تكفير بيد أصحاب المصالح السياسية، وأدوات الاستعمار، بعد أن أرسل الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم هادياً، وداعياً إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة.

ولذلك فإن هذا الكتاب تضعه اليوم وزارة الأوقاف بين يدي الوزارات والمؤسسات التعليمية في العالم الإسلامي تحذيراً من

ذلك الخطر الكبير، وفضحاً لتلك الجرائم الكبرى، وهي تؤكد على **مقولة السيد الرئيس الدكتور بشار الأسد التي لطالما خاطبها العلماء، ومعلمات القرآن في الاجتماعات واللقاءات المتنوعة، وهي قوله: (علموا الناس الإسلام كما أُنزل)**.

ولأهمية تلك الكلمة اتخذتها وزارة الأوقاف عنواناً وشعاراً.

فهرس المصادر والمراجع

م	اسم المؤلف	المؤلف	دار النشر
١	آثار الحرب	أ.د. وهبة الزحيلي	دار الفكر- دمشق-١٩٦٢م
٢	ابن القرية والكتاب	أ.د. يوسف القرضاوي	دار الشروق مصر
٣	إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام	ابن دقيق العيد	
٤	الإخوان تاريخ وانتماء	د.فتحي ملكاوي	دار الرشيد-بغداد-٢٠٠٤م
٥	الإخوان في دائرة النقد	اسحاق موسى الحسيني	دار البروق القاهرة
٦	الإخوان المسلمون	د.ريتشاد ميتشل	مكتبة مدبولي-مصر-١٩٧٩م
٧	الإخوان المسلمون	د. زكريا بيومي	مكتبة فلسطين للكتب المصورة
٨	الإخوان المسلمون- أحداث صنعت التاريخ	محمود عبد الحليم	دار الدعوة للطبع والنشر
٩	الإخوان المسلمون-أوراق تاريخية	إبراهيم زهمول	دار الشروق-القاهرة ط٢ ١٩٩٧م
١٠	الإخوان المسلمون في دائرة الحقيقة الغائبة	إبراهيم قاعود	دار المختار الإسلامي-القاهرة
١١	الإخوان المسلمون في ميزان الحق	أنور الجندي	مركز الإعلام العربي-القاهرة ٢٠١٣م
١٢	الإخوان المسلمون كبرى الحركات الإسلامية- شبهات وردود	د.توفيق الواعي	مكتبة المنار-الكويت
١٣	الإخوان المسلمون كبرى الحركات الإسلامية في القرن الرابع عشر الهجري	الدكتور محمد السيد الوكيل	دار المجتمع للنشر والتوزيع-جدة

م	اسم المؤلف	المؤلف	دار النشر
١٤	الإخوان المسلمون وجذور التطرف الديني والإرهاب في مصر	السيد يوسف	الهيئة العامة للكتاب-مصر-١٩٩٩
١٥	الأدب المفرد	الإمام البخاري	
١٦	الإرهاب المتأسلم	د. رفعت السيد	دار الشروق-القاهرة
١٧	الاعتصام	الإمام الشاطبي اللخمي	
١٨	إلى أي شيء ندعو الناس	حسن البنا	
١٩	الأموال	القاسم بن سلام الهروي	
٢٠	البداية والنهاية	ابن كثير الدمشقي	
٢١	تبيين كذب المفتري فيما نسب إلى الأشعري	الإمام ابن عساكر الدمشقي	
٢٢	الترغيب والترهيب	أبو اسحاق إسماعيل الأصبهاني	
٢٣	التصوير الفني في القرآن	سيد قطب	دار الشروق-القاهرة
٢٤	تفسير الراغب الأصفهاني	أبو القاسم، الحسيني الأصفهاني	
٢٥	تفسير الطبري جامع البيان في تأويل القرآن	محمد بن جرير الطبري	
٢٦	التفسير العصري الجامع	أ.د. محمد عبد الستار السيد	وزارة الأوقاف-دمشق
٢٧	تفسير القرطبي الجامع لأحكام القرآن	محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي	
٢٨	التفسير الكبير، مفاتيح الغيب	فخر الدين الرازي	
٢٩	التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد	أبو عمر، يوسف ابن عبد البر القرطبي	

م	اسم المؤلف	المؤلف	دار النشر
٣٠	التنوير من التفسير	أ.د. محمد عبد الستار السيد	وزارة الأوقاف-دمشق
٣١	التوحيد	أبو منصور الماتريدي	
٣٢	الجهاد كيف نفهمه وكيف نمارسه	أ.د. محمد سعيد رمضان البوطي	دار الفكر-دمشق
٣٣	الجهاز السري لجماعة الإخوان المسلمين	محمود الصباغ	دار النذير-القاهرة١٩٧٦م
٣٤	حديث الثلاثاء	حسن البنا	دار النذير-القاهرة١٩٧٦م
٣٥	الحركة السياسية في مصر (١٩٤٥-١٩٥٢م)	طارق البشري	دار الشروق-القاهرة
٣٦	حسن البنا إمام وقائد	محمد الشلبي	دار الشروق-القاهرة
٣٧	حسن البنا بين الأمس واليوم	رسائل حسن البنا	دار الكتاب العربي-١٩٧٤م
٣٨	حسن البنا-متى-كيف-ولماذا	د. رفعت السيد	دار الطليعة الجديدة-١٩٩٧
٣٩	حسن البنا-مواقف في الدعوة والتربية	عباس السيسي	دار التوزيع والنشر الإسلامية-١٩٧٨
٤٠	الحق المبين في الرد على من تلاعب بالدين	أ. أسامة السيد الأزهري	دار الفقيه -أبو ظبي ٢٠١٥م
٤١	حلية الأولياء	لأبي نعيم الأصبهاني	
٤٢	حوارات الشيخ محمد الغزالي		المعهد العالي للفكر الإسلامي
٤٣	الدعوة في فكر حسن البنا	د. سيد عبد العال	دار الأبرار-القاهرة-١٩٨٦م
٤٤	الدعوة والعقيدة	عبد القادر عودة	دار الشروق-١٩٨٧م
٤٥	رسالة المؤتمر الخامس	حسن البنا	
٤٦	سماحة الشيخ أحمد كفتارو، أفكار وأساليب لتجديد نهضة الأمة الإسلامية	أ. محمد غسان الجبان	قسم الدراسات في مجمع الشيخ أحمد كفتارو
٤٧	سنن ابن ماجة	الإمام ابن ماجة القزويني	

م	اسم المؤلف	المؤلف	دار النشر
٤٨	سنن الترمذي	الإمام أبو عيسى محمد الترمذي	
٤٩	السنن الكبرى	الإمام أبو بكر البيهقي	
٥٠	سنن النسائي	الإمام أحمد بن شعيب النسائي	
٥١	سير أعلام النبلاء	الإمام شمس الدين الذهبي	مؤسسة الرسالة-دمشق-بيروت
٥٢	سيرة ابن هشام	عبد الملك بن هشام الحميري	
٥٣	شبهات حول الإخوان	الدكتور عطفة أبو السيد	دار النهضة-مصر-٢٠٠١م
٥٤	صحيح ابن حبان	الإمام أبو حاتم البستي	
٥٥	صحيح البخاري	الإمام محمد بن إسماعيل البخاري	
٥٦	العدالة الاجتماعية في الإسلام	سيد قطب	دار الشروق-القاهرة
٥٧	على ثرى دمشق	أيمن أحمد الشربجي	دار الأصول العلمية-٢٠٢٠م
٥٨	عمدة القاري شرح صحيح البخاري	بدر الدين العيني	
٥٩	عمر التلمساني شاهد على العصر	إبراهيم قاعود	دار المختار الإسلامي-القاهرة
٦٠	فتاوى السبكي	الإمام تقي الدين السبكي	دار المعرفة-بيروت
٦١	فتح الباري	ابن حجر العسقلاني	
٦٢	فقه الأزمة		اصدارات وزارة الأوقاف في الجمهورية العربية السورية
٦٣	الفقه الأكبر	الإمام أبو حنيفة النعمان	
٦٤	في ظلال القرآن	سيد قطب	دار الشروق-القاهرة
٦٥	القرآن والحاكمية	محمد شريف	دار الناصر لدين الله-القاهرة-١٩٣٦م

م	اسم المؤلف	المؤلف	دار النشر
٦٦	كشاف القناع	الإمام البهوتي الحنبلي	
٦٧	كيف ندعو الناس	عبد البديع صقر	دار النفائس-عمان
٦٨	المجالسة وجواهر العلم	أبو بكر الدينوري	
٦٩	مجمع البحرين في زوائد المعجمين الأوسط والصغير	الطبراني	
٧٠	مجمع الزوائد	ابن حجر الهيثمي	
٧١	مذاكرات الطليعة المجاهدة	أيمن أحمد الشربجي	
٧٢	مسند أبي يعلى الموصلي	الإمام أبو يعلى الموصلي	
٧٣	مسند الإمام أحمد	الإمام أحمد ابن حنبل الشيباني	
٧٤	مسند البزار	أبو بكر البزار	
٧٥	مسند عبد الله بن عمر	أبو امية الطرسوسي	
٧٦	مشكل الأثار	أبو جعفر الطحاوي	
٧٧	مشكلاتنا في ضوء النظام الإسلامي	حسن البنا	دار الكتاب العربي-١٩٥٢م
٧٨	مصنف ابن أبي شيبة	أبو بكر بن أبي شيبه العبسي	
٧٩	المطالب العالية	ابن حجر العسقلاني	
٨٠	معالم الحق في كفاحنا الإسلامي الحديث	الشيخ محمد السقا الغزالي	دار نهضة مصر-القاهرة
٨١	معالم في الطريق	سيد قطب	دار الريان-القاهرة-ط١
٨٢	المعجم الأوسط	أبو القاسم الطبراني	
٨٣	المعجم الكبير	أبو القاسم الطبراني	
٨٤	معرفة السنن والأثار	أحمد بن حسين البيهقي	

م	اسم المؤلف	المؤلف	دار النشر
٨٥	معرفة الصحابة	أبو نعيم الأصبهاني	
٨٦	مغني المحتاج	ابن قدامة المقدسي	
٨٧	مقدمات ابن رشد	ابن رشد	
٨٨	من قتل حسن البنا	محسن محمد	دار الشروق-القاهرة-١٩٨٧م
٨٩	المنهج الفكري لعلماء بلاد الشام	أ.د. محمد شريف الصواف	اصدارات جامعة بلاد الشام
٩٠	مواقف في التاريخ الإخواني	وليد عبد الحميد	دار البيان-القاهرة-١٩٩٢م
٩١	الموطأ	الإمام مالك بن أنس الأصبحي	
٩٢	نظرات في كتاب الله	حسن البنا	دار التوزيع والنشر- القاهرة
٩٣	هذه مشكلاتنا	أ.د. محمد سعيد رمضان البوطي	دار الفكر-دمشق
٩٤	الوسيط في المذهب	الإمام أبي حامد الغزالي	
٩٥	الولاء والبراء في فكر الإخوان المسلمين	ناصر السيد رفعت	دار النهضة-مصر-القاهرة-١٩٩٩م